

الحَقْلَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ



كُتِبَهِ

عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ فَهْرٍ الرَّوَّاحِيُّ الدُّوسَرِيُّ

إمام وخطيب جامع المدحيسيّم بالحبراء - الرياض



جمعية الدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بحي الروضة
قسم التعليم - المناهج التعليمية
الطبعة الثانية ١٤٤٢ هـ

الحَقِيقَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ

كُتِبَ

عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ فَهْدٍ الدَّوْحَانُ الدُّوسَرِيُّ

إمام وخطيب جامع المديحيم بالحراء - الرياض



جمعية الدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بحي الروضة

قسم الدعوة

الطبعة الثانية ١٤٤٢ هـ

الحَقِيقَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ



المستوى الأول

كتبه

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الوهاب بن عبد الوهاب

امام وخطيب جامع المديحيم بالحمام - الرياض



مُكَلِّمَةٌ

الحمد لله وحده، وصلى الله على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

فهذا كتاب (العقيدة الإسلامية) على منهج أهل السنة والجماعة، ذكرت فيه مجمل اعتقاد أهل السنة والجماعة في عامة مسائل العقيدة المتعلقة بأركان الإيمان الستة، مبتدئاً بذكر مراتب الدين الثلاث، ثم تفصيل ما يتعلق بأركان الإيمان الستة.

وقد قسّمت الكتاب إلى أربع مستويات، كل مستوى يشمل خمسة عشر درساً، بحسب ما رآه الإخوة في مكتب الدعوة بالروضة، ليكون أيسر للدارسين، وأنفع لهم بإذن الله تعالى.

المستوى الأول: ويتضمن الكلام على مراتب الدين الثلاث إجمالاً، ثم الكلام على الركن الأول منها (الإيمان بالله تعالى) تفصيلاً، وأهمية التوحيد وفضائله، وما يضاده من الشرك.

المستوى الثاني: ويتضمن الكلام على بقية ما يتعلق بالركن الأول، ببيان أسباب الشرك، وأهم العبادات التي وقع فيها الشرك بالله تعالى، وشبهات القبوريين.

المستوى الثالث: ويتضمن الكلام على بقية ما يتعلق بالركن الأول، ببيان تعظيم الله سبحانه وتعالى، وبعض ما يضاد ذلك من أقوال وأفعال.

المستوى الرابع: ويتضمن الكلام على بقية أركان الإيمان الستة

تفصيلاً، ونواقض الإسلام.

وختاماً أسأل الله تعالى أن يجعله كتاباً نافعا مباركاً، وأن يرزقني الإخلاص فيه، ويثيبني عليه، وأن يعاملني بلطفه ورحمته وكرمه، ويجزل لي عطاءه، ويعفو عما قد يكون فيه من الزلل والتقصير، وأن يغفر لنا ولوالدينا ووالديهم، وإخواننا وأخواتنا وأزواجنا وذرياتنا، ولجميع شيوخنا وأساتذتنا وتلاميذنا وعلمائنا وأحببتنا، وأن يجعل الفردوس مأوانا جميعاً، كما أسأله جلّ وعلا أن يغفر للمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات... آمين، إنه أرحم الراحمين.

وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين !!!

كتبه الفقير إلى الله تعالى

عبد الرحمن بن فهد الودعان الدوسري

awadaan@gmail.com

الدرس الأول: مَراتبُ الدين

مَراتبُ الدين ثلاثٌ هي:

- المرتبة الأولى: الإسلامُ.
- المرتبة الثانية: الإيمانُ.
- المرتبة الثالثة: الإحسانُ.

والدليل على هذه المراتب:

حديثُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صلوات الله عليه، فَأَسَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه: «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا».

قَالَ: صَدَقْتَ.

قال: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ.

قال: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ.

قال: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ».

قال: صَدَقْتَ.

قال: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ.

قال: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ».

قال: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ.

قال: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ».

قال: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا.

قال: «أَنْ تَلِدَ الْأُمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّيْءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُيُوتِ».

قال: ثُمَّ انْطَلَقَ، فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا عُمَرُ، أَتَدْرِي مَنْ السَّائِلُ؟».

قلت: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

قال: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ، أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ».

وإليك بيان هذه المراتب تفصيلاً فيما يلي إن شاء الله تعالى.

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان برقم: (٨).

المرتبة الأولى: الإسلام

تعريف الإسلام

الإسلام لغةً: الاستِسْلَامُ والانقيادُ.

وشرعاً: الاستِسْلَامُ لله بالتَّوْحِيدِ، والانقيادُ له بالطاعة، والبراءةُ مِنَ الشِّرْكِ وأَهْلِهِ.

أركان الإسلام

تعريف أركان الإسلام

أركان الإسلام هي: أُسُسُ الإسلام التي يَبْنِي عَلَيْهَا.

عدد أركان الإسلام

أركان الإسلام خمسة، هي:

١. شهادة أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمدًا رسولُ الله.
٢. إقامة الصلاة.
٣. إيتاء الزكاة.
٤. صومُ رمضان.
٥. حجُّ بيتِ الله الحرام.

والدليل على هذه الأركان

أ- حديثُ عبدِ اللهِ بنِ عمرَ رضي الله عنهما قال: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:
«بُنيَ الإسلامُ على خَمْسٍ: شَهادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا
رَسُولُ اللهِ، وإِقامِ الصَّلَاةِ، وإِيتاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ
رَمَضَانَ». متفق عليه.

وفي لفظٍ لمسلم: «وَصِيَامِ رَمَضَانَ، وَالْحَجِّ»، فقالَ رَجُلٌ:
الْحَجُّ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ، قالَ: لا، «صِيَامُ رَمَضَانَ وَالْحَجُّ»،
هَكَذَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ^(١).

ب- حديثُ عُمَرَ بنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه في خَبَرِ جَبْرِيلَ عليه السلام
السابق.

المرتبة الثانية: الإيمان

تعريف الإيمان

الإيمان لغةً: التَّصديقُ.

وشرعاً: تَصديقٌ بالقلبِ، وإقرارٌ باللسانِ، وعملٌ بالجوارحِ، يَزِيدُ
بِالطَّاعَةِ، وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ.

(١) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب الإيمان وقول النبي ﷺ: «بني الإسلام على خمس»
برقم: (٨)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام برقم: (١٦).

أركان الإيمان

تعريف أركان الإيمان

أركان الإيمان هي: أسُسُ الإيمان التي يَبْنِي عَلَيْهَا.

عدد أركان الإيمان

أركان الإيمان سِتَّةٌ هي:

١. الإيمان بالله تعالى.
٢. الإيمان بالملائكة.
٣. بالإيمان بالكتب.
٤. الإيمان بالرسول.
٥. الإيمان باليوم الآخر.
٦. الإيمان بالقدر خيره وشره.

والدليل على هذه الأركان:

أ- حديثُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه في حديث جبريل السابق.

ب- قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ

وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَآلَمَلِكَةٍ

وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [سورة البقرة: آية ١٧٧].

فهذه خمسة، وذكر القدر في موضع آخر، فقال تعالى:

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [سورة القمر: آية ٤٩].

المرتبة الثالثة: الإحسان

تعريف الإحسان

الإحسان لغة: الإثقان.

وشرعاً: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ».

الدليل على الإحسان

١. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ

﴿١٢٨﴾ [سورة النحل: آية ١٢٨].

٢. حديث جبريل السابق، وفيه أنه سأل النبي ﷺ عن الإحسان.

أركان الإحسان

للإحسان ركن واحد هو: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ

فإنه يَرَاكَ.

الدرس الثاني

**الرُّكْنُ الْأَوَّلُ مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ،
وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ**

معنى الشَّهَادَةِ

الشَّهَادَةُ هِيَ: الْإِقْرَارُ وَالاعْتِرَافُ.
وَسَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى بَيْنَ مَعْنَى كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنَ الشَّهَادَتَيْنِ.

مَكَانَةُ الشَّهَادَتَيْنِ

١. الشَّهَادَتَانِ هُمَا الرُّكْنُ الْأَوَّلُ مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ.
٢. الشَّهَادَتَانِ هُمَا مِفْتَاحُ الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ، فَهُمَا أَوَّلُ مَا يَجِبُ عَلَى مَنْ أَرَادَ الدُّخُولَ فِي الْإِسْلَامِ، وَلَا يَصِحُّ إِسْلَامُ أَحَدٍ لَمْ يَشْهَدْ بِهِمَا مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَى ذَلِكَ.
٣. لَا يَصِحُّ عَمَلُ أَحَدٍ حَتَّى يَنْطِقَ الشَّهَادَتَيْنِ، لَا صَلَاةٌ وَلَا زَكَاةٌ، وَلَا صِيَامٌ، وَلَا حَجٌّ، وَلَا غَيْرُهَا مِنْ أَعْمَالِ الْبِرِّ، فَإِنَّ الْإِسْلَامَ شَرْطُ لِقَبُولِ كُلِّ عَمَلٍ.

حكم النطق بالشهادتين

يجبُ النطقُ بالشَّهادَتَيْنِ ما لم يوجد مانعٌ من ذلك كالخَرَسِ، فلا يصحُّ إسلامُ شخصٍ بمجردِ اعتقادٍ معناهما دون النطقِ بهما.

والدليل على هذا

حديثُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمَنْ قَالَهَا فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ». متفق عليه ^(١).

معنى أشهد أن (لا إله إلا الله)

معنى أشهد أن (لا إله إلا الله): أُقِرُّ وَأَعْتَرِفُ وَأُوقِنُ أَنَّهُ لَا مَعْبُودَ بِحَقِّ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنْفِي وَأُبْطِلُ كُلَّ مَعْبُودٍ سِوَاهُ.
معنى أشهد: أُقِرُّ وَأَعْتَرِفُ.
معنى الإله: المعبود.

أركان شهادة أن (لا إله إلا الله)

لشهادة أن (لا إله إلا الله) ركنان هما:

(١) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة برقم: (١٣٣٥)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله برقم: (٢٠).

الركن الأول: النقي، ويتمثل في جزئها الأول، وهو قولنا: «لَا إِلَهَ»،
والمعنى: نقي صحة جميع المعبودات التي تُعبد من دون الله تعالى.
الركن الثاني: الإثبات، ويتمثل في جزئها الثاني، وهو قولنا: «إِلَّا
الله»، والمعنى: أثبت معبودًا واحدًا بحق، وهو الله تعالى.

شروط شهادة أن (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)

لشهادة أن (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) ثمانية شروط، يجب اجتماعها في كل
مسلم، وهي:

١. العلم بمعناها، المنافي للجهل به، فيعلم قائلها ما أثبتت وما
نفت، فيعلم أن معناها: لا معبود حق إلا الله تعالى، وأن كل
ما سواه من الآلهة باطل.

٢. اليقين بها، المنافي للشك والتردد، والمعنى: أن يوقن في قلبه
بمعنى هذه الكلمة، وأن الله تعالى وحده هو المستحق للعبادة،
ولا يتردد في ذلك ولا يشك فيه، فمن شك في وحدانية الله
فليس بمسلم.

٣. الإخلاص، المنافي للشرك، والمعنى: أن لا يجعل مع الله
شريكًا ولا ندًا، فمن جعل لله ندًا لم يصح توحيده، وهذا
يقتضي تصفية العمل كله من جميع شوائب الشرك.

٤. الصدق، في قولها المنافي لقولها كذبًا، بأن يقولها بلسانه
مصدقًا بما قلبه، خلافًا للمنافق الذي يقولها بلسانه، وقلبه

مكذبٌ بها.

٥. مَحَبَّتُهَا، الْمُنَافِي لِبُغْضِهَا وَبَغْضِ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ، مِنْ وَحْدَانِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَنَفْيِ الشَّرِّكَ عَنْهُ.

٦. الانْقِيَادُ لِمَعْنَاهَا، الْمُنَافِي لِلتَّوَكُّلِ وَالِاسْتِكْبَارِ، فَيَنْقَادُ وَيَسْتَسْلِمُ لِمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْكَلِمَةُ مِنْ تَوْحِيدِ اللَّهِ تَعَالَى، وَاتِّبَاعِ شَرْعِهِ.

٧. الْقَبُولُ لَهَا وَلِمَعْنَاهَا، الْمُنَافِي لِلرَّدِّ، وَالْمَعْنَى: قَبُولُ مَا اقْتَضَتْهُ هَذِهِ الْكَلِمَةُ بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ، وَعَدَمُ رَدِّهَا أَوْ رَدِّ شَيْءٍ مِنْ مَعْنَاهَا.

٨. الْكُفْرُ بِالطَّاعُوتِ، الْمُنَافِي لِلْإِيمَانِ بِهِ، فَتَجِبُ الْبِرَاءَةُ مِنْ جَمِيعِ الطَّوَاعِيتِ الْمَعْبُودَةِ مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَمَنْ لَمْ يَكْفُرْ بِالْأَنْدَادِ لَمْ يَحَقُقْ كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ.

متى تنفع شهادة أن (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) قائلها؟

(لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) لَا تَنْفَعُ قَائِلَهَا فَتَنْجِيهِهِ مِنَ النَّارِ وَتَدْخُلِهِ الْجَنَّةَ حَتَّى يَعْمَلَ بِشُرُوطِهَا السَّابِقَةِ، فَلَا يَنْفَعُ شَخْصًا أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهَا، وَهُوَ مُخَالَفٌ لِمَعْنَاهَا، يَعْبُدُ غَيْرَ اللَّهِ، وَيُصَدِّقُ بِالطَّوَاعِيتِ، وَلَا يَنْقَادُ لَشَرْعِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَوْ كَانَ الْأَمْرُ مَجْرَدَ قَوْلٍ بِاللِّسَانِ لِقَالِهَا الْمُشْرِكُونَ وَصَحَّ إِسْلَامُهُمْ، مَعَ بَقَائِهِمْ عَلَى عِبَادَةِ الْآلِهَةِ، وَلِهَذَا قَالُوا: ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ

عَجَابٌ ﴿٥﴾ [سورة ص: الآية ٥].

الدرس الثالث: شهادة أن (محمدًا رسول الله)

معنى أشهد أن (محمدًا رسول الله)

معنى أشهد أن (محمدًا رسول الله): أقرُّ وأُعترفُ وأوقنُ بأنَّ محمدًا ﷺ هو رسولُ الله، أرسله إلى جميع الثقلين: الإنسِ والجنِّ، وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين عليهم السلام.

ما تضمنته شهادة أن محمدًا رسول الله ﷺ

تضمنت شهادة (أنَّ محمدًا رسول الله) أربعة أمور:

١. الإيمان بأنه مرسلٌ من الله تعالى، بعثه الله تعالى بالحق والهدى بشيرًا ونذيرًا.
٢. الشهادة له ﷺ بالرسالة ظاهرًا باللسان، وباطنًا بالقلب.
٣. اعتقادُ عمومِ رسالته ﷺ إلى جميع الثقلين: الإنسِ والجنِّ، العربِ والعجمِ، اليهودِ والنصارى والمجوسِ والوثنيين وغيرهم.
٤. الإيمان بأنه ﷺ خاتم النبيين عليهم السلام، فلا نبيَّ بعده ﷺ، وكل من ادَّعى النبوة بعده فهو كاذب دجال.

مُقْتَضِيَّاتُ شَهَادَةِ أَنَّ (مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ) ^(١)

لِشَهَادَةِ أَنَّ (مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ) مُقْتَضِيَّاتُ أَهْمُهَا مَا يَلِي:

أولاً: تصديقُه في جميع ما أخبر به ﷺ، ويدخل في هذا:

أ- ما أخبر به عن ربه جل وعلا من أسمائه وصفاته، وشرعه ووَحيه.

ب- ما أخبر به عن الأنبياء السابقين عليهم السلام، والأمم الماضين.

ج- ما أخبر به عن الأمور المستقبلية الكائنة في الدنيا والآخرة.

ثانياً: طاعته فيما أمر به، ونهى عنه.

ثالثاً: متابعتُه ﷺ، بأن لا يُعبد الله تبارك وتعالى إلا بما شرعه ﷺ.

رابعاً: محبته ﷺ، وهذه المحبة يجب أن تكون مقدّمة على محبة جميع

المخلوقين، من النفس والزوجة والولد والوالد.

خامساً: التّحَكُّمُ إليه ﷺ في جميع الأمور صغيرها وكبيرها، وذلك

بالرجوع إليه في حياته، وإلى شريعته ﷺ بعد وفاته، والتسليم لحكمه ﷺ،

من غير حرج في النفس.

(١) ينظر: فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ٧٤/١، والأصول الثلاثة ص ٤٠، وحقيقة شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ لسماحة شيخنا عبدالعزيز بن عبد الله آل الشيخ ص ٦٠، ومفتاح دار السلام بتحقيق شهادتي الإسلام، للشيخ حافظ الحكمي ص ٣٠.

قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [سورة النساء: الآية ٦٥].

سادساً: الشهادة له ﷺ بأنه بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، ولم يزل مجاهداً في سبيل الله حتى كمل الله به الدين.

سابعاً: تجنب إطرئه ﷺ والغلو فيه، ورفع فوق منزلته التي أنزله الله عز وجل، وذلك بدعائه والاستغاثة به.

فائدة: لخص شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله أهم مقتضيات شهادة أن محمداً رسول الله بقوله: (طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع).^(١)

(١) الأصول الثلاثة ص ١٦.

الدرس الرابع

بقية أركان الإسلام

الرُّكنُ الثاني

إقامة الصلاة

تعريف الصلاة

الصَّلَاةُ هي: التَّعَبُّدُ لِلَّهِ تَعَالَى، بِأَقْوَالٍ وَأَفْعَالٍ، مُفْتَتِحَةً بِالتَّكْبِيرِ، وَمُخْتَتِمَةً بِالتَّسْلِيمِ.

منزلة الصلاة ومكانتها في الإسلام

لِلصَّلَاةِ فِي الْإِسْلَامِ مِثْلَةُ رَفِيعَةٍ، وَمَكَانَةٌ عَالِيَةٌ، وَقَدْ دَلَّ عَلَى هَذَا أُمُورٌ كَثِيرَةٌ مِنْ أَهْمِّهَا مَا يَلِي:

أولاً: أنها الرُّكنُ الثاني مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ.

ثانياً: أنها عمودُ الإسلامِ، فعليها — بعد التوحيد — يُبْنَى الْإِسْلَامُ.

ثالثاً: أنها الفَاصِلُ بَيْنَ الْإِسْلَامِ وَالْكَفْرِ.

رابعاً: أنها فُرِضَتْ فِي السَّمَاءِ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ بغيرِ واسِطَةٍ، وَهَذَا يُشْعِرُ بِعَظِيمِ مَكَانَتِهَا.

فَضْلُ الصَّلَاةِ

للصلاة فضائل كثيرة منها:

١. أَمَّا نُورٌ لِلْمُؤْمِنِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«وَالصَّلَاةُ نُورٌ». رواه مسلم^(١).

٢. فِيهَا تَكْفِيرٌ لِلْسَّيِّئَاتِ، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِيَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟»، قالوا: لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ، قَالَ: «فَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، يَمْحُو اللَّهُ بِهِنَ الْخَطَايَا». متفق عليه^(٢).
٣. أَمَّا مِنْ أَحَبِّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، فعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى؟ قَالَ: «الصَّلَاةُ عَلَى وَفْتِهَا». متفق عليه^(٣).

(١) رواه مسلم في كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء برقم: (٢٢٣).

(٢) رواه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلوات الخمس كفارة برقم: (٥٠٥)، ومسلم في كتاب المساجد، باب المشي على الصلاة ثمحى به الخطايا برقم: (٦٦٧)، وهذا لفظه.

(٣) رواه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل الصلاة لوقتها برقم: (٥٠٤)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان كَوْنِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ تَعَالَى أَفْضَلَ الْأَعْمَالِ برقم: (٨٥).

حكم الصلوات الخمس

الصلوات الخمس فرض على كل مسلم بالغ عاقل، ذكر أو أنثى، وقد دل على ذلك أدلة كثيرة من الكتاب والسنة، وأجمع عليه المسلمون كافة، ومن النصوص الدالة على ذلك:

١. قول الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ

الرَّكَعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣].

٢. حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما السابق في أركان الإسلام.

حكم تارك الصلاة

من وجبت عليه الصلاة وتركها تركاً مطلقاً فهو كافر كُفراً أكبر مخرجاً من الملة، ومُرتدٌّ عن دين الإسلام.

ولذلك أدلة كثيرة منها

١. قول النبي ﷺ: «إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ». رواه مسلم^(١).

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة برقم:

(٨٢).

٢. قول النبي ﷺ: «الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ». رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه^(١).

الرُّكْنُ الثَّالِثُ إِيتَاءُ الزَّكَاةِ

تعريفُ الزَّكَاةِ

الزكاة هي: حقٌّ واجبٌ شرعاً، في أموالٍ محدَّدة، يُخرَجُ في وقتٍ وجوبه، لطائفةٍ مخصوصةٍ.

حكمُ الزَّكَاةِ

الزَّكَاةُ واجبةٌ على كلِّ مسلمٍ توفَّرت فيه شروطُ الوجوب. ومما يدل على ذلك:

١. قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣].

(١) رواه أحمد ٣٤٦/٥، والترمذي في كتاب الإيمان، باب ما جاء في ترك الصلاة برقم: (٢٦٢١)، وقال: حسن صحيح غريب، والنسائي في كتاب الصلاة، باب الحُكْمِ في تَارِكِ الصَّلَاةِ برقم: (٤٦٣)، وابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء فيمن تَرَكَ الصَّلَاةَ برقم: (١٠٧٩)، وصححه ابن حبان ٣٠٥/٤ (١٤٥٤)، وقال الحاكم في المستدرك (٧/١): هذا حديث صحيح الإسناد لا تعرف له علة بوجه من الوجوه، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ٢٩٨/١ (٥٦١).

٢. حديثُ عبدِ الله بنِ عمر رضي الله عنهما السابقُ في أركانِ الإسلام.

مكانةُ الزَّكَاةِ

الزَّكَاةُ هي الركنُ الثالثُ من أركانِ الإسلام.
والدليل على هذا: حديثُ عبدِ الله بنِ عمر رضي الله عنهما السابقُ
في أركانِ الإسلام.

حكم تركِ الزَّكَاةِ

تركُ الزكاة ذنب عظيم، وقد ورد التحذير الشديد من ترك الزكاة،
فقال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا ينفقُونَهَا فِي
سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٣٤﴾ يَوْمَ يُخَوَّى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ
فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُودُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا
مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ٣٥﴾ [التوبة: ٣٤ - ٣٥].

إخراجها عن طيبِ نفسٍ

الواجب على المسلم إخراجُ الزكاة طيبةً بها نفسه، فعن عبد الله بن
معاوية الغاضري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «ثَلَاثٌ مَنْ فَعَلَهُنَّ فَقَدْ طَعِمَ طَعْمَ

الإيمان»، وذكرَ منها: «وَأَعْطَى زَكَاةَ مَالِهِ طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُهُ». رواه أبو داود والبيهقي^(١).

قال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله: معنى (إيتاء الزكاة): إعطاؤها بطيب نفس على ما فُرِضَتْ وَوَجِبَتْ^(٢).

الرُّكْنُ الرَّابِعُ صَوْمُ رَمَضَانَ

تعريفُ الصَّيَّامِ

الصَّيَّامُ هو: التَّعَبُّدُ لِلَّهِ تَعَالَى بِالْإِمْسَاكِ عَنِ الْمَفْطُورَاتِ، مِنْ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ.

منزلةُ الصَّيَّامِ

صِيَامُ رَمَضَانَ رَكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ، والدليل على هذا: حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما السابق.

(١) رواه أبو داود في كتاب الزكاة، باب في زَكَاةِ السَّائِمَةِ برقم: (١٥٨٢) والبيهقي في السنن الكبرى ٩٥/٤، والطبراني في المعجم الصغير (الروض الداني) ص ٣٣٤ (٥٥٥) ومسند الشاميين ٩٧/٣ (١٨٧٠)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني ٣٠٠/٢ (١٠٦٢)، والبخاري في التاريخ الكبير ٣١/٥، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٣٨/٣ (١٠٤٦).

(٢) تفسير الطبري ٤٩٠/١.

حكمُ صيامِ رمضانَ

صيامُ رمضانَ واجبٌ، وهو أحدُ الفروضِ العظيمةِ، قالَ اللهُ تعالى:

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ
وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ﴾ [البقرة: ١٨٥].

الرُّكنُ الخامسُ:

حَجُّ بيتِ اللهِ الحرامِ

تعريفُ الحجِّ والعمرةِ

الحجُّ هو: قصدُ مَكَّةَ المَكْرَمَةِ، في وقتٍ معيَّن، لأداءِ مناسكٍ
مُخصَّصةٍ.

العمرةُ هي: زيارةُ مَكَّةَ المَكْرَمَةِ، في أيِّ وقتٍ، لأداءِ مناسكٍ
مُخصَّصةٍ.

حكمُ الحجِّ والعمرةِ

الحجُّ والعمرةُ واجبَانِ في العمرِ مرةً واحدةً، قالَ اللهُ تعالى:

﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ
الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله، هل على النساء من جهاد؟ قال: «نعم، عليهن جهاد لا قتال فيه: الحج والعمرة». رواه أحمد وابن ماجه. ^(١).

منزلة الحج

الحج ركن من أركان الإسلام، والدليل على هذا: حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما السابق.

(١) رواه أحمد ١٦٥/٦، وابن ماجه في كتاب المناسك، باب الحج جهاد النساء برقم: (٢٩٠١)، وصححه ابن خزيمة ٣٥٩/٤ (٣٠٧٤)، قال النووي (المجموع ٥/٧): رواه ابن ماجه والبيهقي وغيرهما بأسانيد صحيحة، وإسناد ابن ماجه على شرط البخاري ومسلم، وقال ابن القيم: (حاشية السنن ١٧٣/٥) إسناده على شرط الصحيحين.

الدرس الخامس:

أركانُ الإيمانِ

الرُّكنُ الأولُ:

الإيمانُ بالله تعالى

الإيمانُ بالله تعالى أساسُ العقيدة وأصلُها، وكلُّ أركانِ الإيمانِ الأخرى تابعةٌ له.

معنى الإيمان بالله تعالى

الإيمانُ بالله تعالى هو: الاعتقاد الجازم بِرَبوبِيَّةِ الله تعالى، وألوهيَّته، وأسمائه وصفاته.

ما يتضمنه الإيمان بالله تعالى

يتضمن الإيمانُ بالله تعالى الإيمانَ بثلاثِ قضايا أساسية، هي أقسام التوحيد الثلاثة، وبيانها فيما يلي.

التوحيد وأقسامه

تعريف التوحيد

التوحيد هو: إفراد الله تعالى بربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته.

أقسام التوحيد

التوحيد ثلاثة أقسام هي:

القسم الأول: توحيد الربوبية.

القسم الثاني: توحيد الألوهية.

القسم الثالث: توحيد الأسماء والصفات.

وفيما يلي بيان هذه الأقسام بشيء من التفصيل، وما يتعلق بكل منها

إن شاء الله تعالى.

القسم الأول: توحيد الربوبية

تعريف توحيد الربوبية

هو: الاعتقادُ الجازمُ بأن الله ربُّ كلِّ شيءٍ، وأنه الخالقُ الرزاقُ، المحيي المميتُ، المالكُ المدبِّرُ لأُمورِ خلقه جميعاً.
والدليل: قولُ الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الأعراف: ٥٤].

إقرار مشركي العرب بتوحيد الربوبية

كان عامة مشركي العرب يُقرُّون بربوبية الله تعالى كما أخبر الله تعالى عنهم في آيات كثيرة:

١- قال الله تعالى: ﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [الزُّحُرْف: ٨٧].

٢- قال الله تعالى: ﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولَنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ [الزُّحُرْف: ٩].

الإقرار بتوحيد الربوبية لا يكفي للدخول في الإسلام

الإقرار بتوحيد الربوبية لا يكفي للدخول في الإسلام، والنجاة يوم القيامة.

وسبب ذلك: أنه لا بدَّ من الإقرار بتوحيد الألوهية مع توحيد الربوبية، وعبادة الله وحده لا شريك له، وترك عبادة ما سواه من الآلهة الباطلة.

ويوضح ذلك ما يلي:

أولاً: أن عامة المشركين في الجاهلية كانوا يُقرُّون بتوحيد الربوبية، ولكنهم لم يُقرُّوا بتوحيد الألوهية، فبعث الله لهم محمداً ﷺ يدعوهم إلى الإقرار بتوحيد الألوهية، فدعاهم إلى ذلك، وجادلهم فيه، وقتلهم عليه. عن عُمَرَ بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمَنْ قَالَهَا فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ» متفق عليه^(١).

وقد تقدمت الأدلة على إقرارهم بتوحيد الربوبية.

ثانياً: أن الله تعالى إنما أرسل الأنبياء جميعاً عليهم السلام للدعوة إلى توحيد الألوهية الذي هو توحيد العبادة، والأدلة على ذلك كثيرة منها

(١) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، برقم: (١٣٣٥)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله مُحَمَّدٌ رسول الله، برقم: (٢٠).

قولُ الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا
الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

ثالثاً: أن مَنْ أقرَّ بتوحيد الربوبية، وحَدَّ توحيد الألوهية فهو مشركٌ
كافرٌ في الحقيقة؛ لأنه حَدَّ حقَّ الله تعالى في أن يُعبدَ وحده لا شريكَ له،
واتَّخَذَ مع الله إلهاً أو آلهةً أخرى.

القِسْمُ الثاني:

توحيد الألوهية

تعريفُ توحيدِ الألوهية

هو: إفرادُ الله تعالى بأفعالِ العبادِ، مثل: الدُّعاءِ، والنذرِ، والنحرِ، والرجاءِ،
والخوفِ، والتوكلِ^(١).

والدليل على توحيد الألوهية: قولُ الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ
أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

(١) ويعرّف أيضاً بأنه: عِبَادَةُ اللهِ وحده لا شريكَ له، أو: إخلاصُ العبادةِ لله وحده لا شريكَ
له.

حقيقة التوحيد الذي أرسل الله به الرسل عليهم السلام

حقيقة التوحيد الصحيح الذي أرسل الله به رسله عليهم السلام، وأنزل به كتبه هو: (توحيد الألوهية)، فإن الله تعالى إنما خلق الخلق ونصب الموازين وجعل الجنة والنار لأجل أن يعبدَ وحده لا شريك له، وهو لا يقبل ولا يرضى أن يشرك معه أحدٌ في عبادته، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكُهُ». رواه مسلم^(١).

الذين يعبدون الأولياء وأصحاب الأضرحة هم كالمشركين الأوائل

إذا عرفنا التوحيد الصحيح الذي أرسل الله تعالى به الرسل عليهم السلام تبين لنا أن بعض الذين ينتسبون اليوم إلى الإسلام، وهم مع هذا يتقربون إلى الأولياء وأصحاب الأضرحة والقبور بأنواع العبادة، مثل: الذبح لهم، أو النذر لقبورهم، أو دعائهم من دون الله، أو الاستغاثة بهم عند الشدائد؛ تبين أنهم في الحقيقة مشركون كفاراً وإن قالوا: (لا إله إلا

(١) رواه مسلم في كتاب الزهد والرفائق، باب من أشرك في عمله غير الله برقم: (٢٩٨٥).

الله، محمد رسول الله)، وإن صلّوا مع المسلمين الصلوات الخمس، وصاموا معهم رمضان، وحجّوا إلى البيت الحرام^(١).

الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية

توحيد الربوبية: توحيد الله تعالى بأفعاله هو، مثل الخلق والرّزق، فهو اعتقاد أن الله تعالى وحده هو الخالق الرازق، وأما توحيد الألوهية فهو: توحيد الله تعالى بأفعال العباد، بأن لا يعبدوا إلا الله وحده، ولا يشركوا به شيئاً.

(١) وقد كان المشركون الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ يحجون ويعتمرون، وكانوا يصومون عاشوراء، وكانوا يتصدقون، وكانوا يعملون أنواعاً من أعمال البر، ومع هذا دعاهم النبي ﷺ إلى ترك الشرك، والإعلان بالتوحيد، وقاتلهم على هذا، ولم تنفعهم جميع هذه الأعمال لأنهم كانوا يشركون بالله تعالى ولا يوحّدونه.

الدرس السادس:

القسم الثالث:

توحيد الأسماء والصفات

تعريف توحيد الأسماء والصفات

هو: الإيمان بما ثبت في الكتاب والسنة من أسماء الله الحسنى وصفاته العلى، على الوجه اللائق به سبحانه وتعالى.
ومعنى الحسنى: البالغة في الحسن غايةً.
والدليل على توحيد الأسماء والصفات:

١. قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾
[الأعراف: ١٨٠].

٢. قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾
[الشورى: ١١].

منهج أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته

يتلخص منهج أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته فيما يلي:

أولاً: إثبات ما أثبتته الله لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ، والإيمان الكامل بجميع أسماء الله وصفاته الواردة في الكتاب والسنة.

ثانياً: إثبات معاني الأسماء والصفات على حقائقها^(١) كما وردت في نصوص الكتاب والسنة، على الوجه اللائق بالله عز وجل، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

ثالثاً: نفي ما نفاه الله عن نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ، واعتقاد أنه تعالى منزّه عن كل عيب ونقص.

قواعد في أسماء الله تعالى

القاعدة الأولى:

(أسماء الله تعالى كلها حسنى).

ومعنى هذا:

- أنّها بالغة في الحسن غايةً.
- وأنّها متضمنة لصفات كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه.

(١) وليس من منهج أهل السنة التفويض، يعني: تفويض المعنى، بل المعنى معلوم بمقتضى لغة العرب، وإنما يفوضون الكيفية لعدم العلم بها، فيكولونها لعالمها، وهذا معنى قولهم: (أمروها كما جاءت بلا كيف)، ومن نسب إلى السلف التفويض وأراد تفويض المعاني فقد غلط عليهم، إذ حقيقة هذا التفويض هي التعطيل.

القاعدة الثانية:

(أسماء الله تعالى توقيفية).

ومعنى هذا: أن نعتمد في إثباتها على ما جاء في الكتاب والسنة الصحيحة، ونقفُ عندهما فلا نزيد عليهما ولا ننقص.

وسبب هذا: أن أسماء الله تعالى من الغيب الذي لا يمكن للإنسان معرفته إلا عن طريق الوحي، ولا أحد أعلم بالله من الله، ولا أحد بعد الله أعلم بالله من رسوله محمد ﷺ، فلا يُسمَّى الله إلا بما سَمَّى به نفسه، أو سَمَّاه به رسوله ﷺ.

أمثلة على أسماء لا يجوز إثباتها لله تعالى لعدم ورودها أو عدم ثبوتها:

- أ- الستار، والوارد: الستير.
- ب- الناصر، والوارد: النصير.
- ت- الوحيد، والوارد: الواحد، والأحد.
- ث- القديم، والوارد: الأول.
- ج- الأب.

القاعدة الثالثة:

(أسماءُ الله تعالى غيرُ محصورةٍ بعددٍ معلومٍ، ولا يعلمُ عددها إلا الله عزَّ وجلَّ).

والدليل على هذا: أن من الدعاء الذي أرشد إليه النبي ﷺ: «أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي». رواه أحمد^(١).

تنبيه: أمَّا حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِئَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ». متفق عليه^(٢).

فلا يدل على حصر أسماء الله تعالى بهذا العدد، وإنما معناه: أن من أحصى هذا العدد من أسماء الله تعالى دخل الجنة، فهو إخبار عن دخول الجنة بإحصاء هذا العدد من الأسماء الحسنى، وليس المقصود أن أسماء الله تعالى محصورة في هذا العدد فقط.

(١) أخرجه أحمد ٣٤١/٧ (٤٣١٨)، وأبو يعلى الموصلي في مسنده ١٩٨/٩ (٥٢٩٧)، وصححه ابن حبان ٢٥٣/٣ (٩٧٢)، والألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٩٩).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب: «إِنَّ لِلَّهِ مِئَةً اسْمًا إِلَّا وَاحِدًا» برقم: (٦٩٥٧)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: «فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَفَضْلِ مَنْ أَحْصَاهَا» برقم: (٢٦٧٧).

قواعد في صفات الله تعالى

القاعدة الأولى:

(صفات الله تعالى صفات كمال لا نقص فيها).

والدليل على هذا: قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾ [النحل: ٦٠]،
والمثل الأعلى هو: الوصف الأعلى والأكمل.

القاعدة الثانية:

(صفات الله توقيفية).

ومعنى هذا: أن نعتمد في إثباتها على ما جاء في الكتاب والسنة
الصحيحة، لا نزيد عليهما ولا ننقص، فلا مجال للعقل فيها.

أمثلة على صفات لا يجوز إثباتها لله تعالى لعدم ورودها:

أ- صفة الأذن، فنثبت له السمع على الوجه اللائق به، ولكن
لا نتعرض لإثبات صفة الأذن أو نفيها لعدم ورودها في
الكتاب والسنة.

ب- القوة الخفية.

ت- مهندس الكون.

ث- العقل الفعال، أو العقل المدبر.

القاعدة الثالثة:

(باب الصفات أوسع من باب الأسماء، لأن كل اسم يُشتق منه صفة، وليس كل صفة يُشتق منها اسم).

مثال هذا:

- اسمُ الله تعالى «العليم»: يُشتقُّ منه صفة، هي صفة «العلم»، وهكذا اسم الله «الكريم» يُشتقُّ منه صفة «الكرم»، واسم الله «السميع» يُشتقُّ منه صفة «السمع».
- صفة الله تعالى «الكلام» لا يُشتقُّ منها اسم، وهكذا صفة «الإرادة»، وصفة «اليد» لا يُشتقُّ منها أسماء.

القاعدة الرابعة:

(نصوص الصفات معلومة المعنى، ولكنها مجهولة الكيفية)

ومعنى هذا: أن معانيها معروفة من لغة العرب واضحة ظاهرة لا غموض فيها، وأما كيفية هذه الصفات فمجهولة لنا، وهذا معنى ما ذكره بعض العلماء من تفويض الكيف، وأما تفويض المعنى فلا يجوز لأنه معلوم ظاهر.

ومن أحسن العبارات التي تكلم بها السلفُ رحمنا الله وإياهم في بيان هذه القاعدة ما قاله الإمام مالك بن أنس رحمه الله، وذلك أن رجلاً سأله

قائلا: الرحمنُ على العرشِ استوى، فكيفَ استوى؟ فسكتَ الإمامُ مالكٌ حتى علتهُ الرُّحَضَاءُ (العَرَقُ)، ثم قال له: الاستواءُ غيرُ مجهولٍ، والكيفُ غيرُ معقولٍ، والإيمانُ به واجبٌ، والسؤالُ عنه بدعةٌ^(١).

(١) ينظر في تخريج هذا الأثر وبيان معناه كتاب: الأثر المشهور عن الإمام مالك رحمه الله في صفة الاستواء، دراسة تحليلية، للشيخ الفاضل الدكتور عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، وقد طبع مستقلا، وفي مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد الحادي عشر بعد المئة، وهو ضمن مجموعة المكتبة الشاملة الإلكترونية.

الدرس السابع: أهمية التوحيد وفضائله

أولاً: أهمية التوحيد

للتوحيد أهمية كبيرة، ومكانة عظيمة، نلخصها فيما يلي:

١- التَّوْحِيدُ هُوَ الْغَايَةُ مِنْ خَلْقِ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ

الغاية من خلق الجن والإنس هي: عبادة الله تعالى وحده لا شريك له.

والدليل على هذا: قول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا

لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

ومعنى الآية الكريمة: ما خلقتهم إلا ليعبدوني وحدي لا يشركون بي شيئاً.

٢- التَّوْحِيدُ هُوَ الْغَايَةُ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا أَرْسَلَ اللَّهُ الرُّسُلَ

عليهم السلام

الحكمة من إرسال الرسل هي: الأمر بالتوحيد، والنهي عن الشرك.

والدليل على هذا: قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا

أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

والطاغوت هو: كل ما عبد من دون الله وهو راضٍ.

٣- التَّوْحِيدُ أَوَّلُ الْوَاجِبَاتِ وَأَهْمُهَا

أَوَّلُ مَا يَجِبُ عَلَى الْعِبَادِ تَوْحِيدُ اللَّهِ تَعَالَى.

والدليل على هذا: حديثُ عبدِ الله بنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ: «إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ» متفق عليه^(١).

وفي روايةٍ للبخاري: «فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى»^(٢).

٤- التَّوْحِيدُ أَسَاسُ قَبُولِ الْأَعْمَالِ

توحيد الله تعالى هو أساسُ قبولِ كلِّ عملٍ، فإن الله تعالى لا يقبلُ عملَ المشركين، وإن كان في ظاهره عملاً صالحاً؛ كالصدقةِ والبرِّ ونحو ذلك.

والدليل على هذا:

قولُ الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لِیَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

(١) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء وتُرَدُّ في الفقراء حيث كانوا برقم: (١٤٢٥)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام برقم (١٩).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى برقم: (٦٩٣٧).

٥- التَّوْحِيدُ أَعْظَمُ حَقُوقِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ

التوحيد هو أعظم حقوق الله تعالى على عباده.
والدليل على هذا: حديث عن مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قال: كنتُ رَدَفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ على حِمَارٍ يُقَالُ لَهُ: (عُفَيْرٌ).
قال: فقال: «يَا مُعَاذُ، تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ وما حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ».

قال: قلتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.
قال: «فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا».
قال: قلتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا أُبَشِّرُ النَّاسَ؟
قال: «لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَكَلَّبُوا». متفق عليه^(١).

ثانياً: فضائل التوحيد

توحيد الله تعالى أول الواجبات وأعظمها، وهو غاية الوجود، وله فضائل كثيرة أهمها ما يلي:

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب اسم الفرس والحمار، برقم: (٢٧٠١)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً برقم (٣٠)، والرَّدَف والرَّدِيف هو: الذي تحمله خلفك على ظهر الدابة.

الفضيلة الأولى: الأمن في الدنيا والآخرة.

الفضيلة الثانية: الهداية التامة إلى الصراط المستقيم.

والدليل على هاتين الفضيلتين: قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]. ومعنى الآية الكريمة: أن من وحد الله تعالى ولم يخلط توحيدَه بشركٍ فله الأمن الكامل عند الله تعالى، وهو صاحب الهداية التامة، والظلم هنا هو الشرك.

الفضيلة الثالثة: أن الله تعالى أوجب على نفسه أن لا يعذب من لا

يشرك به شيئاً.

لقد تفضلَ الله تعالى على عباده الموحدين بأن جعل لهم حقاً أوجبَه على نفسه تكرماً منه وفضلاً، وهو: أن من وحدَه ولم يشرك به شيئاً أدخله الجنة ولم يعذبه، وذلك هو جزاء أهل التوحيد.

والدليل على هذا: حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه، وفيه أن النبي ﷺ قال: «وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ لَا يُعَذَّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً». متفق عليه^(١).

(١) متفق عليه، وتقدم تخريجه قريباً.

الفضيلة الرابعة: تكفير الذنوب.

مَنْ وَحَّدَ اللَّهَ تَعَالَى وَلَمْ يَشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَمَاتَ عَلَى ذَلِكَ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى - إِذَا شَاءَ - غَفَرَ لَهُ ذُنُوبَهُ جَمِيعًا، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى سَعَةِ رَحْمَةِ اللَّهِ وَجُودِهِ عَلَى أَهْلِ التَّوْحِيدِ، كَمَا يَدُلُّ عَلَى كَثَرَةِ ثَوَابِ التَّوْحِيدِ وَتَكْفِيرِهِ الذَّنُوبَ.

والدليل على هذا: حديثُ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ لَقِيََنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئَةً لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَقِيْتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً». رواه مسلم^(١).

الفضيلة الخامسة: تحريم النار على أهل التوحيد الكامل.

مَنْ شَهِدَ بِالتَّوْحِيدِ، وَعَمِلَ بِمَقْتَضَاهُ، مُخْلِصًا لِلَّهِ تَعَالَى فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَحْرِّمُهُ عَلَى النَّارِ.

والدليل على هذا: حديثُ مَحْمُودِ بْنِ الرَّبِيعِ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ عِتْبَانَ بْنَ مَالِكٍ الْأَنْصَارِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَخْبَرَهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ يَنْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ». متفق عليه^(٢).

(١) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله تعالى برقم: (٢٦٨٧)، ومعنى «بقُرَابِ الْأَرْضِ»: ملؤها أو ما يقارب ملأها، ومعنى «لا يشرك بي شيئا»: مات سالما من الشرك قليله وكثيره، صغيره وكبيره.

(٢) أخرجه البخاري في أبواب المساجد، باب المساجد في البيوت، برقم: (٤١٥)، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعدد برقم: (٣٣).

الفضيلة السادسة : ثَقْلُهُ فِي مِيزَانِ الْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

التوحيد أثقل شيء في ميزان المؤمن يوم القيامة، والدليل على هذا: حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ نُوحًا ﷺ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ لِابْنِهِ: إِنِّي قَاصٌّ عَلَيْكَ الْوَصِيَّةَ: أَمْرُكَ بِاثْنَتَيْنِ، وَأَنْهَاكَ عَنْ اثْنَتَيْنِ، أَمْرُكَ بِإِلَهِ إِلَّا اللَّهُ، فَإِنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ، وَالْأَرْضَيْنِ السَّبْعَ، لَوْ وُضِعَتْ فِي كِفَّةٍ، وَوُضِعَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي كِفَّةٍ، رَجَحَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ، وَالْأَرْضَيْنِ السَّبْعَ، كُنَّ حَلَقَةً مُبْهَمَةً، قَصَمْتُهُنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، فَإِنَّهَا صَلَاةٌ كُلُّ شَيْءٍ، وَبِهَا يُرْزَقُ الْخَلْقُ، وَأَنْهَاكَ عَنِ الشِّرْكِ، وَالْكِبْرِ». رواه أحمد^(١).

الفضيلة السابعة : دخول الجنة.

مَنْ شَهِدَ بِالتَّوْحِيدِ وَعَمِلَ بِهِ وَمَاتَ عَلَيْهِ فَمَصِيرُهُ إِلَى الْجَنَّةِ وَإِنْ كَانَ مُقَصِّرًا فِي عَمَلِهِ، مَرْتَكِبًا بَعْضَ الذُّنُوبِ الَّتِي لَا تَخْرُجُهُ مِنَ التَّوْحِيدِ، وَهَذَا

(١) أخرجه أحمد ١١/١٥٠ (٦٥٨٣)، والحاكم ١/٤٩، والبخاري في الأدب المفرد (٥٤٨)، قال الحاكم: صحيح الإسناد، وقال ابن كثير (البداية والنهاية ١/١١٩): إسناده صحيح، وصححه أحمد شاكر في شرح المسند برقم: (٦٥٨٣، ٧١٠١)، والألباني في السلسلة الصحيحة رقم (١٣٤)، ومعنى «قَصَمْتُهُنَّ»: قَطَعْتُهُنَّ وَكَسَرْتُهُنَّ.

يدلُّ على عِظَم فضلِ التوحيد، وأن حَسَنَةَ التوحيد العظيمة ترجحُ بجميع السيئات.

والدليل على هذا: حديثُ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ»^(١). والمعنى: أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ عِنْدَهُ مِنْ تَقْصِيرٍ.

الفضيلة الثامنة: أن مَنْ حَقَّقَ التَّوْحِيدَ دَخَلَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا

عَذَابٍ.

والدليل على هذا: حديثُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَوْمًا فَقَالَ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، فَجَعَلَ يَمُرُّ النَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلُ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، وَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الْأُفُقَ فَرَجَوْتُ أَنْ يَكُونَ أُمَّتِي، فَقِيلَ: هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ، ثُمَّ قِيلَ لِي: انْظُرْ، فَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الْأُفُقَ، فَقِيلَ لِي: انْظُرْ

(١) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ) برقم: (٣٢٥٢)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب مَنْ لَقِيَ اللَّهَ بِالْإِيمَانِ وَهُوَ غَيْرُ شَاكٍّ فِيهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَحَرَّمَ عَلَى النَّارِ برقم: (٢٨)، ومعنى «كَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ»: كَلِمَةُ (كُنَ) الَّتِي أَرْسَلَ اللَّهُ بِهَا جِبْرَائِيلَ إِلَى مَرْيَمَ، فَنفخَ فِي جَيْبِ دِرْعِهَا، ومعنى «وَرُوحٌ مِنْهُ»: رُوحٌ مِنَ الْأَرْوَاحِ الَّتِي خَلَقَهَا اللَّهُ تَعَالَى.

هَكَذَا وَهَكَذَا، فَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الْأُفُقَ، فَقِيلَ: هَؤُلَاءِ أُمَّتُكَ، وَمَعَ هَؤُلَاءِ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ».

فَتَفَرَّقَ النَّاسُ وَلَمْ يُبَيِّنْ لَهُمْ، فَتَذَكَّرَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا: أَمَّا نَحْنُ فَوُلَدُنَا فِي الشِّرْكِ، وَلَكِنَّا آمَنَّا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَلَكِنْ هَؤُلَاءِ هُمْ أَبْنَاؤُنَا، فَبَلَغَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «هُمْ الَّذِينَ لَا يَتَطَيَّرُونَ^(١)، وَلَا يَسْتَرْقُونَ^(٢)، وَلَا يَكْتُمُونَ^(٣)، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ».

فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنِ فَقَالَ: أَمِنْهُمْ أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟
قَالَ: «نَعَمْ».

فَقَامَ آخَرُ فَقَالَ: أَمِنْهُمْ أَنَا؟

فَقَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ». متفق عليه^(٤).

(١) التطيُّر هو: التشاؤم بالطيور وغيرها.

(٢) الاسترقاء هو: طلب الرقية من الآخرين، فلا يطلبون من أحد أن يرقِّيهم توكلاً على الله تعالى.

(٣) الاكتواء هو: طلب الكيِّ لعلاج بعض الأمراض، فلا يسألون غيرهم أن يكوِّبهم توكلاً على الله تعالى.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب من لم يرقِّ برقم: (٥٤٢٠)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب برقم (٢٢٠)، والرهط: الجماعة دون العشرة، وقوله: سوادا كثيرا: أي: أشخاصا كثيرين من بُعد لا أدري من هم، وقوله: فتذكر أصحاب النبي ﷺ، أي: تباحثوا في شأن السبعين ألفا؛ بأي عمل نالوا هذه الدرجة؟

الدرس الثامن: الدعوة إلى التوحيد

وجوب الدعوة إلى التوحيد

إذا عرفَ المسلم حقيقة التوحيد فإن الواجب عليه أن يدعو غيره إليه،
ليكون من ورثة الأنبياء عليهم السلام وعلى سبيلهم.
والدليل على هذا:

- ١- قول الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ
وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ
وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥].
- ٢- قول الله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ
اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

التوحيد هو أول ما يجب أن يدعى إليه الناس

يجب على الدعوة إلى الله تعالى أن يبدؤوا دعوتهم للناس بتوحيد الله
تعالى، وتحذيرهم من الشرك، فالتوحيد هو أساس الدين، وهو أهم ما
يجب أن يعتني به الدعوة إلى الله تعالى.

والدليل على هذا: حديث عبد الله بن عباسٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ حينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ: «إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ» متفق عليه^(١).

وفي رواية: «فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى»^(٢).
وفي رواية: «فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللَّهِ»^(٣).

لماذا كانت البداءة في الدعوة بالتوحيد؟

لبداءة الدعوة بالتوحيد أسباب أهمها:

- ١ - أن التوحيد هو أول الواجبات.
- ٢ - أن التوحيد هو مفتاح الدخول إلى الإسلام.

(١) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء وتُرَدُّ في الفقراء حيث كانوا برقم: (١٤٢٥)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، برقم: (١٩)، وأهل الكتاب هم: اليهود والنصارى.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى برقم: (٦٩٣٧).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب لا تُؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة، برقم: (١٣٨٩)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، برقم: (١٩).

٣- أن الله تعالى لا يقبل عملاً صالحاً - في ظاهره - بغير التوحيد،
مهما بلغ، ومهما انتفع به الناس.

فضل الدعوة إلى التوحيد

للدعوة إلى التوحيد فضائل كثيرة، منها:

١- أن هداية شخصٍ واحدٍ إلى الإسلام خيرٌ من المال الكثير يملكه
الشخص.

والدليل على هذا: حديث سهل بن سعد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لِعَلِيِّ
بن أبي طالب رضي الله عنه يومَ خيبر: «انفذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ
ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ، فَوَاللَّهِ لَأَنْ
يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ»^(١).
٢- أن الدعوة إلى التوحيد أفضل الأعمال وأحسنها.

والدليل على هذا: قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ
وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [٣٣]، يعني: لا أحد
أحسن قولاً منه، ولا أكثر ثواباً من عمله.

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب مناقب علي بن أبي طالب برقم:
(٣٤٩٨)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه
برقم: (٢٤٠٦)، وقوله: «انفذْ عَلَى رِسْلِكَ»: امضْ بِرِفْقٍ وَتَوَدَّةٍ وَلِينٍ، و«حُمْرُ النَّعَمِ»:
الإبل الحمر، وهي أنفس أنواع الإبل.

٣- أن مَنْ اهتدى على يديه شخصٌ إلى الإسلام فكلُّ ما يعملُه مِنْ الصالحاتِ مِنَ التوحيد والصلاة والزكاة والصيام والحج وغيرها فله مثل أجره، مِنْ غير أن ينقص من أجر هذا المدعو شيئاً. والدليل على هذا: حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورٍ مِنْ تَبِعِهِ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً». رواه مسلم^(١).

٤- أن الدعوة إلى التوحيد إنقاذٌ للناسِ مِنْ نار جهنم. والدليل على هذا: أن النبي ﷺ لَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، دَعَا قُرَيْشًا، فَاجْتَمَعُوا فَكَانَ يَدْعُوهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ويقول لهم: «أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ». رواه مسلم^(٢).

أول ما دعى إليه الأنبياء عليهم السلام، وأول ما أنكروه

أول ما دعى إليه الأنبياء عليهم السلام هو: التوحيد، وأول ما أنكروه عليهم السلام هو: الشرك.

(١) أخرجه مسلم في كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة، برقم: (٢٦٧٤).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب في قوله تعالى: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ)، برقم: (٢٠٤)، وأصله في البخاري بلفظ آخر في كتاب الوصايا، باب هل يدخل النساء والولد في الأقارب؟ برقم: (٢٦٠٢).

١ - قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

٢ - قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [المؤمنون: ٢٣].

دعوة النبي ﷺ إلى التوحيد ونبذ الشرك

النبي ﷺ خاتم الأنبياء وأفضلهم، وقد سار على ما سار عليه جميع الأنبياء عليهم السلام، فكانت دعوته قائمة على الأمر بتوحيد الله وإخلاص العبادة له وحده، ونبذ الشرك والتحذير منه.

١ - كان من أوائل ما نزل على النبي ﷺ من القرآن الكريم وأمر به

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدْيَنِيُّ ۖ قُمْ فَاذْهَبْ ۚ وَرَبُّكَ فَكَثِيرٌ ۚ وَيَا أَيُّهَا فَطَهْرٌ ۚ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۚ﴾ [المدثر: ١-٥].

ومعنى: ﴿وَرَبُّكَ فَكَثِيرٌ﴾: عظمه بالتوحيد.

﴿وَيَا أَيُّهَا فَطَهْرٌ﴾: طهر أعمالك من الشرك.

﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾: اهجر الشرك وابتعد عنه.

٢ - قال ربيعة بن عباد^(١) الديلي رحمه الله: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَصَرَ عَيْنِي بِسُوقِ ذِي الْمَجَازِ، يَقُولُ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا: لَا إِلَهَ

(١) قال الحافظ ابن حجر: بكسر المهملة، وتخفيف الموحدة، قاله ابن معين وغيره. (الإصابة في تمييز الصحابة ٢/٣٩٠).

إِلَّا اللَّهُ، تُفْلِحُوا»، وَيَدْخُلُ فِي فَجَاجِهَا، وَالنَّاسُ مُتَقَصِّفُونَ عَلَيْهِ، فَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا يَقُولُ شَيْئًا، وَهُوَ لَا يَسْكُتُ، يَقُولُ: «أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، تُفْلِحُوا»^(١).

الدعوة إلى التوحيد هي سبيل أتباع النبي ﷺ

الواجب على جميع أتباع النبي ﷺ إلى يوم القيامة: الدعوة إلى توحيد الله تعالى، والتحذير من الشرك، وأتباع نهج النبي ﷺ في ذلك وأصحابه رضي الله عنهم.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]، والمعنى: يا محمد أخبر الناس أن هذه هي طريقتك، وهي الدعوة إلى الله تعالى على بصيرة. **والبصيرة هي:** المعرفة اليقينية التي يميّز بها بين الحق والباطل، ثم نزه الله تعالى عن الشرك ليبين أن دعوته قائمة على التوحيد، ونفي الشرك.

(١) أخرجه عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ فِي زَوَائِدِ الْمُسْنَدِ ٢٥/٤٠٤-٤٠٥، والحاكم في المستدرک على الصحيحين ١/٦١، والطبرانی في المعجم الكبير ٥/٦١، وصححه الألبانی في دفاع عن الحديث النبوي ص ٢٢، ومعنى مُتَقَصِّفُونَ عليه: مجتمعون، وسُوقُ ذِي الْمَجَازِ: سوق من أسواق الجاهلية كانوا يجتمعون فيه قبيل موسم الحج، في موضع قريب من عرفات، أسفل جبل يقال له كبكب، يبعد الآن عن أميال الحرم قرابة ثمانية كيلو مترات، وقد سَوَّرت منطقته بشبك حديدي، وهي ضمن حي بمكة يقال له الآن الراشدية. (ينظر: معجم البلدان، لياقوت الحموي ٥/٥٥، وأسواق العرب في الجاهلية والإسلام، لسعيد الأفغاني ص ٣٤٧، وعدة صحف ومواقع إلكترونية على الشبكة).

الدرس التاسع: حقيقة الشرك وأنواعه

أهمية معرفة الشرك

الشرك ضدُّ التوحيد، وقد تكاثرت النصوص في الكتاب والسنة في بيان الشرك إجمالاً وتفصيلاً، فحذرت من الشرك، وبيّنت صورَه، وذكرَت شُبّهَ المشركين، ودعوة الرسل لهم لاجتناب الشرك، وتمسُّكهم بما وجدوا عليه آباءهم وأجدادهم من الأعمال الشركية، ونحو ذلك.

والفائدة الكبرى من هذا: تمييز الحق من الباطل، والتوحيد من الشرك، إذ لولا الظلام ما عُرف النور، ولولا الشر ما استبان الخير، فلهذا كان واجباً على المسلم أن يعرف الشرك ليحذر منه، ويتجنبه، ويحافظ على توحيده من الخلل.

تعريفُ الشرك

الشركُّ هو: جَعْلُ شَرِيكِ مع الله تعالى.

أنواعُ الشرك

الشرك نوعان:

النوعُ الأولُ: الشركُ الأكبر، وهو: جَعْلُ شَرِيكِ مع الله تعالى في

رُبُوبِيَّتِهِ، أو أُلُوهِيَّتِهِ، أو أَسْمَائِهِ وصفاته.

أمثلته:

- ١ - اعتقادُ أنَّ غيرَ الله يمكنه التصرفُ في الكون.
 - ٢ - دُعاءُ غيرِ الله، مثلُ: دعاء الملائكة، أو الأنبياء، أو الأولياء والصالحين.
 - ٣ - الذبحُ لغيرِ الله، مثلُ: الذبح لأصحاب الأضرحة والقبور وغيرهم.
- النوع الثاني: الشُّرك الأصغر، وهو:** ما وَرَدَ في الكتاب والسنة تسميته شُرْكًا، ولم يَصِلْ إلى حدِّ الشُّرك الأكبر.

أمثلته:

- ١ - الحَلْفُ بغيرِ الله.
- ٢ - قولُ: ما شاء الله وشئت.
- ٣ - قولُ: لولا الله وفلان.

الفرق بين الشُّرك الأكبر والأصغر:

م	الشُّرك الأكبر	الشُّرك الأصغر
١	يُخرج من الإسلام.	لا يُخرج من الإسلام.
٢	لا يُغفر لصاحبه أبدًا، ولكن	لا يغفره الله تعالى، ولكن من

من تاب منه قبل موته توبة صحيحة تاب الله عليه.	تاب منه قبل موته توبة صحيحة تاب الله عليه، وإذا لم يتب فإن حصل معه حسنات راجحة على ذنوبه دخل الجنة، وإلا دخل النار حتى ينقى من ذنوبه، ثم يدخل الجنة.
٣ يُحِبُّ جَمِيعَ الْأَعْمَالِ.	يُحِبُّ الْعَمَلَ الَّذِي قَارَنَهُ.
٤ صاحبه خالدٌ مخلدٌ في النار.	صاحبه لا يخلد في النار.

الوصايا العشر، وأولها: ترك الشرك

لقد وصَّى الله تعالى عباده المؤمنين في كتابه الكريم بوصايا كثيرة، من أهمها: (الوصايا العشر) التي تضمنتها ثلاث آيات من سورة الأنعام، وهي قول الله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾، إلى قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُصَلِّكُمْ بِهِ لَعَنَّاكُمْ نَتَقَرُّنَ﴾ [الأنعام: ١٥١-١٥٣]، فكانت أول وصية لله جل في علاه: النهي عن الشرك، وبدأ به لأهميته الكبرى؛ إذ لا يقبل الله تعالى من أحدٍ عملاً وهو مشركٌ، فلو عمل بجميع الوصايا وهو مشرك لم ينفعه ذلك.

عبادة الله تعالى لا تصح إلا باجتناب الشرك

لا يقبل الله تعالى مع الشرك عملاً وإن كان في ظاهره صالحاً؛ كالصدقة والبر، والدليل على هذا:

١ - قول الله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦].

٢ - قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

الشرك من أصول المحرمات التي اتفق عليها الأنبياء عليهم السلام

أصول المحرمات التي اتفق عليها الأنبياء أربعة هي:

١ - الفواحش.

٢ - البغي.

٣ - الشرك.

٤ - القول على الله بغير علم.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: هذه الأربعة المذكورة في الآية هي أصول المحرمات في جميع الشرائع، وبتحريمها بعث الله جميع الرسل، ولم يُح منها شيئاً قط، ولا في حال من الأحوال. اهـ^(١)

وجوب البراءة من كل ما يُعبد من دون الله

التوحيد الخالص الذي لا يقبل الله تعالى غيره لا يكون إلا بإخلاص العبادة لله، والبراءة من عبادة كل ما سواه، فلا يكفي في التوحيد مجرد التلطف بكلمة (لا إله إلا الله)، بل لابد أن يضاف إليه الكفر بما يعبد من دون الله^(٢)، والأدلة على هذا كثيرة منها:

- ١ - قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ۖ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ۖ﴾ [الرَّحُوف: ٢٦-٢٧].

(١) مجموع من كلامه في موضعين بتصرف يسير: مجموع الفتاوى ٤٧٠/١٤، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ١٥٦/٤، وانظر أيضاً: الجواب الصحيح ٣٣/٦، وكلام ابن القيم نحوه في مدارج السالكين ٣٧٨/١، ومفتاح دار السعادة ١٥٦/١.

(٢) قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى: (وهذا من أعظم ما يبين معنى لا إله إلا الله، فإنه لم يجعل التلطف بها عاصماً للدم والمال، بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله، فإن شك أو توقف لم يحرم ماله ولا دمه، فإياها من مسألة ما أعظمها وأجلها، وإياها من بيان ما أوضحه، وحجة ما أقطعها للمنازع). كتاب التوحيد ص ٣٥.

٢- قول الله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ

يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا

أَنْفَصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ [البقرة: ٢٦٥].

٣- حديث طارق بن أشيم الأشجعي رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ

ﷺ يَقُولُ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ

اللَّهِ، حَرَّمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ» رواه مسلم^(١).

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله، برقم: (٢٣).

الدرس العاشر: خطر الشرك، ووجوب الحذر منه

الشرك أعظم الذنوب

الشرك أعظم الذنوب، الدليل على ذلك:

- ١ - قولُ الله تعالى في وصايا لقمان لابنه: ﴿يَبْنَى لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ۚ
- إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].
- ٢ - حديثُ عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ رضي الله عنه قال: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الذَّنْبِ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ»، قلتُ: إِنَّ ذَلِكَ لَعَظِيمٌ، قلتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «وَأَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ تَخَافُ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ»، قلتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ»^(١).

الشرك أعظم أنواع الظلم

الظلم: وضع الشيء في غير موضعه.

وهو ثلاثة أنواع:

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، تفسير سورة البقرة، باب قوله تعالى: (فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ)، برقم: (٤٢٠٧)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب كَوْنِ الشِّرْكِ أَكْبَرُ الذُّنُوبِ وَبَيَانِ أَكْبَرِهَا بَعْدَهُ، برقم: (٨٦).

- النوع الأول: ظلم الإنسان غيره من إنسان أو حيوان.
- النوع الثاني: ظلم الإنسان نفسه، ويكون بإسرافه عليها بفعل الذنوب والمعاصي، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠].
- النوع الثالث: الظلم العظيم، وهو الشرك بالله تعالى، وهو أعظم أنواع الظلم، وقد جاء إطلاق الظلم على الشرك في آيات كثيرة، منها:
- ١- قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٦].
- ٢- قول الله تعالى في وصايا لقمان لابنه: ﴿يَبْنِي لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّكَ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

الشرك لا يغفره الله تعالى

من أشرك بالله تعالى ومات على الشرك ولم يتب منه فإن الله تعالى لا يغفر الله له.

والدليل قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ

لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

ما دون الشُّرك من الذنوب

إذا أذنب الموحّد ذنباً دون الشُّرك فَلَهُ حَالَانِ:

١- أن يتوبَ مِنَ الذنبِ قَبْلَ موته توبةً صحيحةً، فهذا يتوب الله عليه.

٢- أن يموتَ ولم يتبَ مِنْ ذنوبه، فهذا داخل تحت مشيئة الله تعالى: إن شاء غَفَرَ له، وإن شاء عَذَّبَه حتى يتطهَّرَ مِنْ ذنوبه، ثم أدخله الجنة بعد ذلك.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

مَنْ مَاتَ عَلَى الشُّرْكِ دَخَلَ النَّارَ

مَنْ مَاتَ وهو يشرك بالله تعالى شركاً أكبر فهو في النار خالداً مخلداً فيها.

والدليل على هذا: حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مسعود رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ نَدَاً دَخَلَ النَّارَ» رواه البخاري^(١).

(١) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن، تفسير سورة البقرة، بَابُ قَوْلِهِ: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ)، برقم: (٤٢٢٧)، والنَّد: السِّمْل والشبيه.

لا ينفع مع الشرك عمل

لا ينفع مع الشرك عمل صالح، فمن مات وهو يشرك بالله الشرك الأكبر فهو من أهل النار، ولو كان من أعبد الناس.

والدليل على ذلك: حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ» رواه مسلم^(١).

الشرك افتراء عظيم

وصف الله تعالى الشرك بأنه افتراء عظيم، فقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨]، وإنما كان افتراءً لإثم عظيم، لأنه اشتمل على أمرين خطيرين كاذبين. وأولهما: الافتراء على الله تعالى بتسوية غيره به، وثانيهما: تنقص رب العالمين، بصرف خالص حقه لغيره.

الشرك ضلال بعيد

وصف الله تعالى الشرك بأنه ضلال بعيد، فقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦].

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ومن مات مشركاً دخل النار برقم: (٩٣).

وسبب كونه ضالاً بعيداً: أنه بالشرك قد ابتعد عن الحق والهدى بعداً شديداً، وبهذا يكون قد ابتعد عن رحمة الله ومغفرته، فلا يرجى لصاحبه رحمة ولا مغفرة.

كثرة وقوع الشرك

الشرك يقع في الناس بكثرة، والدليل قول الله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦]، فواجب على المسلم الحذر أن لا يكون من هؤلاء الكثير.

وجوب الحذر من الشرك

يجب على المسلم أن يخاف الشرك على نفسه، ويحذر من الوقوع فيه، ويتجنب جميع الأسباب المفضية إليه من البدع والوسائل الشركية بأنواعها؛ كالبناء على القبور، واتخاذ الأضرحة، وبناء المساجد على القبور، وذلك لخطورته وشناعة عاقبته.

ومما يدل على ذلك:

١- قول الله تعالى فيما قصّه عن خليله إبراهيم عليه السلام أنه قال:

﴿وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]، فإذا كان الخليل عليه السلام يخاف أن يقع في الشرك، فمن دونه

بمراتب أولى بالخوف من الوقوع فيه، قال إبراهيم التيمي رحمه

الله: مَنْ يَأْمَنُ مِنَ الْبَلَاءِ بَعْدَ خَلِيلِ اللَّهِ إِبْرَاهِيمَ ^(١)؟!

٢- حديث أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوَيْقَاتِ»، قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسَّحَرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ». متفق عليه ^(٢).

والاجتناب هو: الإبتعاد عن الشيء في ذاته، والإبتعاد عن جميع الأسباب الموصلة إليه.

٣- حديث محمود بن لبيد الأنصاري رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ»، قالوا: وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا فَاَنْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ حَزَاءً» رواه أحمد ^(٣).

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ١٧/١٧.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المحاريب، باب رمي المحصنات، برقم: (٦٤٦٥)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، برقم: (٨٩).

(٣) أخرجه أحمد ٣٩/٣٩ (٢٣٦٣٠)، (٢٣٦٣١)، والبيهقي في شعب الإيمان ١٥٤/٩ (٦٤١٢) قال الحافظ ابن حجر: إسناده حسن. (بلوغ المرام ٢/٢١٢)، وقال المنذري (الترغيب والترهيب ١/٦٩): إسناده جيد، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٩٥١).

الدرس الحادي عشر: الشُّركُ في الرُّبوبيَّة وفي الألوهيَّة

أولاً: الشُّركُ في الرُّبوبيَّة

المراد بالشُّرك في الرُّبوبيَّة

المراد بالشُّرك في الرُّبوبيَّة: جَعَلَ شريكاً مَعَ اللَّهِ تعالى في ربوبيَّته.
مثل:

- ١ - اعتقادُ وجود خالق مع الله تعالى.
- ٢ - اعتقادُ أن لأحدٍ القدرة على التصرف في الكون غير الله تعالى.
- ٣ - اعتقادُ أن لأحدٍ القدرة على النفع والضرر غير الله تعالى.
- ٤ - اعتقادُ أن أحداً يعلم الغيبَ غير الله تعالى.

حكم الشُّرك في الرُّبوبيَّة

الشُّرك في الرُّبوبيَّة شركٌ أكبرٌ مخرجٌ من مِلَّةِ الإسلام.

المراد بتدبير الكون والتصرف فيه

تدبير الكون هو: التصرف في شؤونه، وتسيير أموره.
ومن ذلك: طلوع الشمس، وغروبها، وجريان القمر في منازلها،

وإنزال المطر أو حبسه، والإحياء والإماتة، وإجراء الأرزاق على العباد.

الله وحده هو الذي يدبر الكون وبيده كل شيء

تدبير الكون وتصريف شؤونه كله بيد الله تعالى، فهو الذي يرفع ويخفض، وهو الذي يحيي ويميت، وهو الذي بيده تسيير الأفلاك والأجرام السماوية قريبا وبعيدا صغيرها وكبيرها، والأرض كلها بما فيها ومن فيها، والسماوات كلها بمن فيها وما فيها؛ كل ذلك بيده سبحانه وتعالى، فهو مالك الملك، وما لأحد معه من شيء جل في علاه، واعتقادنا بذلك كله من مقتضى الإيمان بربوبيته تعالى.

١- قال الله تعالى: قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ

وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ

الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا نُنْقِزُ ﴿٣١﴾

[يونس: ٣١].

٢- قال الله تعالى: قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ

تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ

مُسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾

[الرعد: ٢].

مَنْ زَعَمَ أَنَّ أَحَدًا لَهُ تَدْبِيرُ شَيْءٍ فِي الْكَوْنِ فَقَدْ أَشْرَكَ

تعتقدُ بعضُ الفرق الضالَّة الغالِية المنتسبة للإسلام كالرافضة والقبورية أن لبعض الأولياء أو الصالحين أو الأئمة القدرة على التصرف في الكون وتديره، وهذا شركٌ أكبر في الربوبية، فإن الذي يدبِّر الكون هو الله جل في علاه، فمن زعم أن أحدًا يدبِّر الكون كله أو بعضه فقد ادَّعى شريكًا مع الله تعالى في ربوبيته، وهذا من الشُّرك الأكبر المخرج عن مِلَّة الإسلام. والإنسان مهما كان لا يملك تدبير نفسه فكيف يملك تدبير الكون الفسيح.

١- قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۚ وَالَّذِينَ

تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾﴾ [فاطر: ١٣].

٢- قال الله تعالى: ﴿قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا

يَمْلِكُونَ مِنْقَال ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ

فِيهِمَا مِنْ شَرِكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [سبأ: ٢٢].

ثانيًا: الشُّركُ في الألوهية

المراد بالشُّرك في الألوهية

المراد بالشُّرك في الألوهية: صَرَفُ شَيْءٍ مِنَ الْعِبَادَةِ لِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى.
مثل:

- ١ - محبة أحدٍ مثل محبة الله تعالى، أو أكثر من محبة الله تعالى، بحيث يخضع له، ويتذل له، ويعظمه كتعظيم الله تعالى أو أكثر.
- ٢ - الخوف من غير الله تعالى في أمرٍ لا يقدر عليه إلا الله.
- ٣ - رجاء غير الله تعالى فيما هو من خصائص الله تعالى.
- ٤ - التَّوَكُّلُ على غير الله في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله.
- ٥ - دُعَاءُ غير الله تعالى.
- ٦ - الاسْتِعَاثَةُ بغير الله تعالى فيما لا يقدر عليه إلا الله.
- ٧ - النَّذْرُ لغير الله تعالى^(١).

حكم الشُّرك في الألوهية

الشُّرك في الألوهية شركٌ أكبرٌ مخرجٌ من مِلَّةِ الإسلام.

(١) سيأتي توضيح كل واحد من هذه الأمثلة في موضوع مستقل في المستوى الثاني بإذن الله تعالى.

الشرك في الألوهية هو أكثر شرك الجاهلية

كان عامة شرك المشركين في الجاهلية هو الشرك في الألوهية، وسبب ذلك: أنهم اتخذوا مع الله تعالى آلهة يعبدونهم من دون الله بأنواع من العبادة، فيدعونهم من دون الله، ويستغيثون بهم من دون الله، ويدبحون لهم من دون الله ويقربون لهم القرابين.

فبعث الله تعالى رسوله ﷺ ينهاهم عن هذا النوع من الشرك، ويأمرهم بإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، وترك عبادة ما سواه من الآلهة الباطلة.

عن ربيعة بن عباد الديلي رضي الله عنه: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَصَرَ عَيْنِي بِسُوقِ ذِي الْمَجَازِ، يَقُولُ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، تُفْلِحُوا»، وَيَدْخُلُ فِي فِجَاجِهَا، وَالنَّاسُ مُتَقَصِّفُونَ عَلَيْهِ، فَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا يَقُولُ شَيْئًا، وَهُوَ لَا يَسْكُتُ، يَقُولُ: «أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، تُفْلِحُوا»^(١).

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند ٢٥/٤٠٤-٤٠٥، والحاكم في المستدرک علی الصحیحین ٦١/١، والطبرانی في المعجم الكبير ٦١/٥، وصححه الألباني في دفاع عن الحديث النبوي ص ٢٢.

جميع الأنبياء عليهم السلام بُعثوا بالدعوة لتوحيد الألوهية

أرسل الله تعالى جميع الرسل عليهم السلام للدعوة إلى توحيد الألوهية، والنهي عن الشرك في الألوهية، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

الدرس الثاني عشر: حماية النبي ﷺ للتوحيد، وسدُّ الطرق الموصلة إلى الشُّرك

تمهيد

وصَفَ الله رسوله ﷺ بالحرص على أمته، ورحمته بهم، وشفقته عليهم أن يلحق بهم العنت والمشقة فقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]^(١).

وَمِنَ ذَلِكَ: أَنَّهُ ﷺ أُنْذِرَ أُمَّتَهُ وَحَذَرَهُمَ عَنِ الشُّرْكِ الَّذِي هُوَ أَعْظَمُ الذُّنُوبِ، وَنَهَاغَهُمْ عَنِ جَمِيعِ الذَّرَائِعِ الْمَوْصِلَةِ إِلَيْهِ كَمَا سَنَبِينِ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

نهيهِ ﷺ عن اتخاذ قبره عيداً

نَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنِ اتِّخَاذِ قَبْرِهِ عِيدًا لِثَلَاثِ أَشْيَاءٍ يَكُونُ ذَلِكَ ذَرِيعَةً وَوَسِيلَةً لِّعِبَادَتِهِ مِنْ دُونِ اللَّهِ تَعَالَى، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

(١) معنى قوله تعالى: (ما عنتم) أي: شديد عليه جداً ما بُعِثَ أُمَّتَهُ، وَيُؤَدِّي إِلَى لِحَاقِ الْأَذَى وَالْمَشَقَّةِ وَالضَّرَرِ بِهَا.

«لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُ». رواه أحمد وأبو داود^(١).

وقد دلَّ الحديثُ على مسائل منها:

الأولى: تحريم اتخاذ قبر النبي ﷺ عيدًا، بأن يعتاد المحيي إليه على وجه مخصوص، واجتماع معهود، كما هو حال الأعياد، ومن ذلك: أن يتخذ قبره عيدًا للصلاة والدعاء وغير ذلك من وسائل الشرك، كما اتخذ المشركون أعيادًا زمانية ومكانية.

الثانية: إذا كان هذا حرامًا في قبر النبي ﷺ فمن باب أولى أن يكون حرامًا في جميع القبور؛ لأن قبره ﷺ أفضل قبر على وجه الأرض، وقد نهى عن اتخاذ عيدًا، فقبر غيره أولى بالنهي كائنًا من كان.

الثالثة: تحريم قصد القبور والمشاهد لأجل الدعاء والصلاة عندها؛ لأن ذلك من اتخاذها عيدًا.

الرابعة: تحريم شدِّ الرَّحْلِ إلى قبره ﷺ أو غيره من القبور والمشاهد؛ لأن ذلك من اتخاذها أعيادًا، وهو من أعظم أسباب الإشراف بها.

الخامسة: قوله ﷺ: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا»، أي: لا تعطّلوها من الصلاة فيها والدعاء والقراءة، فتكون بمنزلة القبور، وفي هذا إشارة إلى أن

(١) أخرجه أحمد ٤٠٣/١٤ (٨٨٠٤)، وأبو داود في كتاب المناسك، باب زيارَةِ الْقُبُورِ، برقم: (٢٠٤٢)، وهذا لفظه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: إسناده حسن. (اقتضاء الصراط المستقيم ١٧٠/٢)، وقال ابن القيم: إسناده حسن، رواه كلهم ثقات مشاهير (إغاثة اللهفان ١٩١/١)، وقال الحافظ ابن حجر: سَنَدُهُ صَحِيحٌ (فتح الباري ٤٨٨/٦)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١٧٨٠).

القبور ليست موضعاً للصلاة والدعاء والعبادة، وأن النهي عن ذلك أمر متقررٌ عند السامعين، ولذلك نهاهم أن يجعلوا بيوتهم كذلك، وأمرَ بتحريّ العبادة في البيوت، ونهاهم عن تحريّها عند القبور، عكس ما يفعله المشركون.

السادسة: قوله ﷺ: «وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنْ صَلَاتِكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ»، يعني: أن ما ينالني منكم من الصلاة والسلام يحصل مع قربكم من قبري وبعدكم عنه، فلا حاجة لكم إلى اتخاذه عيداً تتابونه وترددون إليه لأجل ذلك.

دَعَاؤُهُ ﷺ أَنْ لَا يَجْعَلَ اللَّهُ قَبْرَهُ وَثْنًا أَوْ عِيدًا

دعا النبي ﷺ رَبَّهُ جَلَّ وَعَلَا أَنْ لَا يَتَّخِذَ قَبْرَهُ وَثْنًا يَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ تَعَالَى، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثْنًا، لَعَنَ اللَّهُ قَوْمًا اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ» رواه أحمد (١).

نَهْيُهُ ﷺ عَنِ السَّجُودِ لَهُ :

نَهَى النَّبِيُّ ﷺ أَصْحَابَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَنِ السَّجُودِ لَهُ، حَتَّى لَا يَقْعُوا فِي تَعْظِيمِهِ الْمُؤَدِّي لِعِبَادَتِهِ مِنْ دُونِ اللَّهِ تَعَالَى، فَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ لَمَّا رَجَعَ مِنَ

(١) أخرجه أحمد ٣١٤/١٢ (٧٣٥٨)، وأبو يعلى الموصلي مسنده ٣٣/١٢ (٦٦٨١)،

والحميدي في مسنده ٢٢٤/٢ (١٠٥٥)، وصححه الألباني في أحكام الجنائز ص ٢١٧.

الْيَمَنِ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، رَأَيْتُ رَجُلًا بِالْيَمَنِ ^(١) يَسْجُدُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، أَفَلَا نَسْجُدُ لَكَ؟ قَالَ: «لَوْ كُنْتُ أَمِيرًا بَشَرًا يَسْجُدُ لِبَشَرٍ، لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا». رواه أحمد ^(٢).

نهيهِ ﷺ عن إطرائه

نهى النبي ﷺ المسلمين عن إطرائه، وهو: المبالغة في مدحه والثناء عليه، وذلك لئلا يبلغ بهم ذلك إلى عبادته من دون الله تعالى، فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه أنه سمع عُمَرَ رضي الله عنه يقول على المنبر: سمعتُ النَّبِيَّ ﷺ يقول: «لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطَرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ» رواه البخاري. ^(٣)

(١) في بعض رواياته أن رجوعه كان من الشام، ورجحه بعض العلماء لأن رجوعه من اليمن كان بعد وفاة النبي ﷺ.

(٢) أخرجه أحمد ٣١٢/٣٦ (٢١٩٨٦)، (٢١٩٨٧)، وابن أبي شيبة في مصنفه ٥٥٧/٣ (١٧١٢٦) والطبراني في المعجم الكبير ١٧٤/٢٠، وصححه الألباني في إرواء الغليل رقم: (١٩٩٨)، وسلسلة الأحاديث الصحيحة ٢٠١/٣ - ٢٠٢ تحت الحديث رقم: (١٢٠٣)، و(٣٣٦٦)، و(٣٤٩٠).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، باب قَوْلُهُ: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ برقم: (٣٢٦١).

والمدائح النبوية ثلاثة أنواع:

الأول: مدائحُ مشروعة، وهي التي ليس فيها غلوٌ كمدائح الصحابة رضي الله عنهم كحسان بن ثابت، وكعب بن مالك رضي الله عنه، ورسول الله صلى الله عليه وسلم أولى البشرِ بالمدح.

والثاني: مدائحُ محرّمة، وهي التي فيها غلوٌ لا يصل إلى الشُّرك.

والثالث: مدائحُ شِرْكَيةٌ، وهي التي فيها غلوٌ يصل إلى درجة الشُّرك بالله تعالى، كالتّي فيها استغاثة به صلى الله عليه وسلم، أو الزعم بأنه يعلم الغيب، أو يتصرف في الكون.

إنكاره صلى الله عليه وسلم على مَنْ بالغ في إطرائه

كان النبي صلى الله عليه وسلم يُنكر على مَنْ بالغ في إطرائه والثناء عليه، فعن عبدِ الله بنِ الشَّخِيرِ رضي الله عنه قال: انْطَلَقْتُ فِي وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقُلْنَا: أَنْتَ سَيِّدُنَا، فَقَالَ: «السَّيِّدُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى» قُلْنَا: وَأَفْضَلُنَا فَضْلًا، وَأَعْظَمُنَا طَوْلًا، فَقَالَ: «قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بَعْضُ قَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَجِرِّيَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ». رواه أحمد وأبو داود^(١).

(١) أخرجه أحمد ٢٣٤/٢٦ (١٦٣٠٧)، وأبو داود في كتاب الأدب، باب في كراهية التَّماذُح برقم: (٤٨٠٦)، وهذا لفظه، والنسائي في السنن الكبرى ١٠٢/٩ (١٠٠٠٣)، والبخاري في الأدب المفرد ص ٨٣ (٢١١)، قال ابن مفلح: إسناده جيّد (الأدب الشرعية ٤٥٥/٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٧٠٠).

وفي رواية: أنه ﷺ كرَّر ذلك ثلاثاً، فقال: «السَّيِّدُ اللَّهُ، السَّيِّدُ اللَّهُ، السَّيِّدُ اللَّهُ»^(١).

نهيه ﷺ أن يرفعوه فوق منزلته التي أنزله الله تعالى

كان النبي ﷺ ينهى عن رفعه فوق منزلته التي أنزله الله فيها، وهي منزلة النبوة والرسالة، فعن أنس بن مالك ﷺ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا مُحَمَّدُ يَا سَيِّدَنَا وَابْنَ سَيِّدِنَا، وَخَيْرَنَا وَابْنَ خَيْرِنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، وَلَا تَسْتَجْرِيَكُمْ الشَّيَاطِينُ، أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَمَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِيهَا اللَّهُ». رواه أحمد وأحمد والنسائي^(٢).

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى ٣٤/٧، والبيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى ص ٣٣٣ (٥٣٨)، ودلائل النبوة ٣١٨/٥.

(٢) أخرجه أحمد ١٦٦/٢١ (١٣٥٢٩)، (١٣٥٣٠)، (١٣٥٩٦)، والنسائي في السنن الكبرى في كتاب عمل اليوم والليلة، ذكر اختلاف الأخبار في قول القائل: سَيِّدَنَا وَسَيِّدِي برقم: (١٠٠٠٦)، وهذا لفظه، وصححه الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة ٢٥/٥، وقال ابن مفلح: حَدِيثٌ جَيِّدٌ إِسْنَادٌ (الآداب الشرعية ٤٥٥/٣)، وصححه الألباني على شرط مسلم في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٠٩٧)، (١٥٧٢).

الدرس الثالث عشر: وقوع الشُّرك في هذه الأمة

تمهيد

قد يظن بعض الناس أنه بعد انتشار الإسلام والتوحيد، وظهور العلم والمعرفة، وانتشار العلماء في كل مكان أنه لا يمكن أن يقع الشُّرك في هذه الأمة، وأنه لا يمكن أن ترجع للشُّرك مرّةً أخرى، وهذا الظن غير صحيح، بل إن الشُّرك سيقع في هذه الأمة، ولهذا أخبر النبي ﷺ في أكثر من حديث عن وقوع الشُّرك في هذه الأمة.

إخبار النبي ﷺ بوقوع الشُّرك في هذه الأمة

لقد أخبر النبي ﷺ في أكثر من حديث عن وقوع الشُّرك في هذه الأمة، وما أخبر به النبي ﷺ واقع لا محالة، وهذا يوجب علينا ثلاثة أمور:

الأول: معرفة الشُّرك، لأن من جهله فهو حري أن يقع فيه وإن لم يشعر.

الثاني: الحذر من الشُّرك، والخوف من الوقوع فيه.

الثالث: الدعوة إلى التوحيد، والتحذير من الشُّرك.

ومن الأدلة على ذلك:

- ١ - حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس، حول ذي الخلصة»، وكانت صنماً تعبدها دوس في الجاهلية بتبالة. متفق عليه^(١).
- ٢ - حديث ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين، وإذا وُضع السيف في أمتي لم يرفع عنها إلى يوم القيامة، ولا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمُشركين، وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان». رواه أحمد وأبو داود^(٢).

وقوع الشرك في الأمم السابقة واتباع هذه الأمة لهم

أخبر الله تعالى في كتابه الكريم عن وقوع الشرك في الأمم السابقة، وقد أخبر النبي ﷺ بأن هذه الأمة سوف تتبع سنن الأمم الماضية، فيلزم من هذا وقوع الشرك في هذه الأمة، فلهذا كان الواجب علينا الحذر منه.

والدليل على وقوع الشرك في الأمم الماضية:

- ١ - قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّلُوتِ﴾ [النساء: ٥١].

(١) أخرجه البخاري في كتاب الفتن، باب تَغْيِيرِ الزَّمَانِ حَتَّى تُعْبَدَ الْأَوْثَانُ برقم: (٦٦٩٩)، ومسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخلصة، برقم: (٢٩٠٦)، وهذا لفظه.

(٢) أخرجه أحمد ٧٨/٣٧-٧٩ (٢٢٣٩٤)، وأبو داود في كتاب الفتن والملاحم، باب ذَكَرِ الْفِتْنِ وَدَلَالِهَا برقم: (٤٢٥٢)، وهذا لفظه، وصححه ابن حبان ١٠٩/١٥ (٦٧١٤)، والألباني في السلسلة الصحيحة ٢٥٢/٤.

الجبّت: كلمة تقع على الصنم والكاهن والساحر.

الطاغوت: الشيطان.

٢- قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ

وَعَصِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ﴿٦٠﴾ [المائدة: ٦٠].

ومعنى ﴿عَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾: أي: ومن عبد الطاغوت.

٣- قال الله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِيكَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمُ

مَسْجِدًا ﴿٢١﴾﴾ [الكهف: ٢١].

لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمُ مَسْجِدًا: أي: ليعرفوا فيقصدتهم الناس ويتبركون بهم.

فإذا كان الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبّت والطاغوت؛

كما في الآية الأولى، وإذا كان اليهود ممن عبد الطاغوت؛ كما في الآية

الثانية، وإذا كان في الأمم السابقة من اتخذ المساجد على القبور كما في

الآية الثالثة؛ فإن ذلك سيكون في هذه الأمة.

والدليل على أن هذه الأمة ستفعل مثلما فعلت الأمم قبلها: حديث

أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ

شَبِيرًا بِشِيرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ؛ حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جَحَرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى. قَالَ: «فَمَنْ» متفق عليه ^(١).

فائدة معرفتنا بوقوع الشرك في هذه الأمة

للعلم بوقوع الشرك في هذه الأمة فوائد، منها:

- ١- الحذر من الوقوع في الشرك، فما دام أنه قد أخبر النبي ﷺ بوقوعه فلا بد أنه سيقع، وهذا يجعلنا نحذر من أن نقع فيه.
- ٢- تحذير الناس من الوقوع فيه، فإن الشرك لا يمكن أن يقع في الأمة إلا بسبب الجهل، وليس المراد الجهل بالقراءة والكتابة، وإنما الجهل بحقيقة الدين، فقد يكون مع المرء أكبر الشهادات المعرفية؛ ومع هذا فإنه يقع في الشرك الأكبر، وما هذا إلا لجهله بالدين الصحيح الذي جاء به النبي ﷺ.
- ٤- الرد على من زعموا أن الشرك لا يقع في هذه الأمة، وبنوا على هذا الفهم الخاطئ: أن كل مظاهر الشرك التي وقعت في الأمة على مر التاريخ أنها ليست من الشرك، وإنما هي مجرد معاصي فحسب، بل ظن بعضهم أنها نوع من العبادة الصحيحة، وما هذا إلا من تلبس الشيطان عليهم، حيث أوهمهم أن هذه الأعمال الشركية من محبة الصالحين.

(١) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺ: «لَتَبْعَنَّ سَنَنْ» من كان قبلكم» برقم: (٦٨٨٩)، ومسلم في كتاب العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارى، برقم: (٢٦٦٩)، ومعنى «لَتَبْعَنَّ سَنَنْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»: لتسلكن طرق من كان قبلكم من الأمم.

الدرس الرابع عشر: بُطْلَانُ عِبَادَةِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

بُطْلَانُ الْأَلْهَةِ الَّتِي تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ

كل إله عُبِدَ أو يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ تعالى فهو إلهٌ باطلٌ؛ لأنه لا يستحق أن يُعْبَدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وسبب ذلك: أنهم لا يَتَّصِفُونَ بشيءٍ مِنْ صفات الإله الحق الذي يستحق العبادة.

ويستوي في ذلك: الأنبياء عليهم السلام، والملائكة الكرام عليهم السلام، والأولياء والصالحون، فضلا عن الأصنام والأوثان مِنَ الأشجار والأحجار وسائر الجمادات.

كُلُّ مَنْ سِوَى اللَّهِ فَهُوَ عَبْدٌ لِلَّهِ

كل مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَهْمَا بَلَغَ مِنَ الْمَكَانَةِ وَالْقُوَّةِ فَهُوَ عَبْدٌ لِلَّهِ تعالى مخلوق مدبّر، لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا فكيف يملك لغيره؟! قال الله تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مریم: ٩٣]، فلا يصح في الشرع، ولا في العقول السليمة، ولا الأذهان المستقيمة أن يكون أحدٌ شريكاً حقيقياً لله تعالى، ولهذا يقول المشركون يوم القيامة إذا عاينوا الحقائق: ﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [ذُؤَيْبِكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ] ﴿٩٨﴾ [الشعراء: ٩٧ - ٩٨].

مكانة الأنبياء عليهم السلام

الأنبياءُ والرسلُ عليهم السلام هم أفضل الناس وسادة البشرية، فلا أحد من البشر أفضل من أنبياء الله ورسله عليهم السلام، وقد اختارهم الله تعالى لحمل رسالته إلى الناس، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٧٥]، ولكنهم ليس لهم من خصائص الربوبية ولا الألوهية شيء، بل جاؤا جميعاً يدعون الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وترك عبادة ما سواه من الآلهة الباطلة.

بطلان عبادة الأنبياء عليهم السلام

من دعاء نبياً من الأنبياء عليه السلام، أو استغاث به في الشدائد، أو طلب منه النصرة على الأعداء، أو ناداه ليشفع له عند الله عز وجل، أو نذر له، أو ذبح له، أو ادعى أنه يعلم الغيب، فقد اتخذ نداءً لله تعالى، وجعله رباً من دون الله جل وعلا، وهذه هي حقيقة الشرك الأكبر التي جاء جميع الأنبياء عليهم السلام يحذرون منه، ويدعون إلى صرف جميع هذه العبادات لله وحده لا شريك له.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ

بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٠].

بُطْلَانُ عِبَادَةِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ

عيسى عليه السلام من أفضل الرسل الكرام، وهو أحد الأنبياء الموصوفين بأنهم من أولي العزم من الرسل، الذين أمر الله رسوله ﷺ أن يقتدي بهم في صبرهم، وليس له من خصائص الألوهية ولا الربوبية شيء، لكن الجاهلون جعلوه إلها من دون الله تعالى:

- ١ - قال الله تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَاكُلَانِ الطَّعَامَ أَنْظُرْ كَيْفَ بُيِّنَ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنِّي يُؤْفَكُونَ﴾ [المائدة: ٧٥].
- ٢ - قال الله تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٧٢].

مكانة النبي ﷺ

نبينا محمد ﷺ هو سيد الناس وصفوئهم وأفضلهم وأكرمهم ﷺ، وهو أفضل الرسل وخاتمهم، وقد دلَّ على فضله نصوص كثيرة منها:

١- حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيد الناس يوم القيامة» متفق عليه^(١).

٢- حديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم» رواه مسلم^(٢).

زاد في رواية: «فأنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأول من تنشق عنه الأرض، وأول شافع، وأول مُشَفَّع»^(٣).

ومع هذه المكانة الرفيعة إلا أنه ليس له من خصائص الربوبية ولا الألوهية شيء، بل جاء يدعو الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وترك عبادة ما سواه من الآلهة الباطلة.

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، تفسير سورة الإسراء، باب ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾، برقم: (٤٤٣٥)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، برقم: (١٩٤)، وهو طرف من حديث الشفاعة الطويل.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي ﷺ برقم (٢٢٧٦).

(٣) صحيح ابن حبان ١٣٥/١٤ (٦٢٤٢).

تحذيره ﷺ من الغلو فيه

حذّر النبي ﷺ في مناسبات كثيرة من الغلو فيه ورفعِهِ فوق مكانته التي وضعه الله فيها وهي أعلى مكانة يصل إليها بشرٌ، فلا يجوز إعطاؤه شيئاً من خصائص الربوبية أو الألوهية.

١- عن عبد الله بن عباسٍ رضي الله عنهما أنه سمعَ عمرَ رضي الله عنه يقول على المنبر: سمعت النبي ﷺ يقول: «لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطَرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ» رواه البخاري (١).

٢- عن عبد الله بن الشَّخِيرِ رضي الله عنه قال: انْطَلَقْتُ فِي وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْنَا: أَنْتَ سَيِّدُنَا، فَقَالَ: «السَّيِّدُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى» قُلْنَا: وَأَفْضَلُنَا فَضْلاً، وَأَعْظَمُنَا طَوْلاً، فَقَالَ: «قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَجِرِّيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ» رواه أحمد (٢).

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، باب قوله: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ برقم: (٣٢٦١).

(٢) أخرجه أحمد ٢٦/٢٣٤ (١٦٣٠٧)، وأبو داود في كتاب الأدب، باب في كراهية التَّماذُح، برقم: (٤٨٠٦)، وهذا لفظه، والنسائي في السنن الكبرى ١٠٢/٩ (١٠٠٠٣)، والبخاري في الأدب المفرد ص ٨٣ (٢١١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٧٠٠).

بُطْلَانُ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ

مَنْ دَعَا النَّبِيَّ ﷺ، أَوْ اسْتَغَاثَ بِهِ فِي الشَّدَائِدِ، أَوْ طَلَبَ مِنْهُ النَّصْرَةَ عَلَى الْأَعْدَاءِ، أَوْ نَادَاهُ لِيَشْفَعَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، أَوْ نَذَرَ لَهُ، أَوْ ذَبَحَ لَهُ، أَوْ ادَّعَى أَنَّهُ يَعْلَمُ الْغَيْبَ، فَقَدْ اتَّخَذَهُ نِدًّا لِلَّهِ تَعَالَى، وَهَذِهِ هِيَ حَقِيقَةُ الشِّرْكِ الْأَكْبَرِ الَّتِي جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ بِالْتَّحْذِيرِ مِنْهَا، وَدَعَا النَّاسَ إِلَى صَرْفِ جَمِيعِ هَذِهِ الْعِبَادَاتِ لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ:

- ١- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْبَرْتُ مِنْ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨].
- ٢- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ (١) ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ (٢) [الجن: ٢٢-٢٣].
- ٣- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كُسِرَتْ رِبَاعِيَّتُهُ يَوْمَ أُحُدٍ، وَشُجَّ فِي رَأْسِهِ، فَجَعَلَ يَسْلُتُ الدَّمَ عَنْهُ، وَيَقُولُ: «كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ، وَكَسَرُوا رِبَاعِيَّتَهُ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ؟»، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ (١). (٢)

(١) سورة آل عمران، آية ١٢٨.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، بَابُ غَزْوَةِ أُحُدٍ، برقم: (١٧٩١)، والشج: الجرح في الرأس والوجه خاصة، والرباعية: كل سن بعد ثنية، وللإنسان أربع رباعيات.

فإذا كان النبي ﷺ لا يملك من الأمر شيئاً، ولا يدفع عنه نفسه شيئاً من قدر الله، بطل ما يفعله الجاهلون من دعائه من دون الله، وإذا كان هذا في حق النبي ﷺ فغيره من باب أولى.

النبي ﷺ لا يملك شيئاً لأقرب أقاربه

النبي ﷺ لا يملك شيئاً لأقرب الناس إليه، من أعمامه وعماته، وأبنائه وبناته، وقد أعلن بذلك على الملأ في حياته ﷺ، فكيف بعد مماته ﷺ؟! ومن ذلك:

١ - أنه لما أراد النبي ﷺ هداية عمه أبي طالب اجتهد في ذلك أيما اجتهد، ومع هذا لم يؤمن أبو طالب ومات على الكفر، فهو من أهل النار، وأنزل الله في ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦].

٢ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله عز وجل: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، قال: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ - أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا - اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً، وَيَا عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً، وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً، وَيَا فَاطِمَةُ

بِنتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا شِئْتَ مِنْ مَالِي لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ
شَيْئًا» متفق عليه. (١)

(١) أخرجه البخاري في كتاب الوصايا، باب: هَلْ يَدْخُلُ النِّسَاءُ وَالْوَلَدُ فِي الْأَقَارِبِ؟ برقم:
(٢٦٠٢)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب في قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (٢١٤)
[الشعراء: ٢١٤]، برقم: (٢٠٤).

الدرس الخامس عشر: بُطْلَانُ عِبَادَةِ الْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَالْأَوْلِيَاءُ وَالصَّالِحِينَ

أولاً:

بُطْلَانُ عِبَادَةِ الْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ:

المرادُ بالملائكة

الملائكةُ عالمٌ غَيْبِيٌّ عَظِيمٌ، عِدْدهم كثيرٌ، مَسْكَنُهُمُ السَّمَوَاتُ،
وَيَنْزِلُونَ إِلَى الْأَرْضِ بِأَمْرِ اللَّهِ، خَلَقَهُمُ اللَّهُ مِنْ نُورٍ، بِأَشْكَالٍ مُخْتَلِفَةٍ،
وَكَلَّفَهُمْ بِأَعْمَالٍ وَعِبَادَاتٍ عَظِيمَةٍ، وَمَنْحَهُمُ الْإِنْقِيَادَ التَّامَّ لِأَمْرِهِ، وَالْقُوَّةَ
عَلَى تَنْفِيزِهِ، فَهُمْ لَا يَفْتُرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ، وَلَا يَعْصُونَ مَا أَمَرَهُمْ.

الملائكةُ عِبَادُ اللَّهِ تَعَالَى

الملائكةُ عِبَادُ طَائِعُونَ لِلَّهِ تَعَالَى، يَنْفِذُونَ أَوْامِرَهُ، وَلَا يَعْصُونَ طَرْفَةَ
عَيْنٍ، وَيَجْتَهِدُونَ فِي عِبَادَتِهِ مِنْ غَيْرِ فُتُورٍ وَلَا مَلَلٍ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَهُ
مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ

﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء: ١٩ - ٢٠].

بُطْلَانُ عِبَادَةِ الْمَلَائِكَةِ

كان بعض المشركين يعبدون الملائكة، يظنون أنهم يقربونهم إلى الله تعالى، ويشفعون لهم عنده؛ لِمَا لَهُمْ مِنَ الْمَكَانَةِ وَالْمُتَرَلَّةِ عِنْدَ اللَّهِ عِزِّ وَجَلِّ، وَقَدْ أَبْطَلَ اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ، مَبِينًا ضَعْفَ الْمَلَائِكَةِ وَعَجْزَهُمْ، وَعَظِيمَ فَزَعِهِمْ وَخَوْفَهُمْ مِنَ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ الَّذِي يَجِبُ أَنْ تَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ الْقُلُوبُ وَحْدَهُ بِالتَّذَلُّلِ وَالِدَعَاءِ وَالْعِبَادَةِ.

١- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ۚ

أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٠].

٢- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ

كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ [٤٠] قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِئْنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا

يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾ [سبأ: ٤٠ - ٤١].

ثَانِيًا:

بُطْلَانُ عِبَادَةِ الْأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ

المراد بالأولياء والصالحين

وَلِيُّ اللَّهِ تَعَالَى هُوَ: الْمُؤْمِنُ التَّقِيُّ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذَا: قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ

عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ]

﴿٦٣﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٣]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: كل من كان مؤمناً تقيّاً كان لله وليّاً. اهـ^(١)

مكانة الأولياء والصالحين

أولياء الله تعالى لهم عند الله منزلة رفيعة، والدليل على هذا: الحديث القدسي الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إِنَّ اللَّهَ قَالَ: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ؛ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ». رواه البخاري^(٢).

بُطْلَانُ عِبَادَةِ الْأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ

الأولياء والصالحون عبادُ الله تعالى لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم نفعا ولا ضرا، فمن دعاهم أو استغاث بهم أو نذر لهم، أو ذبح لهم من دون الله تعالى، فقد أشرك شركا أكبر مخرجا من ملة الإسلام.

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢/ ٢٢٤.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب التواضع، برقم: (٦١٣٧).

وقد بين الله تعالى بطلان عبادة الأولياء، واتخاذهم شفعاء عند الله تعالى:

١- قال الله تعالى: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَئِكَ كَانُوا لَا

يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ [الزمر: ٤٣].

٢- قال الله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ

يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا

حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ [الفرقان: ٣].

عبادة الأمم السابقة للأولياء والصالحين

وقعت الأمم السابقة في الشرك بعبادة الأولياء والصالحين من دون الله تعالى، وكان بداية ذلك أن صوروا لهم الصور، ونصبوها في مجالسهم، ثم تلاعب بهم الشيطان حتى عظموا هذه الصور، وعبدوها من دون الله تعالى.

١- قال الله تعالى في قوم نوح عليه السلام: ﴿وَقَالُوا لَا نَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ

وَلَا نَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ [نوح: ٢٣]،

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في الآية: أسماء رجال صالحين

من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم، أن

انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابًا، وسموها

بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا، فَلَمْ تُعْبَدْ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ أَوْلَيْكَ، وَتَنَسَّخَ
الْعِلْمُ عُيِدَتْ. (١)

٢- عن عائشة رضي الله عنها قَالَتْ: لَمَّا اشْتَكَى النَّبِيُّ ﷺ ذَكَرْتُ بَعْضُ
نِسَائِهِ كَنِيْسَةً رَأَيْتُهَا بِأَرْضِ الْحَبْشَةِ يُقَالُ لَهَا: (مَارِيَّةُ)، وَكَانَتْ
أُمُّ سَلَمَةَ، وَأُمُّ حَبِيْبَةَ رضي الله عنها أَتَتَا أَرْضَ الْحَبْشَةِ، فَذَكَرَتَا مِنْ
حُسْنِهَا وَتَصَاوِيرِ فِيْهَا، فَرَفَعَ رَأْسُهُ، فَقَالَ: «أَوْلَيْكَ إِذَا مَاتَ
مِنْهُمْ الرَّجُلُ الصَّالِحُ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا» (٢)، ثُمَّ صَوَّرُوا فِيْهِ
تِلْكَ الصُّوْرَةَ، أَوْلَيْكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ «متفق عليه». (٣).

شُبْهَةُ عِبَادَةِ الْأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ

الشبهة التي أثارها الشيطان في نفوس بعض الجاهلين فأورثتهم عبادة
الأولياء والصالحين هي: أنه ألقى في نفوسهم أن هؤلاء الأولياء أقرب
منكم إلى الله تعالى، ولهم عند الله تعالى جاهٌ ومترلةٌ رفيعةٌ، فاجعلوهم
واسطةً بينكم وبين الله تعالى.

(١) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن، سورة نوح، بَابُ (وَدًّا وَلَا سُوَاعًا، وَلَا يُعُوثُ
وَيَعُوقَ)، برقم: (٤٦٣٦)، ومعنى: تَنَسَّخَ الْعِلْمُ: زالت معرفة الناس بأصل نصيبها.

(٢) أي: موضعاً للعبادة، وإن لم يسم مسجداً كالكنائس والمشاهد.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، بَابُ بِنَاءِ الْمَسْجِدِ عَلَى الْقَبْرِ، برقم: (١٢٧٦)، ومسلم
في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، بَابُ التَّهْنِئَةِ عَنْ بِنَاءِ الْمَسَاجِدِ، عَلَى الْقُبُورِ وَاتِّخَاذِ الصُّوْرِ
فِيْهَا وَالتَّهْنِئَةِ عَنْ اتِّخَاذِ الْقُبُورِ مَسَاجِدَ برقم: (٥٢٨).

وهذه الشبهة هي نفسها التي ألقاها الشيطان في قلوب المشركين السابقين، كما قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ۝﴾ [الزمر: ٣].

نفي الله تعالى أن يكون له أولياء

نفي الله تعالى أن يكون بينه وبين عباده وسائط وأولياء يوصلون إليه حاجات خلقه، فإنه تعالى لا يحتاج إلى هذا، وإنما يحتاجه المخلوق الضعيف العاجز عن الاطلاع والمعرفة، المحتاج إلى من يعينه، أما الله تعالى فهو العالم بخفايا الأمور، القوي القادر على كل شيء.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ۝﴾ [الرعد: ١٦].

وهو قريب من عباده، لا يحتاج إلى هذه الوسائط الباطلة، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِلَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ۝﴾ [البقرة: ١٨٦].



الفهارس



فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٤	المقدمة
٦	الدرس الأول: مراتب الدين
١٢	الدرس الثاني: الركن الأول من أركان الإسلام: الشهادتين.
١٦	الدرس الثالث: شهادة أن محمداً رسول الله
١٩	الدرس الرابع: بقية أركان الإسلام
٢٧	الدرس الخامس: أركان الإيمان
٣٤	الدرس السادس: توحيد الأسماء والصفات
٤١	الدرس السابع: أهمية التوحيد وفوائده
٤٩	الدرس الثامن: الدعوة إلى التوحيد
٥٥	الدرس التاسع: حقيقة الشرك وأنواعه
٦١	الدرس العاشر: خطر الشرك، ووجوب الحذر منه
٦٧	الدرس الحادي عشر: الشرك في الربوبية وفي الألوهية
٧٣	الدرس الثاني عشر: حماية النبي ﷺ للتوحيد، وسدُّه الطرق الموصلة إلى الشِّرك

الموضوع	الصفحة
الدرس الثالث عشر: وقوع الشرك في هذه الأمة	٧٩
الدرس الرابع عشر: بطلان عبادة الأنبياء عليهم السلام	٨٣
الدرس الخامس عشر: بطلان عبادة الملائكة عليهم السلام، والأولياء والصالحين	٩١
الفهارس	٩٧

الحَقِيْلَة الْإِسْلَامِيَّة

٢

المستوى الثاني

كتبه

عبد الرحمن بن فهد الودعان الدوسري

امام وخطيب جامع المديحيم بالحراء - الرياض



مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله وحده، وصلى الله على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

فهذا كتاب (العقيدة الإسلامية) على منهج أهل السنة والجماعة، ذكرت فيه مجمل اعتقاد أهل السنة والجماعة في عامة مسائل العقيدة المتعلقة بأركان الإيمان الستة، مبتدئاً بذكر مراتب الدين الثلاث، ثم تفصيل ما يتعلق بأركان الإيمان الستة.

وقد قسّمت الكتاب إلى أربع مستويات، كل مستوى يشمل خمسة عشر درساً، بحسب ما رآه الإخوة في مكتب الدعوة بالروضة، ليكون أيسر للدارسين، وأنفع لهم بإذن الله تعالى.

المستوى الأول: ويتضمن الكلام على مراتب الدين الثلاث إجمالاً، ثم الكلام على الركن الأول منها (الإيمان بالله تعالى) تفصيلاً، وأهمية التوحيد وفضائله، وما يضاده من الشرك.

المستوى الثاني: ويتضمن الكلام على بقية ما يتعلق بالركن الأول، ببيان أسباب الشرك، وأهم العبادات التي وقع فيها الشرك بالله تعالى، وشبهات القبوريين.

المستوى الثالث: ويتضمن الكلام على بقية ما يتعلق بالركن الأول، ببيان تعظيم الله سبحانه وتعالى، وبعض ما يضاد ذلك من أقوال وأفعال.

المستوى الرابع: ويتضمن الكلام على بقية أركان الإيمان الستة تفصيلاً، ونواقض الإسلام.

وختاماً أسأل الله تعالى أن يجعله كتاباً نافعا مباركا، وأن يرزقني الإخلاص فيه، ويثيبني عليه، وأن يعاملني بلطفه ورحمته وكرمه، ويجزل لي عطاءه، ويعفو عما قد يكون فيه من الزلل والتقصير، وأن يغفر لنا ولوالدينا ووالديهم، وإخواننا وأخواتنا وأزواجنا وذرياتنا، ولجميع شيوخنا وأساتذتنا وتلاميذنا وعلمائنا وأحبتنا، وأن يجعل الفردوس مأوانا جميعا، كما أسأله جلّ وعلا أن يغفر للمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات... آمين، إنه أرحم الراحمين؟؟

وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين ؟؟

كتبه الفقير إلى الله تعالى

عبد الرحمن بن فهد الودعان الدوسري

awadaan@gmail.com

الدرس الأول: أسباب الوقوع في الشُّرك

للقوع في الشُّرك أسباب كثيرة، أهمها أربعة أسباب هي:

الأول: الغُلُوُّ في الأنبياء والصالحين وآل البيت.

الثاني: تعظيم القبور واتخاذها مساجد.

الثالث: التبرُّك بالأشجار والأحجار ونحوهما.

الرابع: التصويرُ.

وإليك بيان كل واحد منها بالتفصيل إن شاء الله تعالى.

السبب الأول:

الغُلُوُّ في الأنبياء والصالحين وآل البيت

تعريف الغُلُوِّ

الغُلُوُّ هو: تعدِّي ما أمر الله به في الاعتقاد أو القول أو الفعل.

النهي عن الغُلُوِّ والتحذير منه

لما كان الغُلُوُّ بهذه الخطورة جاءت الأدلة الشرعية في النهي عنه،

والتحذير منه، ومن ذلك:

١. قوله الله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾

[النساء: ١٧١]، أي لا تتعدوا ما حدَّ الله لكم.

فقد نهي الله تعالى أهل الكتاب عن الغلو، والمراد بهم:

أ- اليهود: الذين غلَّوا في عُزَيْر^(١)، فقالوا: هو ابن الله.

ب- النصارى: الذين غلَّوا في عيسى عليه السلام فقالوا مرَّةً:

هو ابن الله، وقالوا مرَّةً: هو الله.

وفي هذا تحذير لهذه الأمة أن يفعلوا مع النبي ﷺ مثل ما فعلت اليهود

مع عُزَيْر، والنجارى مع عيسى عليه السلام.

٢. حديثُ عبد الله بن عَبَّاسٍ رضي الله عنه أنه سمعَ عُمَرَ رضي الله عنه يقول على

الْمِنْبَرِ: سمعت النَّبِيَّ ﷺ يقول: «لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطَرَتِ

النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ

وَرَسُولُهُ». رواه البخاري^(٢).

والإطراء هو: المبالغة ومجاوزة الحدِّ في المدح، والكذب فيه.

والمعنى: لا تغلوا في مدحي كما غلت النصارى في عيسى عليه

السلام حتى ادَّعَوْا فيه الإلهية، وإنما أنا عبد الله ورسوله، فصِفوني بذلك

(١) اختلف العلماء رحمهم الله تعالى في بُوَّة (عُزَيْر)، قال ابن كثير: الْمَشْهُورُ أَنَّ عُزَيْرًا نَبِيٌّ مِنْ

أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ. اهـ البداية والنهاية (٥٤/٢)، ولكن ليس هناك دليل قاطع بنبوته، بل في

سنن أبي داود ٢١٨/٤ (٤٦٧٤) أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «وَمَا أَدْرِي أَعُزَيْرٌ نَبِيٌّ هُوَ أَمْ لَا».

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، بَابُ قَوْلِهِ: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا

تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ)، برقم: (٣٢٦١).

كما وصّني ربي، فقولوا: عبد الله ورسوله، ولا تتجاوزوا هذا القول.

الغُلُوُّ فِي الدِّينِ سَبَبُ الْهَلَاكِ

الغُلُوُّ فِي الدِّينِ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ هَلَاكِ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْغُلُوَّ أَوْصَلَ الْأُمَمَ السَّابِقَةَ إِلَى عِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى، فَخَسِرُوا الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ، وَهَذَا مَعْنَى الْهَلَاكِ.

ويدل لذلك:

حديثُ عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوُّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ». رواه أحمد والنسائي وابن ماجه^(١).

أولاً: الغُلُوُّ فِي الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ

المراد بالغُلُوِّ فِي الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ

الغُلُوُّ فِي الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ هُوَ: الْمَبَالِغَةُ فِي تَعْظِيمِهِمْ، وَيَكُونُ ذَلِكَ بِرَفْعِهِمْ فَوْقَ مَنَازِلِهِمُ الَّتِي أَنْزَلَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى إِيَّاهَا.

والواجب على المسلم: التوسط فيهم، وذلك باتِّباع الشرع في

(١) أخرجه أحمد ٣٤٧/١، والنسائي في كتاب مناسك الحج، باب التقاط الحصى، برقم: (٣٠٥٧)، وابن ماجه في كتاب المناسك، باب قدر حصى الرمي، برقم: (٣٠٢٩) وهذا لفظه، وصححه ابن حبان ١٨٣/٩ (٣٨٧١)، وقال الحاكم في المستدرک على الصحيحين ٦٣٧/١: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقال النووي: (المجموع ١٣٨/٨): رواه النسائي بإسناد صحيح على شرط مسلم.

إنزالهم منازلهم اللائقة بهم:

أ- فلا يبالغ في حقهم برفعهم فوق منازلهم التي وضعهم الله فيها.

ب- ولا يقصر فيه، فيجحدهم حقوقهم التي جعلها الله لهم.

أمثلة على الغلو في الأنبياء والصالحين:

١. الغلو في النبي ﷺ بدعائه أو الاستغاثة به من دون الله تعالى.
٢. الغلو في النبي ﷺ بالحلف به من دون الله تعالى.
٣. الغلو في عيسى بن مريم عليه السلام بجعله إلهًا أو ابن الإله.
٤. الغلو في الأولياء والصالحين بالبناء على قبورهم، والطواف بها، والسجود عليها.

الغلو في الصالحين سبب أول شرك في قوم نوح عليه السلام

أول ما وقع الشرك كان في قوم نوح عليه السلام، وكان سببه: الغلو في تعظيم الصالحين، كما يوضح ذلك ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣]، قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: صَارَتِ الْأَوْثَانُ الَّتِي كَانَتْ فِي قَوْمِ نُوحٍ فِي الْعَرَبِ بَعْدُ، أَمَّا وَدٌّ: كَانَتْ لِكَلْبٍ بِدُومَةِ الْجَنْدَلِ، وَأَمَّا سُوَاعٌ: كَانَتْ لِهَذِيلٍ، وَأَمَّا يَغُوثٌ: فَكَانَتْ لِمُرَادٍ، ثُمَّ لِبَنِي غُطَيْفٍ بِالْجَوْفِ، عِنْدَ سَبْيٍّ، وَأَمَّا يَعُوقُ: فَكَانَتْ لِهَمْدَانَ، وَأَمَّا نَسْرٌ: فَكَانَتْ لِحِمِيرٍ لَالِ ذِي الْكَلَاعِ، أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا

هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ، أَنْ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا
يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا، وَسَمُّوَهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا، فَلَمْ تُعْبَدْ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ
أُولَئِكَ، وَتَنَسَّخَ الْعِلْمُ عُيِدَتْ. ^(١)

وقال ابن القيم رحمه الله: قال غير واحد من السلف: لما ماتوا عكفوا
على قبورهم، ثم صَوَّرُوا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد ^(٢)
فعبدوهم. اهـ. ^(٣)

ثانيًا: الغُلُوُّ في آل بيت النبي ﷺ

المراد بآل بيت النبي ﷺ

آل بيت النبي ﷺ هم: أولاده وذريتهم، وأزواجه، ومن تحرم عليه
الزكاة من أقاربه ﷺ، وهم: آل عليٍّ وآل عَقِيلٍ وآل جَعْفَرٍ وآل العَبَّاسِ
ﷺ.

مكانة آل البيت ومحبتهم

آل بيت النبي ﷺ هم أشرف أهل بيتٍ وُجِدَ على وجه الأرض فخرًا
وحسبًا ونسبًا، ومن أصول أهل السنة والجماعة: أنهم يحبون أهل بيت

(١) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن، سورة نوح، باب (وَدًّا وَلَا سُوَاعًا، وَلَا يُعُوثَ
وَيَعُوقَ) برقم: (٤٦٣٦)، ومعنى: تَنَسَّخَ الْعِلْمُ: زالت معرفة الناس بأصل نَصِبِهَا، والمراد
بِالْجَوْفِ هُنَا: اسم وادٍ في اليمن.

(٢) أي: الزمن.

(٣) إغاثة اللفهان من مصايد الشيطان ١/١٨٤.

النبي ﷺ، ويتولونهم، ويحفظون فيهم وصية النبي ﷺ الثابتة في حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ يوماً فينا خطيباً بماء يدعى خمّا بين مكة والمدينة؛ فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكر، ثم قال: «أما بعد، ألا أيها الناس، فإنّما أنا بشرٌ يوشكُ أن يأتيَ رسول ربّي فأجيب، وأنا تاركٌ فيكم ثقلين: أولُهُما: كتابُ الله فيه الهدى والنورُ فخذُوا بكتابِ الله واستمسكُوا به فحثّ على كتابِ الله ورغب فيه»، ثم قال: «وأهل بيّتي، أذكركم الله في أهل بيّتي، أذكركم الله في أهل بيّتي، أذكركم الله في أهل بيّتي». رواه مسلم^(١).

موقف الصحابة رضي الله عنهم من آل البيت

كان الصحابة رضي الله عنهم يعرفون لأهل البيت فضلهم، وأخبارهم في هذا كثيرة، ومن ذلك:

- أ- قال أبو بكر رضي الله عنه: «أرقبوا محمداً ﷺ في أهل بيته»^(٢)، ومعناه: راعوا النبي ﷺ واحفظوه وأكرموا واحترموا في أهل بيته؛ فلا تسيئوا إليهم أو تؤذوهم.

(١) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه برقم: (٢٤٠٨).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ ومنقبه فاطمة عليها السلام بنت النبي ﷺ برقم: (٣٥٠٩).

ب- وقال أبو بكر رضي الله عنه أيضا: «والذي نفسي بيده؛ لقراءة رسول الله ﷺ أحبُّ إليَّ أن أصِلَ مِن قرابتي»^(١).

توسط أهل السنة في آل البيت

أهل السنة وسَطُ في آل بيت النبي ﷺ:

أ- فيحبونهم ويُترلوهم مثلتهم التي أنزلهم الله تعالى -بقرهم من رسول الله ﷺ-؛ خلافا لمن يطعن فيهم أو يسبهم ويشتمهم، أو يفعل ذلك ببعضهم كمن يطعن في عائشة أو حفصة رضي الله عنهما.

ب- كما إن أهل السنة لا يرفعون أهل البيت فوق مكانتهم التي أنزلهم الله تعالى؛ فلا يدعونهم من دون الله تعالى، ولا يزعمون لهم من الفضائل ما ليس لهم -مما جاء به الكتاب الكريم وثبتت به السنة النبوية-، كما إنهم لا يفضلون علياً رضي الله عنه على أبي بكر الصديق وعمر رضي الله تعالى عنهما، بل يتزلون كلاً منهم المنزل التي جعلها الله تعالى له، ويتولونهم جميعاً رضي الله عنهم.

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب مناقب قراءة رسول الله ﷺ ومنقبة فاطمة عليها السلام بنت النبي ﷺ، برقم: (٣٥٠٨).

الغلو في آل البيت

الغلو في آل بيت النبي ﷺ برفعهم فوق مكانته التي أعطاهم الله تعالى من أسباب الشُّرك بالله تعالى، وقد غلا فيهم أناس فوقعوا في الشرك بالله تعالى، ومن صور ذلك:

- أ- دعاؤهم من دون الله تعالى، والاستغاثة بهم في الشدائد، وهذا شرك في الألوهية.
- ب- زعم أن لهم القدرة على التصرف في الكون، وتدبير الخلائق، وهذا شرك في الربوبية.
- ت- زعم أن لهم القدرة على معرفة الغيب، أو أنهم يعرفون ما سيكون إلى يوم القيامة، وهذا شرك في الأسماء والصفات.

الدرس الثاني:

السبب الثاني: تعظيم القبور واتخاذها مساجد

تمهيد

حَرَّمَت الشريعة الإسلامية جميع الوسائل المؤدية إلى الشرك ولو كان ذلك الفعل عبادة لله تعالى، ومن ذلك: اتخاذ القبور مكانًا يتقرب فيه إلى الله تعالى بالصلاة، فقد نهت الشريعة عن ذلك أشد النهي، وحذر منه الرسول الكريم ﷺ أشد التحذير.

شرارُ الخلق عند الله تعالى هم: الذين يتخذون القبور مساجد

الذين يتخذون قبور الأنبياء والصالحين مساجد هم شرار الخلق عند الله تعالى.

والدليل على هذا:

١. حديث عائشة رضي الله عنها قالت: لَمَّا اشْتَكَى النَّبِيُّ ﷺ ذَكَرَتْ بَعْضُ نِسَائِهِ كَنِيسَةً رَأَيْتَهَا بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ يُقَالُ لَهَا: (مَارِيَّةُ)، وَكَانَتْ أُمُّ سَلَمَةَ، وَأُمُّ حَبِيبَةَ رحمهم الله أَتَتْنَا أَرْضَ الْحَبَشَةِ، فَذَكَرْنَا مِنْ حُسْنِهَا وَتَصَاوِيرِ فِيهَا، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «أُولَئِكَ إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ الرَّجُلُ الصَّالِحُ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا،

ثُمَّ صَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّورَةَ، أُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ». متفق عليه^(١).

٢. حديثُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ: مَنْ تُدْرِكُهُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءُ، وَمَنْ يَتَّخِذُ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ». رواه أحمد^(٢).

لماذا كانوا شرار الخلق عند الله تعالى؟

كان هؤلاء شرار الخلق عند الله لأسباب، منها:

الأول: أن اتخاذ القبور مساجد من أعظم أسباب وقوعهم وإيقاع غيرهم في الشرك بالله تعالى، فيكونون قد ضلوا بأنفسهم وأضلوا غيرهم من حيث كان الواجب عليهم هداية أنفسهم وهداية الآخرين.

الثاني: أنهم قد أدخلوا الشرك على أنفسهم من حيث يظنون أنهم يحسنون صنعا، فهم يظنون عملهم عبادة وقربة إلى الله تعالى، فيجتهدون فيه، ويدعون إليه، وهذا غاية الجهل والضلال.

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، بابُ بِنَاءِ الْمَسْجِدِ عَلَى الْقَبْرِ، برقم: (١٢٧٦)، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، بابُ التَّهْنِئَةِ عَنْ بِنَاءِ الْمَسَاجِدِ، عَلَى الْقُبُورِ وَاتِّخَاذِ الصُّورِ فِيهَا وَالتَّهْنِئَةِ عَنْ اتِّخَاذِ الْقُبُورِ مَسَاجِدَ، برقم: (٥٢٨).

(٢) أخرجه أحمد ٣٩٤/٦ (٣٨٤٤)، وابن أبي شيبة في مصنفه ٣/٣٠ (١١٨١٦)، وصححه ابن خزيمة (٧٨٩) ٦/٢، وابن حبان ٢٦٠/١٥ (٦٨٤٧)، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم (اقتضاء الصراط المستقيم ١٨٦/٢، وإغاثة اللهفان ١/١٨٦): إسناده جيد.

الثالث: أنهم تسببوا في اتخاذ أطهر الأماكن وأفضلها وهي بيوت الله تعالى لمخادته والإشراك به، فبدل أن يذكر فيها اسم الله، وتتخذ لعبادته والتذلل له والخضوع له وتوحيده، تسببوا أن يذكر فيها اسم غير الله تعالى من الطواغيت.

ما الذي يشمله اتخاذ القبور مساجد؟

اتخاذ القبور مساجد، يشمل ثلاثة أمور:

الأول: بناء المساجد عليها والصلاة فيها.

الثاني: الصلاة عندها وإن لم يكن عليها مسجد، وذلك أن كل موضع يصلى فيه يسمى مسجداً.

الثالث: الصلاة إليها، بأن يتجه إلى القبر في حال الصلاة.

وهذا كله فيمن يصلي لله تعالى، أما من يصلي للقبر نفسه، فهذا هو الشرك بعينه، ولا شك أن مَنْ قَصَدَ الصلاة عندها تعظيماً لها، أو لمن دُفِن فيها، فإن الأمر سيؤول به إلى عبادتها من دون الله تعالى.

حلول اللعنة على متخذي القبور مساجد

لقد شدد النبي ﷺ التحذير من اتخاذ القبور مساجد حتى إنه لعن مَنْ

فعل ذلك، كما جاء في عدة أحاديث منها:

١ - حديث عائشة وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما: قَالَا: لَمَّا نَزَلَ^(١)

(١) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: (لَمَّا نَزَلَ) كَذَا لِأَبِي ذَرٍّ بِفَتْحَتَيْنِ وَالْفَاعِلُ مَحْذُوفٌ أَي: الْمَوْتُ، وَلِعْيَرِهِ بِضَمِّ الثُّونِ وَكَسْرِ الزَّايِ. اهـ (فتح الباري ١/٥٣٢).

بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ طَفِقَ يَطْرَحُ حَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَإِذَا اغْتَمَّ كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ، فَقَالَ وَهُوَ كَذَلِكَ: «لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»، قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا^(١): يُحَذِّرُ مِثْلَ مَا صَنَعُوا، [فَلَوْلَا ذَاكَ أُبْرِزَ قَبْرُهُ، غَيْرَ أَنَّهُ خُشِيَ أَنْ يَتَّخَذَ مَسْجِدًا]. متفق عليه^(٢).

٢- حديثُ عبدِ اللَّهِ بنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَايِرَاتِ الْقُبُورِ، وَالْمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ وَالسُّرُجَ». رواه أحمد^(٣).

(١) التصريح بأن هذا من قول عائشة رضي الله عنها جاء في رواية الإمام أحمد في المسند ٣٧٤/٣ (١٨٨٤).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، بَابُ الصَّلَاةِ فِي الْبَيْعَةِ برقم: (٤٣٥)، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها والنهي عن اتخاذ القبور مساجد برقم: (٥٣١)، وهذا لفظه، والزيادة بين معقوفين من قول عائشة رضي الله عنها في مواضع من صحيح البخاري منها في كتاب المغازي، بَابُ مَرَضِ النَّبِيِّ ﷺ وَوَفَاتِهِ برقم: (٤٤٤١)، وفي رواية مسلم برقم: (٥٢٩)، وهذا لفظه فيها، ومعنى طفق: جعل، والخميص: كساء له أعلام.

(٣) أخرجه أحمد ١/٢٢٩، ٢٨٧، ٣٢٤، ٣٣٧، وأبو داود في كتاب الجنائز، باب في زيارة النساء القبور برقم: (٣٢٣٦)، والترمذي في كتاب أبواب الصلاة، باب ما جاء في كراهية أن يتخذ على القبر مسجدا برقم: (٣٢٠)، والنسائي في كتاب الجنائز، باب التَّغْلِيظُ فِي اتِّخَاذِ السُّرُجِ عَلَى الْقُبُورِ برقم: (٢٠٤٣)، قال الترمذي: حديث حسن، وصححه ابن حبان ٤٥٢/٧، وقواه شيخنا ابن باز رحمه الله فقال: ثبت عن رسول الله ﷺ (مجموع فتاوى ابن باز ٣٣٢/٥).

من وصايا النبي ﷺ قبل موته: النهي عن اتخاذ القبور مساجد

من وصايا رسول الله ﷺ قبل موته بخمس ليال: ما حدث به جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس، وهو يقول: «إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله تعالى قد اتخذني خليلًا، كما اتخذ إبراهيم خليلًا، ولو كنت متخذًا من أمتي خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك». رواه مسلم^(١).

الغلو في قبور الأنبياء والصالحين يصيرها أوثانًا تُعبد من

دون الله

الغلو في قبور الأنبياء والصالحين بالبناء عليها، والصلاة عندها، وغير ذلك من أنواع الغلو يجعلها أوثانًا تُعبد من دون الله تعالى؛ لأنه يورث التآله والعبادة شيئًا فشيئًا.

ويدل لذلك ما يأتي:

١. حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «اللهم لا تجعل قبري وثناً، لعن الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»^(٢).

(١) أخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها برقم: (٥٣٢).

(٢) أخرجه أحمد ٣١٤/١٢ (٧٣٥٨)، وأبو يعلى الموصلي مسنده ٣٣/١٢ (٦٦٨١)، والحميدي في مسنده ٢٢٤/٢ (١٠٥٥)، وصححه الألباني في أحكام الجنائز ص ٢١٧.

٢. قال مجاهد رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّتَ

وَالْعُزَّىٰ ۖ﴾ [النجم: ١٩] قال: كان يُلْتُ لهم السَّوِيقُ،

فمات فعكفوا على قبره.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: كان يُلْتُ السَّوِيقُ للحاج^(١).

ومعنى عكفوا على قبره: لازموه، وأقبلوا عليه، وحبسوا أنفسهم

عنده، واجتمعوا حوله، فتبين بذلك أن سبب عبادة اللات هو الغلو في

قبره حتى صار وثناً يعبد.

حكم زيارة القبور

زيارة القبور للاتعاظ والتذكر سُنَّةٌ، والدليل على ذلك: حديثُ

بُرَيْدَةَ بْنِ الْحُصَيْبِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا». رواه مسلم^(٢).

حكمة مشروعية زيارة القبور

الحكمة من مشروعية زيارة القبور تتلخص في أمرين:

١ - الاتِّعَاضُ وتذكُّر الآخرة.

٢ - الدُّعَاءُ للموتى.

(١) السَّوِيقُ دقيق الحنطة أو الشعير، ولته: خلطه وبَّله بالسمن أو الماء.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الجنائز، باب استئذان النبي ﷺ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي زِيَارَةِ قَبْرِ أُمِّهِ

برقم: (٩٧٧).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «زُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ». رواه مسلم ^(١).

أقسام زيارة القبور

زيارة القبور أربعة أقسام:

١. الزَّيَارَةُ الشَّرْعِيَّةُ: وهي الزَّيَارَةُ التي يكون الغرض منها الاتعاظ وتذكر الآخرة، أو زيارة الموتى للدعاء لهم.
٢. الزَّيَارَةُ الْحَرَمَةُ: وهي زيارة النساء للمقابر.
٣. الزَّيَارَةُ الْبِدْعِيَّةُ: وهي زيارة القبور لدعاء الله تعالى عندها لظنّها أماكن فاضلة للدعاء، أو للتوسُّل بالموتى.
٤. الزَّيَارَةُ الشَّرَكِيَّةُ: وهي زيارة القبور لدعاء الموتى مِنْ دُونِ اللَّهِ، والاستغاثة بهم، أو للطواف بالقبور تعظيماً، ونحو ذلك.

شَدُّ الرَّحَالِ إِلَى زِيَارَةِ الْقُبُورِ

المُرَادُ بِشَدِّ الرَّحَالِ: السَّفَرُ، وَالسَّفَرُ لِأَجْلِ زِيَارَةِ الْقُبُورِ لَا يَجُوزُ، وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ: حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا تُشَدُّ

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجنائز، باب استئذان النبي ﷺ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي زِيَارَةِ قَبْرِ أُمِّهِ
برقم: (٩٧٦).

الرَّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ، وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى»^(١).

ولا يجوز أيضا شدُّ الرِّحالِ بنيةِ زيارةِ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ لعمومِ الحديثين السابقين، ولكن مِنَ السُّنَّةِ شَدُّ الرِّحالِ لزيارةِ مَسْجِدِهِ ﷺ. والحِكْمَةُ مِنْ تَحْرِيمِ شَدِّ الرِّحالِ إِلَى الْقُبُورِ: سَدُّ ذَرِيعَةِ الشَّرْكِ بتعظيمها، وعبادتها مِنْ دُونِ اللَّهِ تَعَالَى.

(١) أخرجه البخاري في أبواب التطوع، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة ٣٩٨/١ (١١٣٢)، ومسلم في كتاب الحج، باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ١٠١٤/٢ (١٣٩٧).

الدرس الثالث:

السبب الثالث: التبرك بالأشجار والأحجار ونحوهما

تعريف التبرك

التبرك هو: طلبُ البركة ورجاؤها واعتقادها.
والبركة هي: النماء والزيادة.

أنواع التبرك^(١)

التبرك نوعان:

النوع الأول: تبرك مشروع، وهو: التماس البركة من شيء دلَّ
الشرع على جواز التبرك به.
أمثلته:

١. التبرك بقراءة القرآن على المرضى للاستشفاء به.

٢. التبرك بالمطر بالتعرض له.

٣. التبرك بشرب ماء زمزم.

(١) ينظر: التبرك أنواعه وأحكامه، للدكتور ناصر بن عبد الرحمن الجديع ص ٣٩، ٢٠١،

شروط التبرك المشروع

لجواز هذا التبرك شرطان:

١. أن يكون فيما وَرَدَ الشرع بأن فيه بركة، مثل: ماء زمزم.
٢. أن يكون التبرك فيه بالصفة الشرعية، كشرب ماء زمزم، والاستشفاء بشربه أو غسل البدن به.

مثال على تحقق الشرطين وعدمه:

التبرك بالقرآن الكريم، قال الله تعالى : ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ﴾ [ص: ٢٩]، فالقرآن كتاب مبارك بلا ريب.

أ- التبرك المشروع به على صور منها: حفظه، وقراءته، والعمل به، والتداوي به بالرقية الشرعية، وقراءته على المصروع والممسوس، وقراءة بعض آياته عند النوم للحفاظ كآية الكرسي والمعوذات، وغير ذلك مما ورد به الشرع المطهر.

ب- التبرك غير المشروع بالقرآن على صور منها: تعليقه للبركة على البيوت أو السيارات، أو وضعه في السيارات أو المكاتب لحفظها من العين، أو تعليقه تائم للحفاظ من العين فكل هذا لا يجوز.

النوع الثاني: تبرُّكٌ ممنوع، وهو: التماسُّ البركة من شيءٍ لم يأذن الشرع بالتبرك به، أو دلَّ على منعه، أو أذن بالتبرك به ولكن يتبرك به على غير الصفة المشروعة.

أمثلته:

١. التبرُّكُ بذوات الأولياء الأحياء، بالتمسح بهم، أو أخذ غسالتهم.
٢. التبرُّك بالأموات، أو بالأضرحة والقبور والمزارات.

حكم التمسُّح بالأشجار والأحجار والأولياء

التَّمَسُّحُ بالأشجار والأحجار أو البقاع أو المغارات أو الزوايا أو القبور أو الأضرحة والمشاهد أو الآثار أو الأولياء والصالحين على نوعين:
النوع الأول: التَّمَسُّحُ البدعيُّ، وهو التَّمَسُّحُ الذي لا يَصِلُ إلى درجة الشرك، وله صورٌ منها:

الصُّورة الأولى: أن يكون التَّمَسُّحُ من غير قصدٍ للبركة ولا غيرها، بل يفعله تقليدًا، أو لظنه مشروعًا، أو محبةً مجردة، كما يفعله بعض الجهَّال حين يتمسحون بموضع مقام إبراهيم عليه السلام، أو ببعض أبواب الحرم المكيِّ، ونحو ذلك.

الصُّورَةُ الثَّانِيَّةُ: التَّمَسُّحُ بقصد طلبِ البركةِ من الموضع الذي يتمسح به؛ ظَنًّا أن الله تعالى جعل فيه بركةً تُقصد، أو أن الشرع أمرَ بذلك لما فيه من البركة والخير.

حُكْمُهُ: هذا النوع من التَّمَسُّحِ بدعة محرمة، ووسيلة إلى الشرك، يجب تركه والنهي عنه، والتحذير منه.

والصُّورَةُ الثانية أشد من الأولى؛ لأنه جعل ما ليس بسبب للبركة سبباً لها، ولهذا شدد فيه بعض العلماء واعتبروه من الشُّرك الأصغر.

النوع الثاني: التَّمَسُّحُ الشَّرْكَى، وصُورَتُهُ:

التَّمَسُّحُ طلباً للبركة من المتمسِّح به، مع اعتقاد أنه يجلب البركة بنفسه، وأنه يشفي المرضى بذاته، وأنه يعطي الخير والبركة ويفيضها من ذاته إلى المتمسِّح، أو أنه ينفع أو يضر، أو يرفع ويخفض.

حُكْمُهُ: هذا النوع شركٌ أكبر، لما في ذلك من التعلق بغير الله تعالى في حصول البركة من غيره جل وعلا، وهذا نوع من صرف العبادة لغير الله تعالى، وهو من جنس ما كان يفعله أهل الجاهلية مع آلهتهم التي يعكفون عليها.

وإذا انضم إلى ذلك: الدعاء، أو طلب الغوث والمَدَدِ، أو الطواف به تعظيماً له، فقد اجتمع في ذلك أنواع من الشرك الأكبر.

والدليل على ذلك:

١. قولُ الله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ۖ وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ الْآخِرَىٰ ۚ

﴿٢٠﴾ [النجم: ١٩] ^(١)، ففي هذه الآية الكريمة دليل على أن

التبرك بالأشجار والأحجار وقيور الصالحين ونحوهم شرك أكبر؛ لأن ذلك من جنس فعل المشركين مع تلك الأوثان؛ حيث كانوا يعبدونها طلباً لبركتها؛ من نفع أو دفع ضرر.

٢. حديثُ أبي واقدٍ الحارثِ بنِ عوفٍ اللَّيْثِيِّ رضي الله عنه قال: خَرَجْنَا

مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى حُنَيْنٍ وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ ^(٢)، وَلِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عَنْهَا، وَيَنْوُطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ يُقَالُ لَهَا: (ذَاتُ أَنْوَاطٍ). قَالَ: فَمَرَرْنَا بِالسِّدْرَةِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُ أَكْبَرُ، إِنَّهَا السُّنَنُ، قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ: (اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ).

(١) سورة النجم الآيتان ١٩ - ٢٠، و(اللآت): صخرة بيضاء، عليها بيت بالطائف، كانت العرب تعبدوها في الجاهلية، و(العزى): شجرة سمر، عليها بناء وأستار، في مكان بين مكة والطائف، كانت قريش تعظمها في الجاهلية، و(مناة): شجرة بين مكة والمدينة، كان أهل المدينة يعظمونها في الجاهلية.

(٢) يعني: ممن أسلم حديثاً بعد فتح مكة.

قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ)، لَتَرْكَبَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ». رواه أحمد والترمذي والنسائي والطبراني^(١).

ففي هذا الحديث دليلٌ على أن التبرك بالأشجار والأحجار شركٌ أكبر، لتسويته ﷺ بين مقالتهُم ومقالة بني إسرائيل التي طلبوا فيها من موسى عليه السلام أن يجعل لهم إلهًا مع الله تعالى يعبدونه ويتقربون إليه.

ما يُشرع استلامه من الأحجار

الاستلام هو: المسحُ.

وقد ذُكِرَتِ السُّنَّةُ على مشروعية استلام حجرين فقط، هما:

١. الحجرُ الأسود: وهو الرُّكنُ الأول من أركان الكعبة المشرفة، فيسنُّ استلامه باليدِ اليمنى وتقبيله إن تيسر، ولكن لا يُشرع مسح الوجه أو البدن به لعدم ما يدل على مشروعية ذلك.
٢. الرُّكنُ اليماني: وهو الرُّكنُ الرابع والأخير من أركان الكعبة المشرفة، فالسنة استلامه باليدِ اليمنى فقط، ولا يسنُّ تقبيله،

(١) أخرجه أحمد ٢٢٥/٣٦ (٢١٨٩٧)، والترمذي في أبواب الفتن، باب ما جاء لَتَرْكَبَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ برقم: (٢١٨٠)، والنسائي في السنن الكبرى في كتاب التفسير، سورة الأعراف، باب قَوْلُهُ تَعَالَى: (فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكِفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ)، برقم: (١١١٢١)، والطبراني في المعجم الكبير ٢٤٤/٣، وهذا لفظه، وصححه ابن حبان ٩٤/١٥ (٦٧٠٢)، والألباني في ظلال الجنة ٣٧/١ (٧٦)، ومعنى: يُنَوِّطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ: يعلّقونها عليها لتناولها بركتها.

ولا مسح الوجه أو البدن به لعدم ما يدل على مشروعية ذلك.

عمرُ ﷺ يقبل الحجرَ ويحذرُ من الشرك

الحجرُ الأسود يستلمُ أتباعا لسنة النبي ﷺ لا طلبا للبركة، ولهذا لا يجوز مسح البدن بعد استلامه، فضلا عن مسح الأولاد أو الملابس وغيرها، فكل هذا بدعة لا أصل لها، ولهذا لما قبل عمر ﷺ الحجر الأسود بين للناس أنه لا ينفع ولا يضر، فقال: إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُقْبِلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ (١).

(١) رواه البخاري في كتاب الحج، باب ما ذكر في الحجر الأسود، برقم: (١٥٢٠)، ومسلم في كتاب الحج، باب استحباب تقبيل الحجر الأسود في الطواف برقم: (١٢٧٠).

الدرس الرابع: السبب الرابع: التصوير

التصوير المنهي عنه

التصوير المنهي عنه هو تصوير ذوات الأرواح، مثل: الإنسان، والحيوان، أمّا ما لا روح فيه فيحوز تصويره ورسمه، مثل: الأشجار، والجبال، والجمادات كلها.

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما لرجل سأله عن التصوير: **إِنْ كُنْتَ لَا بُدَّ فَاعِلًا، فَاصْنَعِ الشَّجَرَ وَمَا لَا نَفْسَ لَهُ^(١)**.
وفي رواية: **كُلُّ شَيْءٍ لَيْسَ فِيهِ رُوحٌ^(٢)**.

أنواع التصوير:

النوع الأول: ما كان بفعل الآدمي، مثل: صنع التماثيل، والنحت على الجدار أو القماش أو الحجر، والرسم باليد.
حكمه: محرّم، وهو من كبائر الذنوب، والدليل على ذلك:

(١) أخرجه مسلم في كتاب اللباس والزينة، باب لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة برقم: (٢١١٠).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب يبيع التصوير التي ليس فيها روح، وما يكره من ذلك برقم: (٢٢٢٥).

١. حديثُ أَبِي جُحَيْفَةَ السُّوَّائِيِّ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلَّى الله عليه وآله «لَعَنَ الْمُصَوِّرِينَ». رواه البخاري^(١).

٢. حديثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلَّى الله عليه وآله يَقُولُ: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ خَلْقًا كَخَلْقِي؟ فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً». متفق عليه^(٢).

النوع الثاني: التصوير الضوئي بآلات التصوير الحديثة (التصوير الفوتوغرافي)، وله حالتان:

الحالة الأولى: ما دعت إليه الحاجة، واقتضته المصلحة، مثل: التصوير لإثبات الشخصية، أو لجواز السفر، أو رخصة القيادة، وتصوير المجرمين للتعرف عليهم.
حكمه: جائز.

الحالة الثانية: ما لا تدعو إليه حاجة، ولا مصلحة فيه، مثل: التصوير للذكرى.

حكمه: اختلف فيه العلماء المعاصرون على قولين: فذهب بعضهم إلى تحريمه، وذهب آخرون إلى جوازه.

(١) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، بَابُ مَهْرِ الْبَغِيِّ وَالنَّكَاحِ الْفَاسِدِ برقم: (٥٣٤٧).
(٢) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ) برقم: (٧٥٥٩)، ومسلم في كتاب اللباس والزينة، بَابُ لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ برقم: (٢١١١)، وهذا لفظه.

الحكمة من النهي عن التصوير

للهي عن التصوير حكمٌ منها:

١. ما فيه من إساءة الأدب مع الله تعالى، بما فيه من المضاهاة والمشابهة لخلق الله، ولهذا قال الله تعالى في الحديث القدسي السابق^(١).

٢. أنه ذريعة للشرك بالله تعالى، فإن الشيطان يزين للناس عبادة الصور، ولهذا كان أول شرك وقع في بني آدم بسبب الصور، كما وقع من قوم نوح عليه السلام، حيث صوروا صور رجال صالحين، فلما قلَّ العلم، وسوسَ إليهم الشيطان أن يعبدوها، فعبدوها من دون الله.

٣. أن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة، فعن أبي طلحة الأنصاري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلبٌ ولا صورة». متفق عليه^(٢).

وجوب طمس الصور المحرمة

يجب طمس الصور المحرمة حتى تزول ملامحها، والدليل على ذلك حديث أبي الهيثاج الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ألا

(١) تقدم تخريجه قريباً.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب اللباس، باب التّصاوِير برقم: (٥٩٤٩)، ومسلم في كتاب اللباس والزينة، باب لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلبٌ ولا صورة برقم: (٢١٠٦)، وهذا لفظه.

أَبْعَثْكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ «أَنْ لَا تَدَعَ تِمَثَالًا إِلَّا طَمَسْتَهُ، وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ»، وفي رواية: «وَلَا صُورَةً إِلَّا طَمَسْتَهَا». رواه مسلم^(١).

عقوبة المصورين

دلت الأدلة الشرعية على عدة عقوبات للمصورين يوم القيامة، وهي:

١. أنهم أشد الناس عذاباً يوم القيامة، فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهُونَ بِخَلْقِ اللَّهِ». متفق عليه^(٢).

٢. أن الله تعالى يخلق يوم القيامة بعدد كل صورة صورها

نفساً يعذب بها المصور في جهنم، فعن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ، يَجْعَلُ لَهُ، بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا، نَفْسًا فَتُعَذِّبُهُ فِي جَهَنَّمَ». رواه مسلم^(٣).

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجنائز، باب الأمر بتسوية القبر برقم: (٩٦٩).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب اللباس، باب ما وُطئ من التصاوير برقم: (٥٩٥٤)، ومسلم

في كتاب اللباس والزينة، باب لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة برقم: (٢١٠٧).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب اللباس والزينة، باب لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة

برقم: (٢١١٠).

٣. أن المصوّر يكلف يوم القيامة أن ينفخ فيما صوّره الروح، وليس بقادر على ذلك، ولكنه تعذيب له وتعجيز، فعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ يقول: «مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا كُفِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ، وَلَيْسَ بِنَافِخٍ». متفق عليه^(١).

وفي رواية: «مَنْ صَوَّرَ صُورَةً، فَإِنَّ اللَّهَ مُعَذِّبُهُ حَتَّى يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ، وَلَيْسَ بِنَافِخٍ فِيهَا أَبَدًا»^(٢).

الله تعالى هو الخالق المصوّر

الله تعالى هو الخالق المصوّر، قال الله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٤]، وقال الله تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢].

(١) أخرجه البخاري في كتاب اللباس، باب مَنْ صَوَّرَ صُورَةً كُفِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ، وَلَيْسَ بِنَافِخٍ برقم: (٥٩٦٣)، ومسلم في كتاب اللباس والزينة، باب لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ برقم: (٢١١٠).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب يَبْعُ التَّصَاوِيرَ الَّتِي لَيْسَ فِيهَا رُوحٌ، وَمَا يُكْرَهُ مِنْ ذَلِكَ برقم: (٢٢٢٥).

ومعنى المصوّر: الذي صوّر المخلوقات على أشكالها التي هي عليها، فأحسن صورتها، قال الله تعالى: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [التغابن: ٣].

ولا أحد يستطيع أن يخلق شيئاً مهما بلغ من الصغر والحقارة، قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ فَاَسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّكَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ﴾ [الحج: ١٧٣].

وفي الحديث القدسي السابق: «فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً».

فلهذا: لا يجوز لأحد أن يتشبه بالله تعالى في هذه الصفة الخاصة به.

ما لا يدخل في التصوير المحرم

١. صورة أجزاء من ذوات الأرواح غير الوجه، كاليد والرجل ونحوهما.
٢. الصورة التي قطع رأسها فلا يوجد أصلاً، أو طمس فلم تظهر معالنه.
٣. الصورة التي لا معالم لها، وهي التي تكون سوداء كالظلال.

الدرس الخامس: العبادة

معنى العبادة

العبادة لغة: التذلل والخضوع.

وشرعاً: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال،
الباطنة والظاهرة^(١).

وهذه العبادة تسمى: عبودية اختيارية^(٢).

أمثلة على العبادات بأنواعها

أمثلة الأقوال: قول: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، والدعوة إلى التوحيد، والنهي
عن الشرك ووسائله، والدعاء والذكر وقراءة القرآن، وصدق الحديث،
والدعوة إلى الله تعالى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

أمثلة الأعمال الباطنة: اعتقاد وحدانية الله تعالى في ربوبيته وألوهيته،
وإخلاص الدين له، وحب الله ورسوله ﷺ، والتوكل على الله، وخشيته
في السر والعلن، والإنابة إليه، والرضا بقضائه، والرجاء لرحمته، والخوف

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ١٠ / ١٤٩.

(٢) أو عبودية خاصة، وفيه نوع آخر من العبودية، وهي: (العبودية القهرية)، أو (العبودية العامة)، ومعناها: خضوع جميع الكائنات لله تعالى، وهذا النوع من العبادة لا يترتب عليه ثواب ولا عقاب؛ إذ كل الكائنات فيه سواء.

مِنْ عَذَابِهِ.

أَمْثَلَةُ الْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ: الصلاة والزكاة والصيام والحج، والجهاد، وبرُّ الوالدين، وصِلَةُ الْأَرْحَامِ، والإحسانُ إِلَى الْجَارِ وَالْيَتِيمِ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ، والإحسانُ إِلَى الْحَيَوَانِ.

وجوب صرف كلِّ العباداتِ لله تعالى

يَجِبُ صَرْفُ كُلِّ عِبَادَةٍ لِلَّهِ تَعَالَى وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَإِنَّهُ تَعَالَى وَحْدَهُ دُونَ سِوَاهُ مَنْ يَسْتَحِقُّ مِنَّا أَنْ نَعْبُدَهُ وَنَخْضَعُ لَهُ، فَهُوَ الَّذِي خَلَقَنَا وَرَزَقَنَا، وَهَذَا هُوَ مَعْنَى تَوْحِيدِ الْأُلُوْهِيَّةِ وَلِهَذَا يُسَمَّى: (تَوْحِيدِ الْعِبَادَةِ)، وَلِأَجْلِ هَذَا أَرْسَلَ اللَّهُ الرِّسْلَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكُتُبَ، يَأْمُرُونَ بِالتَّوْحِيدِ، وَيَحْذَرُونَ مِنَ الشِّرْكِ.

والدليل على ذلك:

١- قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

٢- قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ [البقرة: ٢١-٢٢].

شروط قبول العبادة

يشترط لقبول العبادة أن تكون صحيحة، ولا تكون صحيحة إلا بشرطين:

١. أن تكون خالصةً لله تعالى.
 ٢. أن تكون صواباً موافقةً لسنة رسول الله ﷺ.
- ومن الأدلة الجامعة لهذين الشرطين:
١. قولُ الله تعالى: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ١١٢].

- فمعنى ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُ﴾: أخلص عبادته لله.
- ومعنى ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾: متبعٌ للرسول ﷺ.
٢. قولُ الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].
- ولا يكون العمل صالحاً إلا بموافقة السنة.

أركانُ العبادة

للعبادة ثلاثة أركان هي:

١. المَحَبَّةُ لله تعالى، فيجبُ أن يُعْبَدَ الله تعالى مَعَ مَحَبَّتِهِ، ويجبُ

أن تكون محبته مقدمة على كل محبوب.

٢. الخوف من الله تعالى، فيجب أن يُعبد الله تعالى مع الخوف

منه، والخوف من عقابه في الدنيا والآخرة.

٣. الرجاء من الله تعالى، فيجب أن يُعبد الله تعالى مع رجاء ما

عنده من الثواب والمغفرة والعطاء.

شرف العبودية

العبودية لله تعالى هي أعلى وأشرف مقامات العبد، وكمال الإنسان في تحقيق عبوديته لله تعالى، وكلما ازداد العبد تحقيقاً لعبوديته لربه ازداد كماله وعلت منزلته، ومن توهّم أن كماله في الخروج عنها فهو من أجهل الخلق وأضلّهم؛ فإن العبد إن لم يكن عبداً لله تعالى كان عبداً لغيره.

ولهذا ذكر الله تعالى أنبياءه عليهم السلام بوصف العبودية في مواضع كثيرة من كتابه الكريم وهذا دليل على علو مقام العبودية وشرفه.

كل من عبد غير الله فهو عابد للشيطان

كل من استكبر عن عبادة الله جل وعلا، واتبع هواه فعبد إلهاً آخر فقد أذل نفسه للشيطان الرجيم، واتخذ إلهاً من دون الله تعالى، قال الله تعالى مبيناً ذلك: ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنْتًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا

شَيْطَانًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَا ضِلَّتْهُمْ وَلَا ضَلَّوْهُمْ وَلَا مَنِيْنَهُمْ وَلَا مَنِيْنَهُمْ فَلْيُبْتِئْكَ أَذَاتُ الْأَنْعَامِ وَلَا مَرْتَهُمْ فَلْيَغْيِرْكَ خَلْقُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا ﴿١١٩﴾ [النساء: ١١٧ - ١١٩].

كيف يترك العاقل الحازم عبادة الرب الخالق، ويعبد شيطاناً رجيماً؟!

العبادات التي وقع فيها الشرك

أولاً: العبادات الباطنة التي وقع فيها الشرك

١. المَحَبَّةُ.
٢. الْخَوْفُ.
٣. الرَّجَاءُ.
٤. التَّوَكُّلُ.

ثانياً: العبادات الظاهرة التي وقع فيها الشرك

١. الدُّعَاءُ.
٢. الاسْتِغَاثَةُ.
٣. الاسْتِغَاثَةُ.
٤. الاسْتِعَاذَةُ.

٥. النَّذْرُ.

٦. الذَّبْحُ وَالنَّحْرُ.

٧. الطَّوَافُ.

٨. الِاعْتِكَافُ وَالْعُكُوفُ.

وبيان هذا بالتفصيل في الدروس التالية إن شاء الله تعالى.

أولاً:

العبادات الباطنة التي وقع فيها الشرك

١. المَحَبَّةُ.
٢. الخَوْفُ.
٣. الرَّجَاءُ.
٤. التَّوَكُّلُ.

الدرس السادس: المحبة

محبة الله تعالى عبادة

محبة الله تعالى من أعظم العبادات وأجلّها، وهي ركن من أركان العبادة، والله تعالى أعظم محبوب، قال الله تعالى: ﴿يَتَأَيَّمُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِمْ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [المائدة: ٥٤].

أسباب محبة المسلم لربه جل وعلا

واجب على المسلم أن يحب الله تعالى لأسباب كثيرة أهمها خمسة أسباب:

- الأول: حبه لذاته، فإن الله تعالى يحب لما هو عليه من صفات الجلال والكمال والجمال، فصفاته أحسن الصفات وأعلاها.
- الثاني: أنه خلقه ورزقه، وأمدّه بجميع النعم.
- الثالث: أنه هداه للإسلام والسنة، ووفقه لاتباع دينه وشرعه، وهذه أعظم النعم.

الرابع: أنه سخر له جميع ما في الأرض ليستعين به على حاجاته.
الخامس: أنه كرّمه على أكثر المخلوقات، وفضله عليها، ومما كرّمه به: العقل والفهم.

أنواع المحبة

المحبة أنواع أهمها ما يلي:

١. محبة الله تعالى، وهي: محبة العبودية المستلزمة للذل والخضوع والتعظيم والطاعة والإيثار على مراد النفس.
حكمها: واجبة، وهي شرط في صحة الإيمان، وعلامة على صحة التوحيد، ولا تصلح إلا لله وحده.

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

٢. المحبة الشرّكية، وهي: محبة أحد مثل محبة الله تعالى، أو أكثر من محبته، بحيث يخضع له، ويتذلّل له، ويعظمه كتعظيم الله تعالى أو أكثر.
حكمها: شرك أكبر.

والدليل على هذا: قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

والأنداد: الأمثال والنظراء، فدلّت الآية الكريمة على أن كمال الحب المقتضي للذل والخضوع يجب أن يكون لله تعالى، ولا يجوز لمؤمن أن يحب أحداً كائناً ما كان كمحبة الله تعالى، ولهذا وصف الله تعالى عباده

المؤمنين بزيادة محبته على غيره، فقال: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

٣. **الحبة الشرعية**، وهي المحبة المأمور بها شرعاً، وأجلها بعد محبة الله تعالى: محبة رسول الله ﷺ، وهي واجبة، والمحبة في الله وهي مسنونة.

٤. **الحبة المباحة**، وهي المحبة التي لا محذور فيها، مثل: محبة الوالدين والأولاد والأزواج، ومحبة الطعام والشراب.

وجوب تقديم محبة الله تعالى ورسوله ﷺ على محبة غيرهما

يجب تقديم محبة الله تعالى، ثم محبة رسوله ﷺ على محبة كل أحد، ومن أدلة هذا:

١. قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكَنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

والمعنى: قل يا محمد إن كانت محبة هذه الأصناف الثمانية مقدمة عندكم على حب الله ورسوله، أو فعل ما أوجب الله عليكم من الأعمال التي يحبها ويرضاها، كالجهاد (فتربصوا): أي: انتظروا ماذا يحل بكم من عقابه.

٢. حديث أنسٍ رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ». متفق عليه. (١)

ثمرة تقديم محبة الله تعالى ورسوله ﷺ على محبة غيرهما

من ثمار محبة الله تعالى ومحبة رسوله ﷺ أكثر من محبة ما سواهما وجود لذة الإيمان وحلاوته في القلب، كما يدل لهذا حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَفَ فِي النَّارِ». متفق عليه. (٢)

علامات صدق المحبة لله ورسوله ﷺ

من أهم علامات صدق محبة الله ورسوله ﷺ ما يلي:

-
- (١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب حُبِّ الرَّسُولِ ﷺ من الإيمان، برقم: (١٥)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب وُجُوبِ مَحَبَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَكْثَرَ مِنَ الْأَهْلِ وَالْوَلَدِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ وَإِطْلَاقِ عَدَمِ الْإِيمَانِ عَلَى مَنْ لَمْ يُحِبَّهُ هَذِهِ الْمَحَبَّةُ، برقم: (٤٤).
- (٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب حَلَاوَةِ الْإِيمَانِ، برقم: (١٦)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بَيَانِ خِصَالٍ مِنْ اتِّصَافِ بِهِنَّ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ، برقم: (٤٣).

١. طاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ، وذلك بفعل ما أمر الله به ورسوله ﷺ، واجتناب ما نهى الله عنه ورسوله ﷺ، وكلما كان المسلم أطوع لله تعالى كان أصدق في محبته.

٢. تقديم محبته تعالى ومحبة رسوله ﷺ على كل محبوب، فيقدم محاب الله على محاب نفسه وملذاتها، وإذا تعارض ما يريده مع مراد الله قدم مراد الله.

٣. تعظيم أمر الله ونهيه وأمر رسوله ﷺ ونهيه وتقديمه على قول كل أحد، صغير وكبير وقريب وبعيد، وتعظيم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وشريعته.

٤. موالة من وإلى الله ورسوله، ومعاداة من عادى الله ورسوله ﷺ. ٥. بغض ما يبغضه الله تعالى ورسوله ﷺ من الكفر والفساد والضلال والظلم، وجميع الذنوب والمعاصي.

٦. محبة ما يحبه الله ورسوله ﷺ من الإيمان والعمل الصالح، والصالحين.

وبقدر ما تزداد محبة الله ورسوله في قلب المسلم بقدر ما تكون آثارها في حياته وعمله.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ

ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾ [آل عمران: ٣١].

قال العلامة السعدي رحمه الله: هذه الآية هي الميزان التي يُعرف بها مَنْ أَحَبَّ الله حقيقةً وَمَنْ ادَّعى ذلك دعوىً مجردةً. ١. هـ^(١).

الحُبُّ في الله

مِنْ أَجْلِ أَنْوَاعِ الْمَحَبَّةِ: المحبة في الله، والمراد بها: محبة المرء المسلم لما فيه من الإيمان، وخصال الخير والتقوى.

مثال ذلك: محبة الأنبياء عليهم السلام، ومحبة أصحاب رسول الله ﷺ، وآل بيته، وعلماء الأمة، والدعاة إلى الله تعالى، والحكَّام المصلحين، وجميع الصالحين، ومن الأدلة على ذلك:

١. حديثُ البراءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنْ أَوْثَقَ عُرَى الْإِيمَانِ: أَنْ تُحِبَّ فِي اللَّهِ، وَتُبْغِضَ فِي اللَّهِ» رواه أحمد^(٢).
٢. حديثُ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ، وَأَبْغَضَ لِلَّهِ، وَأَعْطَى لِلَّهِ، وَمَنَعَ لِلَّهِ فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ» رواه أبو داود^(٣).

(١) تفسير السعدي على الآية المذكورة ص ١١٨ طبعة دار المغني بالرياض، ولا يوجد هذا النص في طبعة دار الرسالة ص ١٢٨ ولكن نحوه.

(٢) أخرجه أحمد ٤٨٨/٣٠ (١٨٥٢٤)، وابن أبي شيبة في مصنفه ٨٠/٧ (٣٤٣٣٨)، والطيالسي ص ١٠١، والبيهقي في شعب الإيمان ١٠٤/١ (١١٤)، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٩٩٨)، (١٧٢٨).

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب السنة، بابُ الدَّلِيلِ عَلَى زِيَادَةِ الْإِيمَانِ وَتُقْصَانِهِ، برقم: (٤٦٨١)، والطبراني في المعجم الكبير ١٣٤/٨، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣٨٠).

الدرس السابع: الْخَوْفُ

المراد بالخوفُ

المراد بالخوف: خوفُ العبدِ من الله تعالى أن يعاقبه في الدنيا أو الآخرة، وخوفُه من مقامه بين يدي ربّه في الآخرة.

الْخَوْفُ عِبَادَةٌ

خوف العبد من الله تعالى عبادةً من أجلّ العبادات وأشرفها، هو ركن من أركان العبادة، فيجب إخلاصه لله تعالى، قال الله تعالى:

﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم: ١٤].

والخوف المحمودُ هو: الخوفُ الذي يدفع صاحبه لعمل الطاعات وترك المنكرات، ولا يصل به إلى اليأس والقنوط من رحمة الله تعالى، ولهذا يجب أن يكون معه الرجاء بالله تعالى وبرحمته، والمؤمن يكون في عامة أحواله بين مترلتي: الرجاء والخوف.

الأمر بالخوف من الله والنهي عن الخوف من غيره

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَائَهُ، فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن

كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

ومعنى الآية الكريمة: أن الشيطان يخوفكم من أوليائه، بإيهامكم أن لهم قوة، فلا تخافوهم وخافوا ربكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، فدل ذلك على وجوب إخلاص الخوف من الله تعالى، وتقديم الخوف منه سبحانه على الخوف من الناس، وجعل الله ذلك شرطاً في الإيمان مما يدل على أن الخوف من غير الله تعالى ينافي الإيمان بالكلية، أو ينافي كماله الواجب.

الثناء على من أخلص خوفه لله تعالى

أثنى الله تعالى على عباده الذين أطاعوه بأنواع الطاعة، وخافوه وحده لا شريك له، فقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة: ١٨]، ومعنى الآية الكريمة: أنه لا يعمر مساجد الله حقيقة إلا الذين آمنوا بقلوبهم، وعملوا بجوارحهم، وداوموا على إقامة الصلاة بأركانها وواجباتها وسننها، وأعطوا الزكاة مستحقيها، وأخلصوا لله الخشية، وهي: المخافة والهيبة التي هي أساس عبودية القلب، ولا تصلح إلا لله وحده.

الأسباب الجالبة للخوف من الله تعالى:

١. تعظيم الله تعالى وتوقيره وإجلاله، ومعرفة عظمة سلطانه وقهره.

٢. التعرف على أسمائه وصفاته، والتفكر في معانيها، وبخاصة الأسماء التي تدل على صفات القوة والجبروت والعلم، مثل: (السميع، والبصير، والقوي، والعزیز، والجبار)، ومن الصفات: (شديد العقاب، وسريع الحساب، وكونه ذي انتقام).

٣. التعرف على نصوص الوعيد والترهيب، كقوله تعالى في تارك الصلاة: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ۚ﴾ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ [المدثر: ٤٢-٤٣].

٤. تذكر الموت وما بعده، مثل: عذاب القبر، والحشر، والصراط، وعذاب النار.

الخوف من الله يقتضي الفرار إليه

مَنْ خَافَ أَحَدًا أَوْ شَيْئًا هَرَبَ مِنْهُ؛ إِلَّا اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا فَمَنْ خَافَهُ لَجَأَ إِلَيْهِ، وَتَقَرَّبَ مِنْهُ، وَفَرَّ إِلَيْهِ، قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى: مَنْ خَافَ مِنْ شَيْءٍ هَرَبَ مِنْهُ، وَمَنْ خَافَ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ هَرَبَ إِلَيْهِ^(١):

(١) إحياء علوم الدين ٤/ ١٥٦.

١. قال الله تعالى: ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ ٥٠ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥١﴾ [الذاريات: ٥٠].

٢. قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّىٰ إِذَا صَافَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَصَافَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنَّهُ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ ١١٨ [التوبة: ١١٨].

الآثار المترتبة على الخوف من الله تعالى:

١. المبادرة لطاعة الله تعالى بفعل أو امره، واجتناب نواهيه.
٢. أداء حقوق العباد، واجتناب ظلمهم والتعدي عليهم.
٣. الفرار إلى الله تعالى واللجوء إليه والاحتساء به.

أقسام الخوف من غير الله

الخوف من غير الله ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الخوف الطبيعي، مثل: الخوف من عدو أو سبع أو غرق أو نار، ومنه قوله تعالى في موسى عليه السلام: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص: ٢١].

حكمه: مباح.

القسم الثاني: الخوف المذموم، وهو الخوف الذي يحمل صاحبه على ترك ما أوجبه الله تعالى عليه، أو فعل ما حرّم الله عليه، مثل: أن يترك ما يجب عليه من جهاد، أو أمر بمعروف ونهي عن منكر لغير عذر خوفًا من بعض الناس، ومنه قوله تعالى لموسى وأخيه هارون عليهما السلام: ﴿لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: ٤٦].

حكمه: محرّم.

القسم الثالث: الخوف الشرّكي، وهو أن يخاف من غير الله تعالى في أمر لا يقدر عليه إلا الله، ويسميه بعض العلماء: (خوف السرّ)، مثل: أن يخاف من غير الله من وثن أو طاغوت أو وليٍّ أو صاحب ضريح أن يصيبه بمجرد مشيئته وقدرته بما يكره، كمرض أو فقر أو جنون. وهذا ما كان يعتقدّه المشركون في أصنامهم وآلهتهم، ويخوّفون بها أهل الإيمان، ويظنون أنّها تصيبهم بمكروه إذا خالفوها، كما قال تعالى: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ [الزمر: ٣٦].

وقال قوم هود عليه السلام له: ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا

بِسُوءِ قَالٍ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [هود: ٥٤].

حكمه: شرك أكبر؛ لأنه اعتقاد للنفع والضرر في غير الله.

ذُمُّ الْخَوْفِ مِنْ غَيْرِ اللَّهِ وَبَيَانُ سُوءِ عَاقِبَتِهِ :

بينت الأدلة الشرعية العاقبة السيئة لمن خاف من الناس كخوفه من الله تعالى، فمن ذلك:

١. قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ

جَعَلَ فِتْنَةً لِلنَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ [العنكبوت: ١٠].

ومعنى الآية الكريمة: أن بعض الناس إذا أصابه أذى من الخلق، أو أصابوه بما يكره جعل ذلك بمنزلة ألم عذاب الله تعالى، فترك طاعة الله تعالى والإيمان به، وهذا من جهله وضعف بصيرته حيث فرّ من ألم ساعة إلى ألم الأبد.

٢. حديث عائشة رضي الله عنها قالت: سمعتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ

يقول: «مَنْ التَّمَسَّ رِضَاءَ اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللَّهُ مُؤَنَّةَ النَّاسِ، وَمَنْ التَّمَسَّ رِضَاءَ النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ وَكَلَّهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ». رواه الترمذي^(١).

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الزهد، باب (٦٤) برقم: (٢٤١٤)، وعبد بن حميد كما في المنتخب من مسنده ٣٧٩/٢، وصححه ابن حبان ٥١٠/١ (٢٧٦)، وقال الحافظ ابن حجر في الأمالي المطلقة ص ١١٩: هذا حديث صحيح، وإسناده على شرط الشيخين، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢٣١١)، ومعنى التمس: طلب.

الدرس الثامن:

الرجاء

تعريف الرجاء

الرجاء لغة: الأمل، وهو ضد اليأس.

والرجاء شرعاً هو: طمع العبد بفضل الله ورحمته، وكرمه ومغفرته.

الرجاء عبادة

رجاء العبد ربه جلّ وعلا عبادة من أجل العبادات وأشرفها، هو ركن من أركان العبادة، فيجب إخلاصه لله تعالى، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٨].

أنواع الرجاء

الرجاء ثلاثة أنواع:

النوع الأول: الرجاء المحمود، وهو: رجاء الله تعالى، مع فعل الأسباب المؤدية إلى تحقيقه، وله ثلاث صور:

١. رجاء ثواب الله تعالى، ممن يعمل بطاعة الله.
٢. رجاء المذهب التائب مغفرة الله ورحمته.
٣. رجاء عطاء الله تعالى وكرمه وواسع رزقه ممن يسعى في أسباب الرزق.

قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ﴾
أَحَدًا ﴿١١٠﴾ [الكهف: ١١٠].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ
وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾
[فاطر: ٢٩].

النوع الثاني: الرجاء الكاذب، وهو: الرجاء بدون عمل، مثل: رجاء الشخص المتماذي في الذنوب والمعاصي أن يرحمه الله مع إصراره على خطاياها، ويسمى: (التمني)، أو (الغرور).

قال ابن القيم رحمه الله: الفرق بين الرجاء والتمني: أَنَّ التَّمَنِّيَّ يَكُونُ
مَعَ الْكَسَلِ، وَلَا يَسْئَلُ بِصَاحِبِهِ طَرِيقَ الْجِدِّ وَالْاجْتِهَادِ، وَالرَّجَاءُ يَكُونُ
مَعَ بَذْلِ الْجُهْدِ وَحُسْنِ التَّوَكُّلِ.

فَالْأَوَّلُ: كَحَالِ مَنْ يَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ لَهُ أَرْضٌ يَنْدُرُهَا وَيَأْخُذُ زَرْعَهَا.

وَالثَّانِي: كَحَالِ مَنْ يَشْقُ أَرْضَهُ وَيَفْلَحُهَا وَيَنْذُرُهَا، وَيَرْجُو طُلُوعَ
الزَّرْعِ، وَلِهَذَا أَجْمَعَ الْعَارِفُونَ عَلَى أَنَّ الرَّجَاءَ لَا يَصِحُّ إِلَّا مَعَ
الْعَمَلِ. ١. هـ^(١)

النوع الثالث: الرجاء الشرقي، وهو: رجاء غير الله تعالى فيما هو
من خصائص الله تعالى، وهذا شرك أكبر مخرج عن ملة الإسلام.
أمثلته:

١. رجاء المشركين آلهتهم الباطلة أن يجلبوا لهم نفعاً، أو يدفعوا
عنهم ضرراً.
٢. رجاء القبوريين من الأولياء أن يغفروا لهم الزلات، وينجّوهم
من الملمات في الدنيا أو في الآخرة.

وجوب الجمع بين الخوف والرجاء

يجب على المؤمن أن يجمع بين الخوف من الله تعالى، ورجاء رحمته،
وبهذا يصل إلى درجة الاعتدال في الخوف والرجاء، فلا يغلب عليه الخوف
فَيَأْسُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَلَا الرَّجَاءُ فَيَأْمَنُ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:
﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ
وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٧].

(١) مدارج السالكين ٣٧/٢.

وقد قرر السلف هذا المنهج، فمما ورد عنهم في هذا:

- أ- قال عمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه: لو نادى منادٍ من السماء: أيها الناس، إنكم داخلون الجنةَ كلُّكم أجمعون إلا رجلاً واحداً لَخِفْتُ أَنْ أَكُونَ هُوَ، ولو نادى منادٍ: أيها الناس، إنكم داخلون النارَ إلا رجلاً واحداً لَرَجَوْتُ أَنْ أَكُونَ هُوَ^(١).
- ب- قال أبو علي الرُّوذَبَارِيُّ رحمه الله: الْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ هُمَا كَجَنَاحِي الطَّائِرِ إِذَا اسْتَوَيَا اسْتَوَى الطَّيْرُ وَتَمَّ طَيْرَانُهُ، وَإِذَا نَقَصَ وَاحِدٌ مِنْهُمَا وَقَعَ فِيهِ النَّقْصُ، وَإِذَا ذَهَبَا جَمِيعًا صَارَ الطَّائِرُ فِي حَدِّ الْمَوْتِ؛ لِذَلِكَ قِيلَ: لَوْ وُزِنَ خَوْفُ الْمُؤْمِنِ وَرَجَاؤُهُ لَاعْتَدَلَ^(٢). هـ.
- ج- قال مطرّف بن عبد الله رحمه الله: لَوْ وُزِنَ رَجَاءُ الْمُؤْمِنِ وَخَوْفُهُ مَا رَجَحَ أَحَدُهُمَا عَلَى صَاحِبِهِ^(٣).

(١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٥٣/١.

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ١٢/٢ (١٠٢٧).

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ١٢/٢، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٢٠٨/٢.

الدرس التاسع: التوكل

تعريف التوكل

التَّوَكَّلُ لغةً: الاعتمادُ والتفويضُ.

وشرعاً: اعتمادُ القلبِ على الله تعالى في حصولِ مطلوبٍ، أو دفعِ مكروهٍ، مع فعلِ الأسبابِ الممكنةِ المباحةِ.
مثال ذلك: المريض يعتمد بقلبه على الله تعالى في الشفاء لأنه بيده تعالى، ويتناول الدواء على أنه من أسباب الشفاء.

التوكل عبادة

التَّوَكَّلُ على الله تعالى عبادة من أعظم العبادات القلبية وأجلّها، فيجب على المؤمن أن يعتمد بقلبه على الله تعالى وحده لا على الأسباب التي يبذلها.

قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

ومعنى الآية الكريمة: على الله وحده فتوكلوا لا على غيره.

التَّوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ وَحْدَهُ مِنْ أَهَمِّ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ

ذَكَرَ اللَّهُ التَّوَكَّلَ مع أَهَمِّ صفات المؤمنين، فقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

ومعنى ﴿وَجِلَتْ﴾: خافت، ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ أي: لا يرجون غيره بل يعتمدون عليه، ويفوضون أمورهم إليه.

التَّوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ

الواجب على المسلم أن يتوكل على الله تعالى في حصول مقصوده، ودفع المكروه عنه مع فعل ما يمكنه من الأسباب المباحة والمشروعة، وذلك في جميع أموره:

١. الدِّينِيَّة، مثل: حفظ القرآن، والدعوة إلى الله تعالى، والإصلاح بين الناس، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله، يتوكل المسلم على الله تعالى في حصول المقصود.

٢. الدُّنْيَوِيَّة، مثل: التاجر في نجاح تجارته، والمتزوج في نجاح زواجه، والمزارع في نجاح زراعته، والطالب في نجاحه في دراسته، والمعلم في نجاحه في تعليمه، والموظف في نجاحه في وظيفته.

التَّوَكَّلُ عَلَى غَيْرِ اللَّهِ

التَّوَكَّلُ عَلَى غَيْرِ اللَّهِ قِسْمَانِ:

القِسْمُ الأولُ: التَّوَكَّلُ عَلَى غَيْرِ اللَّهِ فِي الْأُمُورِ الَّتِي لَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا إِلَّا اللَّهُ، مِثْلُ: التَّوَكُّلِ عَلَى الْأَمْوَاتِ وَالْغَائِبِينَ وَنَحْوِهِمْ مِنَ الطَّوَاغِيتِ فِي حَصُولِ الرِّزْقِ، أَوْ النَّصْرِ عَلَى الْأَعْدَاءِ.
حُكْمُهُ: شُرْكٌ أَكْبَرُ.

القِسْمُ الثَّانِي: التَّوَكَّلُ عَلَى الْأَحْيَاءِ الْحَاضِرِينَ مِنَ الْحُكَّامِ وَالْأَطْبَاءِ وَنَحْوِهِمْ فِيمَا أَقْدَرَهُمُ اللَّهُ عَلَيْهِ، مِنْ جَلْبِ نَفْعٍ أَوْ دَفْعِ ضَرٍّ، مِثْلُ: الرِّزْقِ، أَوْ حَصُولِ الشِّفَاءِ.
حُكْمُهُ: شُرْكٌ أَصْغَرُ، لِأَنَّهُ اعْتِمَادٌ عَلَى الْأَسْبَابِ، وَنَسْيَانٌ لِلْمُسَبَّبِ وَهُوَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا.

كُفَايَةُ اللَّهِ لِلْمُتَوَكِّلِينَ

التَّوَكُّلُ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ حَصُولِ الْخَيْرِ، وَدَفْعِ الشَّرِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَكْفِي مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ، وَيُعِينُهُ وَيُوفِّقُهُ، وَمَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ:

١. قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنْ

الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [الأنفال: ٦٤].

أي: الله وحده كافيك وكافي أتباعك، فلا تحتاجون معه إلى أحد، وإذا كان الله هو الكافي لعبده وحده، وجب أن لا يتوكل إلا عليه.

٢. قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣]، أي: كافيه.

٣. حديثُ عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعَمَ الْوَكِيلُ﴾ (١٧٣)، قالها إبراهيم عليه السلام حين أُلقيَ في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعَمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣] ^(١).

ومعنى (حَسْبُنَا اللَّهُ): كافينا فلا نتوكل إلا عليه.

تحقيق التَّوَكَّلِ فِي الرِّزْقِ

يجب التوكل على الله تعالى والاعتماد عليه في جلب الرزق، ومن حقق التوكل في الكسب رَزَقَهُ اللهُ تعالى، فعن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير - تفسير سورة آل عمران، باب: (إنَّ الناس قد جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ)، برقم: (٤٢٨٧).

يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو حِمَاصًا، وَتَرْوُحُ بِطَانًا». رواه أحمد والترمذي وابن ماجه^(١).

التَّوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى عَمَلُ الْقَلْبِ، وَلَا يَنَافِي فَعْلَ الْأَسْبَابِ

التَّوَكَّلُ مِنْ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ وَلَيْسَ مِنْ أَعْمَالِ الْجَوَارِحِ، وَهُوَ يَعْنِي: ارتباطُ القلبِ باللهِ تعالى في حصولِ المقصودِ، ودفعِ المكروهِ. قال الإمام أحمد رحمه الله: التَّوَكَّلُ عَمَلُ الْقَلْبِ^(٢). وفِعْلُ الْأَسْبَابِ مِنْ تَمَامِهِ وَمَكْمَلَاتِهِ وَلَوْازِمِهِ، وَلَا يَتَنَافَى مَعَهُ أَبَدًا، بَلْ تَرَكَ الْأَسْبَابَ تَوَاكُلًا مَذْمُومًا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: مَنْ ظَنَّ أَنَّ التَّوَكَّلَ يُغْنِي عَنِ الْأَسْبَابِ الْمَأْمُورِ بِهَا فَهُوَ ضَالٌّ.. فَالْإِلْتِفَاتُ إِلَى الْأَسْبَابِ شِرْكٌ فِي التَّوْحِيدِ، وَمَحْوُ الْأَسْبَابِ أَنْ تَكُونَ أَسْبَابًا نَقْصٌ فِي الْعَقْلِ، وَالْإِعْرَاضُ عَنِ الْأَسْبَابِ الْمَأْمُورِ بِهَا قَدْحٌ فِي الشَّرْعِ؛ فَعَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَكُونَ قَلْبُهُ مُعْتَمِدًا عَلَى اللَّهِ لَا عَلَى سَبَبٍ مِنَ

(١) أخرجه أحمد ١/٣٠، ٥٢، والترمذي في كتاب الزهد، باب في التَّوَكَّلِ عَلَى اللَّهِ، برقم: (٢٣٤٤)، وابن ماجه في كتاب الزهد، باب التَّوَكَّلِ وَالْيَقِينِ، برقم: (٤١٦٤)، قال الترمذي: هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وصححه ابن حبان ٢/٥٠٩ (٧٣٠)، والألباني في السلسلة الصحيحة (٣١٠).

(٢) نقله ابن القيم رحمه الله في مدارج السالكين ٢/١١٤ منزلة التَّوَكَّلِ، وطريق المهجرتين ١/٣٨٩.

الأسباب، والله يُيسِّرُ له مِنَ الأسبابِ مَا يُصلِحُه في الدنيا والآخرة.. وَمَنْ تَرَكَ الأسبابَ الْمأمُورَ بها فَهُوَ عاجزٌ مفرطٌ مذمومٌ. ١. هـ. (١)

ثمرات التَّوَكُّلِ

للتوكل على الله تعالى ثمرات منها:

١. زيادةُ الإيمان.
٢. تعلقُ المؤمن بربه في عموم أحواله، وإذا اعتمد المؤمن على الله تعالى في جميع أموره الدينية والدنيوية دون مَنْ سواه صح إخلاصه، ودام ارتباطه بربه تعالى.
٣. تركُ التعلق بغير الله تعالى، من السحرة وغيرهم.
٤. حصولُ المقصود بإذن الله تعالى.
٥. الفوزُ بثواب الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (الشورى: ٣٦).
٦. الفوزُ بمحبة الله تعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عمران: ١٥٩).
٧. حصولُ الأمن والطمأنينة، وعدم الخوف ممن لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا، كالخوف من السحرة، والعين، ونحوهما.

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٥٢٨/٨، ٥٢٩.

ثانيًا:

العباداتُ الظاهرةُ التي وقع فيها الشُّرك

١. الدُّعَاءُ.
٢. الاسْتِغَاثَةُ.
٣. النَّذْرُ.
٤. الاسْتِعَانَةُ.
٥. الاسْتِعَاذَةُ.
٦. الذَّبْحُ وَالنَّحْرُ.
٧. الطَّوَافُ.
٨. الِاعْتِكَافُ وَالْعُكُوفُ.

الدرس العاشر: الدُّعَاءُ

تعريفُ الدُّعَاءِ

الدُّعَاءُ لغة: هو الطَّلَبُ، والنَّدَاءُ.

وشرعاً: لُجُوءُ الْعَبْدِ إِلَى رَبِّهِ جَلَّ وَعَلَا بِسْؤَالِهِ مَا يَرِيدُ، مِنْ جَلْبِ
مَنْفَعَةٍ، أَوْ دَفْعِ مَضَرَّةٍ.

الدُّعَاءُ عِبَادَةٌ

الدُّعَاءُ عِبَادَةٌ وَقُرْبَةٌ، ولهذا يجب صرفها لله تعالى، وعدم إشراك أحد
معه في ذلك.

والدليل على أنه عبادة:

١. قولُ الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾
[غافر: ٦٠].

٢. حديثُ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الدُّعَاءَ
هُوَ الْعِبَادَةُ»، ثُمَّ قرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ
الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾
[غافر: ٦٠] ^(١).

(١) أخرجه أحمد ٤/٢٧١، ٢٦٧، و أبو داود في كتاب الصلاة، تفريع أبواب الوتر، باب الدعاء،
برقم: (١٤٧٩)، والترمذي في كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة البقرة، برقم: (٢٩٦٩)،
وابن ماجه في كتاب الدعاء، باب فضل الدعاء ٢/١٢٥٨ (٣٨٢٨)، قال الترمذي: حديث حسن
صحيح، وصححه ابن حبان ٣/١٧٢ (٨٩٠)، وقال الحافظ (فتح الباري ١/٤٩): سنده جيد،
وصححه الألباني في صحيح أبي داود (١٣٢٩).

مكانة الدعاء

للدعاء مكانة عظيمة تتمثل فيما يلي:

١. الدعاء من أعظم العبادات وأجلّها، كما تقدم في حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.
٢. الدعاء محبوبٌ لله عزَّ وجلَّ، قال ﷺ: «لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الدُّعَاءِ» رواه أحمد ^(١).
٣. في الدعاء إظهارٌ لذلِّ العبودية لله تعالى، والافتقار إليه، ونفي الكبرياء عن عبادته.

دعاء غير الله شرك أكبر

من دعا غير الله تعالى من الأموات والغائبين فقد وقع في الشرك الأكبر؛ لأن الدعاء نوع من أنواع العبادة التي يجب إخلاصها لله تعالى فمن صرفها لغيره فقد أشرك الشرك الأكبر.

والدليل على ذلك:

١. قولُ الله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٦].

يعني: من المشركين، فالظلم هنا يراد به الشرك.

(١) أخرجه أحمد ٣٦٢/٢، والبخاري في الأدب المفرد (٧١٢)، وابن ماجه (٣٨٢٩)، وصححه الحاكم ٤٩٠/١، وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٥٤٩).

٢. قولُ الله تعالى: ﴿وَأَنّ الْمَسْجِدَ لِلّٰهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ ﴿١٨﴾
[الجن: ١٨].

دُعاء غير الله أعظم الضلال والخسران

أعظم الضلال أن يدعو شخص أحدا غير الله تعالى؛ لأن هذا المدعو من دون الله تعالى لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا، فكيف يملك ذلك لغيره، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾ [الأحقاف: ٥ - ٦]، ففي الآية الكريمة تحذير شديد من دعاء غير الله تعالى، وأنه لا أحد أضل ممن يدعو غير الله تعالى. وقد وصف الله تعالى في هاتين الآيتين الكريميتين المدعوين من دونه - سواء كانوا من الملائكة أو الأنبياء أو الأولياء أو غيرهم - بأربع صفات هي:

- أ- أنهم لا يستجيبون لدعاء الداعين أبداً.
 - ب- أنهم غافلون عن دعاء الداعين.
 - ت- أنهم يعادون الداعين لهم يوم القيامة.
 - ث- أنهم يمحذون عبادتهم لهم وينكرونها.
- وذكره تعالى لهذه الصفات تنبيهاً للجاهلين الغافلين بأن الذين تدعوهم من دون الله تعالى لا ينفعونكم في الدنيا ولا في الآخرة.

المدعوون غير الله تعالى لا يملكون لأحد شيئاً

كل مَنْ دُعي من دون الله تعالى من الأنبياء والصالحين وغيرهم لا يملكون لأحد شيئاً، لا نفعاً، ولا ضرراً، قال الله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشَفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ (٥٦) ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ (٥٧) [الإسراء: ٥٦-٥٧].

ومعنى الآيتين الكريمتين:

- أ- هؤلاء الذين يدعوهم المشركون من دون الله تعالى لا يملكون كشف الضر عنهم وهو رفعه بالكُلِّيَّة، كما لا يملكون تحويل هذا الضر عنهم إلى غيرهم، وهذا دليل على ضعفهم وعجزهم، وعدم صلاحيتهم للتوجه إليهم بالدعاء من دون الله تعالى.
- ب- هؤلاء الذين يدعوهم المشركون من دون الله تعالى مثل: الملائكة، أو الأنبياء أو الصالحين أو غيرهم؛ هم يتقربون إليه سبحانه وتعالى بالأعمال الصالحة، يَرْجُونَ بذلك رَحْمَتَهُ، وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ، فكان الواجب عليكم: أن تفعلوا كما فعلوا، فتتقربون إلى الله تعالى وتدعونه وحده لا شريك له.

دُعاء غير الله من أعظم ما وقع فيه المشركون من الشرك

دُعاء غير الله أكبر أنواع الشرك، وقد كانت هذه المسألة من أكبر

المسائل التي جادل فيها الأنبياء عليهم السلام أقوامهم، ودعّوهم لإخلاصها لله تعالى، ويَبَيّنوا لهم أَنَّ صَرْفَهَا لغيرِ الله مِنْ أعظمِ الشُّرْكِ، ومن أسباب تعظيم هذه المسألة ما يلي:

١. أَنَّ الدعاء هو خلاصة العبادة ومخها.
٢. أَنَّ مِنْ خصائص الإلهية إفراد الله بالدعاء، إذ معنى الإله: المعبود، والدعاء من أعظم العبادات.
٣. أَنَّ الداعي إنما دعا إلهه عند انقطاع أمله ممن سواه، وهذه هي خلاصة التوحيد (انقطاع الأمل مما سوى الله)، فمن دعا غير الله، فقد أخلص له العبادة، وانقطع رجاؤه من غيره حتى الله عز وجلّ، وبهذا يكون قد ساواه بالله تعالى، بل قدّمه عليه، وهذا أعظم الشرك والضلال، ولهذا يقول المشركون لألهتهم وهم في الجحيم: ﴿تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (٩٧) إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾ [الشعراء: ٩٧ - ٩٨].

طلب الرِّزْق لا يكون إلا من الله تعالى

مِنْ أعظم الحاجات التي يسألها الناس الرِّزْق، والواجب أن لا يُسأل الرِّزْق إلا من الله تعالى لأنه هو الذي يملكه:

١. قال الله تعالى: ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ﴾

[العنكبوت: ١٧]، والمعنى: اطلبوا الرزق عنده وحده لا شريك

له دون ما سواه، ﴿وَأَعْبُدُوهُ﴾ يعني: أحلصوا له العبادة كلها وحده لا شريك له، ومن ذلك: عبادة الدعاء بطلب الرزق فلا تكون إلا منه وحده لا شريك له.

٢. وقال الله تعالى: ﴿وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النساء: ٣٢]،

وما ذاك إلا لأن ﴿الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ

الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢٩].

الدرس الحادي عشر: الاستغاثة

تعريف الاستغاثة

الاستغاثة: طلبُ العَوْتِ، وهو التخليص من الشدة والنقمة، والفكاك من الشدائد.

وشرعاً: نداءُ الله تعالى والتَّوجُّهُ إِلَيْهِ لِإِزَالَةِ الشَّدَّةِ وَالْكَرْبِ.

الفرق بين الدعاء والاستغاثة

الاستغاثة لا تكون إلا في حالِ الشدة من المكروب، وأما الدعاء فهو أعم منها؛ لأنه يكون في حال الرِّخاء والشدّة، من المكروب وغيره.

الاستغاثة عبادة

الاستغاثة عبادة وقربة، ولهذا يجب صرفها لله تعالى، وعدم إشراك أحد معه في ذلك.

والدليل على أنها عبادة ما يأتي:

١. قولُ الله تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾

هو [الأنعام: ١٧]، فإذا كان لا يكشف الضر - من مرض أو

فقر أو غيره - إلا الله وحده، فيلزم من ذلك أن يكون هو المدعو وحده لا شريك له؛ إذ كيف يدعو الإنسان من لا يستجيب له من المخلوقين؟!

٢. قولُ الله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِآلِيفٍ مِّنَ الْمَلَكَةِ مُرَدِّفٍ﴾ [الأنفال: ٩].

ففي الآية بيان لحال المؤمنين في غزوة بدر، وأنهم لما أصابهم الكرب والشدة طلبوا من الله تعالى الغوث بالنصر على المشركين، فاستجاب الله لهم، وأمدَّهم بمدد من ملائكته الكرام عليهم السلام متتابعين يردف بعضهم بعضاً.

أنواع الاستغاثة بغير الله

الاستغاثة بغير الله نوعان:

النوع الأول: الاستغاثة الجائزة.

وهي: الاستغاثة بالحيِّ الحاضرِ القادرِ، في أمرٍ يستطيعه.

مثل: استغاثة الصغير بوالديه، واستغاثة الضعيف بالقوي الحاضر

ليدفع عنه الأذى، واستغاثة المظلوم بالسلطان.

ومن أدلة جواز ذلك: قول الله تعالى في قصة موسى عليه السلام:

﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ [القصص: ١٥]، فمُوسَى

عليه السلام كان حياً حاضراً قادراً، فلهذا جازت الاستغاثة به.

النوع الثاني: الاستغاثة الشَّرْكية.

وهي: الاستغاثة بغير الله، في كشف الضر أو تحويله في شيء لا يقدر عليه إلا الله، أو الاستغاثة بالميت مطلقاً، أو الاستغاثة بالحي الغائب. والاستغاثة بغير الله فيما تقدم شرك أكبر، لأن الاستغاثة عبادة، وصرفها لغير الله تعالى شرك أكبر، ومما يدل على ذلك^(١):

١. قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهَهُ فَلَمَّا

نَجَّيْنَاهُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضُوا وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾ [الإسراء: ٦٧].

٢. قوله تعالى: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ تُمْرُّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ

فَالْيَئِسُّ بِالْأَلْبَاسِ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل: ٥٣].

ومعنى: (تَجَارُونَ): ترفعون أصواتكم بالاستغاثة والدعاء ولا تدعون غيره.

لا يكشف الضراء إلا الله تعالى

إذا وقع الإنسان في كرب وشدة فإنه لا ملجأ له إلا إلى الله عز وجل، فالواجب عليه التوجه له وحده لا شريك له أن يكشف كربته وما به من الضر، قال الله تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل: ٦٢].

(١) يدخل في الأدلة جميع الأدلة السابقة في الدعاء، لأن الاستغاثة نوع خاص من الدعاء كما بيناه.

ومعنى الآية الكريمة: لا أحد يستطيع إجابة المضطر إلا الله، فإذا كان لا يجيب دعاء المضطر، ولا يكشف سوء عمن أصابه، إلا الله وحده، فإنه لا يصلح دعاء غيره، ولا طلب الحوائج ممن سواه.

المشركون يستغيثون بالله تعالى وقت الشدة

كان كثير من المشركين إذا وقعوا في كربة، وانقطعت عنهم الأسباب يرجعون إلى فطرتهم، وينسون شركاءهم، ويلجئون إلى الله وحده لا شريك له؛ لعلمهم أنه لا ينفع في وقت الشدائد إلا الله عز وجل، ولا يفرج الكربات سواه، قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥].

فإذا كان هذا حالهم وقت انقطاع الحيل والأسباب، فلماذا لا يكون هذا حالهم دائماً؟!

الدرس الثاني عشر: الاستعانة والاستعاذة

أولاً: الاستعانة

تعريف الاستعانة

الاستعانة لغة: طلبُ العون.

وشرعاً: طلبُ العون من الله جلَّ وعلاً، في قضاء الحاجات وتفريج الكُرُبات، وإتمام كلِّ مقصودٍ من فعلِ المأمورات، وتركِ المحظورات، والصبرِ على المقدورات.

الاستعانةُ عبادةٌ

الاستعانةُ من أجلِّ العبادات التي يجب إخلاصها لله تعالى، والدليل على ذلك:

١. قول الله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]،

والمعنى: لا نستعين إلا بك وحدك.

٢. قول الله تعالى: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا﴾

[الأعراف: ١٢٨].

٣. حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال له: «إذا سألتَ فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله». رواه أحمد^(١).

الاستِئانةُ بغير الله

الاستِئانةُ بغير الله نوعان:

النوع الأول: الاستِئانةُ بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، مثل: الاستِئانةُ بالأموات مطلقاً، أو بالأحياء الغائبين، أو بالحَيِّ الحاضر فيما لا يقدر عليه إلا الله.

مثال ذلك:

١. الاستِئانةُ بالأولياء الموتى في شفاء المرضى.

٢. الاستِئانةُ بأصحاب الأضرحة في حصول الرزق.

حكمها: شركٌ أكبر مخرج عن الملة.

النوع الثاني: الاستِئانةُ بالحَيِّ القادرِ الحاضرِ فيما يقدر عليه.

مثال ذلك:

١. الاستِئانةُ بصديقٍ على قضاء دينٍ.

(١) أخرجه أحمد ٣٠٧/١، ٢٩٣، ٣٠٣، والترمذي في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب (٥٩) برقم: (٢٥١٦) وهذا لفظه، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ، وحسنه ابن رجب في جامع العلوم والحكم ١/١٨٥، والعجلوني في كشف الخفاء ١/٣٦٦، والصنعاني في سبل السلام ٤/١٧٥، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٧٩٥٧).

٢. الاستعانة بالمعلم على فهم الدرس.

حكمها: جائزة إذا كانت في المباحات، وقد تكون مستحبة أو واجبة بحسب العمل.

الاستعانة بالله تعظيم له جلّ وعلا

الاستعانة بالله لا تكون إلا مع اعتقاد كمال الرب تعالى، وكمال ربوبيته وقُيُومِيَّتِهِ على عباده، وتفويض الأمر إليه، واعتقاد كفايته، كما إنها تتضمن كمال الذلّ من العبد لربه وشعوره بافتقاره إليه، فلا يستعينه من هو مستكبر عن عبادته، مغرور بقوته.

الاستعانة بغير الله مساواة له بالله في التعظيم

من استعان بغير الله تعالى فيما لا يقدر عليه إلا الله فقد ساواه بالله تعالى في التعظيم، وهذا عين الشرك الأكبر: ﴿تَاللّٰهِ اِنْ كُنَّا لَفِي ضَلٰلٍ مُّبِيْنٍ﴾ [الشعراء: ٩٧-٩٨].

ثانيًا: الاستعاذة

تعريف الاستعاذة

الاستعاذة لغة: الالتجاء والاعتصام والتحرُّز، وحقيقتها: الهرب من شيء تخافه إلى من يعصمك منه.

والاستِعَاذَةُ بِاللَّهِ هِيَ: الْإِلْتِجَاءُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ مِنْ
أَيِّ مَخَوْفٍ.

الاستِعَاذَةُ عِبَادَةً

الاستِعَاذَةُ عِبَادَةً وَقُرْبَةً، وَهَذَا يَجِبُ صَرْفُهَا لِلَّهِ تَعَالَى، وَعَدَمُ إِشْرَاكَ
أَحَدٍ مَعَهُ فِي ذَلِكَ.

والدليل على أنها عبادة:

١. قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ

إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

٢. قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾﴾ إلى آخر

السورة، وقوله: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾﴾ إلى آخر
السورة.

٣. حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا تَشَهَّدَ

أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ؛ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ
مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا
وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ ^(١).

(١) أخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ما يُستَعَاذُ منه في الصَّلَاةِ، برقم:

حكم الاستعاذة بغير الله

الاستعاذة بغير الله تعالى نوعان:

النوع الأول: الاستعاذة بالمخلوق فيما يقدر عليه.

حكمها: جائزة بشرط أن يكون المستعاذ به حيًّا حاضراً.

أمثلته:

أ- أن تقول للسلطان: أعذني من الرجل الفلاني فقد ظلمني.

ب- أن تقول لأب: أعذني من ولدك فقد آذاني وآذى أهل بيتي.

- ويجوز أن تقول: (أعذني من كذا)، أو تقول: (أعوذ بالله

ثم بك).

- ولا يجوز أن تقول: (أعوذ بالله وبك)، لأن هذا نوع من

الشرك الأصغر، فإن الواو تفيد أن ما بعدها مساوٍ لما

قبلها.

النوع الثاني: الاستعاذة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله.

أمثلته:

أ- الاستعاذة بالجن والشياطين كما كان يفعل المشركون في

الجاهلية.

ب- الاستعاذة بأصحاب الأضرحة والقبور من الأنبياء أو

الصالحين.

حكمها: شرك أكبر؛ لأنه عبادة من العبادات، فصرفها لغير الله شرك

أكبر.

ومما يدل على ذلك: قول الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦]^(١).

فقد أخبر الله تعالى عن مؤمني الجن أنهم ذكروا أشياء من الشرك كانوا يعتقدونها في الجاهلية، من جملتها: الاستعاذة بغير الله.

الاستعاذة تعظيم للمستعاذ به

الاستعاذة تعظيم للمستعاذ به، فأنت إذا استعذت بالله تعالى فأنت تعظمه، وتلجأ إليه عند خوفك وحاجتك، وتطلب حمايته من كل ما يضرك ويؤذيك من شرور الإنس والجن، وهكذا المشرك حينما يستعيز بغير الله تعالى فإنه يعظمه بطلب حمايته، واللجوء إليه، ولهذا كان المشركون في الجاهلية إذا دخل أحدهم وادياً موحشاً قال: (أعوذ بعظيم هذا الوادي من شر من فيه)، أو (أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه)، فأنكر الله تعالى عليهم فعلهم هذا؛ لما فيه من الشرك بتعظيم غير الله واللجوء إليه.

(١) ومعنى (فزادوهم رهقاً): أي: خوفاً وإرهاباً وذعراً.

الدرس الثالث عشر: النَّذْرُ وَالذَّبْحُ

أولاً: النَّذْرُ

تعريف النَّذْرِ

النَّذْرُ: إيجابُ الإنسانِ على نفسه شيئاً لم يكن واجباً عليه شرعاً، بأيّ لفظٍ دلَّ عليه.

مثاله:

- أ- أن يقول: لله عليّ أن أصومَ شهراً.
- ب- أن يقول: نَذَرْتُ عليّ إذا رُزِقْتُ بمولودٍ أن أعتَمِرَ.

حكم النَّذْرِ

النَّذْرُ لله تعالى مكروه.

والدليل على هذا: حديث عبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قال: «نَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنِ النَّذْرِ»، وقال: «إِنَّهُ لَا يَرُدُّ شَيْئاً، وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ». متفق عليه^(١).

(١) أخرجه البخاري في كتاب القدر، باب إلقاء العبدِ النذر إلى القدر، برقم: (٦٢٣٤)،

ومسلم في كتاب النَّذْرِ، باب النهي عن النَّذْرِ وأَنَّهُ لَا يَرُدُّ شَيْئاً برقم: (١٦٣٩).

وفي رواية: «إِنَّهُ لَا يَأْتِي بِخَيْرٍ»^(١).

النَّذْرُ عِبَادَةٌ

مع كراهية ابتداء النذر كما تقدم إلا أن مَنْ التَزَمَ نذرَ الطاعة وجبَ عليه الوفاءُ به لله تعالى، والوفاء بنذر الطاعة عِبَادَةٌ وقُرْبَةٌ، ولهذا يجب صرفها لله تعالى، وعدم إشراك أحد معه في ذلك. والدليل على أنه عبادة ما يأتي:

١. قول الله تعالى: ﴿يُؤْفُونَ بِالَّذِينَ﴾ [الإنسان: ٧]، فقد مدح الله الذين يتعبدون له بما أوجبه على أنفسهم من الطاعات، وهو سبحانه لا يمدح إلا على فعل واجب أو مستحب، أو ترك محرم، وذلك هو العبادة.

٢. قول الله تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ [البقرة: ٢٧٠]، فقد أخبر الله تعالى أن ما أنفقناه من نفقة أو نذرناه من نذر متقربين به إليه أنه يعلمه، ويجازينا عليه، فدل ذلك على أنه عبادة.

(١) أخرجه مسلم في كتاب النذر، باب النهي عن النذر وأنه لا يرُدُّ شيئاً برقم: (١٦٣٩)، وللبخاري نحوه في كتاب القدر، باب إلقاء العبد النذر إلى القدر، برقم: (٦٢٣٤).

٣. حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِيعْهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَهُ فَلَا يَعْصِيهِ». رواه البخاري^(١).

النَّذْرُ لغير الله تعالى شركٌ أكبر

كل عبادة يجب صرفها لله تعالى، ومن صرفها لغيره فقد أشرك، ومن ذلك النذر، فإنه نوع من أنواع العبادة، فصَرَفُهُ لغير الله تعالى شركٌ أكبرٌ مخرجٌ من ملة الإسلام.

ومثال النَّذْرِ لغير الله:

- أ- النَّذْرُ للقبور والأضرحة، كمن ينذر إن شفاه الله ليزجح على القبر الفلاني، أو نذر تقديم طعام أو شراب للضريح الفلاني.
- ب- النَّذْرُ لصاحب القبر أنه إذا رُزق بولد أن يصوم شهرًا.
- والواجب على من نذر شيئًا لغير الله تعالى، أن يتوب من هذا النذر، ويراجع إسلامه.

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان والنذور، باب النَّذْرِ فِي الطَّاعَةِ (وما أَتَفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ)، برقم: (٦٣١٨).

ثانيًا: الذَّبْحُ والنَّحْرُ

تعريف الذَّبْح والنَّحْر

الذَّبْح هو: تَذْكِيَةُ الحيوان المأكول البرّي، بقطع حُلُقومه ومَرِيئِهِ وأحدٍ ودَجِيهِ.

والنَّحْرُ مثل الذبح لكنه يكون للإبل، وأما الذَّبْح فيكون للبقر والغنم وغيرهما.

الذَّبْح عِبَادَةٌ

الذبح عِبَادَةٌ وقُرْبَةٌ، ولهذا يجب صرفها لله تعالى، وعدم إشراك أحد معه في ذلك.

والدليل على ذلك:

١. قول الله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ۖ﴾ [الكوثر: ٢]،

ومعنى الآية: صلِّ لربك وحدَه لا شريك له، وأنحَرْ ذبيحتك من الأضاحي وغيرها لله وحدَه لا شريك له.

٢. قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ

الْعَالَمِينَ ۖ﴾ [الأنعام: ١٦٢]، والنُّسْك: الذبيحة^(١).

(١) وقيل في تفسير النسك: جميع العبادات، وكلا المعنيين صحيح.

أقسام الذبح

الذبح ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الذبائح المشروعة، وهي التي تذبح تقرباً إلى الله تعالى، وتذبح على اسمه جل وعلا، مثل: الأضحية، والهدي، والعقيقة. **حكمها:** منها الواجب مثل: هدي الحاج المتمتع والقارن، ومنها المسنون مثل: الأضحية والعقيقة.

القسم الثاني: الذبائح المباحة، وهي التي تذبح على اسم الله تعالى ولا يقصد بها التقرب إلى الله، ولا يقصد بها غير الله، وإنما يقصد بها الأكل، مثل: التي تذبح للأهل، أو للضيف. **حكمها:** جائزة.

القسم الثالث: الذبائح الشريكة، وهي التي تذبح لغير الله تعالى، أو تذبح على غير اسمه بأن تذبح على اسم المسيح، أو الولي الفلاني. **حكمها:** شرك أكبر، لأن الذبح عبادة يجب توحيد الله فيها، فمن صرفها لغير الله تعالى فقد عبد غير الله تعالى، وهذه هي حقيقة الشرك الأكبر.

أمثلته:

- أ- الذبح لقبر نبي أو ولي.
- ب- الذبح للأشجار أو الأحجار كما يفعله الذين يعظمون الأوثان.
- ت- الذبح للجن والشياطين، إمّا طلباً للشفاء كما يفعله بعض

المرضى أو يطلبه بعض السحرة، وكما يفعله بعض الجهال عندما يسكن بيتاً جديداً يذبح على عتبته للشياطين حتى لا يؤذونه.

عقوبة من ذبح لغير الله تعالى

من ذبح لغير الله تعالى فقد توعده الله تعالى بالطرد والإبعاد من رحمته إن لم يتب، فعن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: حَدَّثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِكَلِمَاتٍ أَرْبَعٍ، قَالَ: «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَهُ (وفي لفظ: والديه)، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ آوَى مُحَدِّثًا، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الْأَرْضِ»^(١).

فدلَّ الحديث على تحريم الذبح لغير الله تعالى، وعظيم جرم من ذبح لغير الله حتى استحق لعنة الله تعالى، واللعن: هو الطرد والإبعاد عن رحمة الله ومواطنها.

(١) أخرجه مسلم في كتاب الأضاحي، باب تحريم الذبح لغير الله تعالى ولعن فاعله برقم: (١٩٧٨)، ومعنى «آوى مُحَدِّثًا»: نصر جانباً وآواه وأجاره من خصمه، وحال بينه وبين أن يقتص منه، ومعنى «غَيَّرَ مَنَارَ الْأَرْضِ»: غيّر علامات حدودها بأن قدم أو أحر؛ ليغتصب من أرض جاره.

حكم الذبح لله بمكان يُذبح فيه لغير الله

المراد بالذبح لله بمكان يُذبح فيه لغير الله: أن يذبح المسلم ذبيحةً يتقربُ بها إلى الله تعالى، في موضع يذبح فيه المشركون ذبائحهم لألهتهم الباطلة.

حكمه:

يحرم الذبح لله تعالى بمكان يُذبح فيه لغيره، والدليل على هذا: حديث ثابت بن الضحّاك الأنصاريّ رضي الله عنه قال: نذر رجلٌ على عهد رسول الله ﷺ أن ينحر إبلاً ببوانة، فأتى النبيّ ﷺ فقال: إني نذرتُ أن أنحر إبلاً ببوانة، فقال النبيّ ﷺ: «هل كان فيها وثنٌ»^(١) من أوثان الجاهليّة يُعبد؟ قالوا: لا، قال: «هل كان فيها عيدٌ من أعيادهم؟» قالوا: لا، قال رسول الله ﷺ: «أوف بنذرِك، فإنّه لا وفاء لنذرٍ في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابنُ آدم». رواه أبو داود^(٢).

(١) الوثن: كل ما عبد من دون الله تعالى من صورة أو قبر أو غيرهما.

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الأيمان والنذور، باب ما يؤمرُ به من الوفاء بالنذر برقم: (٣٣١٣)، قال ابن الملقن: حديث صحيح أخرجه أبو داود بإسناد صحيح على شرط البخاري ومسلم، وقال الحافظ ابن حجر: إسناده صحيح، وقال ابن عبد الهادي: حديث حسن صحيح. ينظر: (البدر المنير ٥١٨/٩)، والتلخيص الحبير ٤٣٩/٤، والصارم المنكي في الرد على السبكي ص ٣٠٩)، وبوانة: هضبة على ساحل البحر الأحمر بين ينبع وأملج.

الحكمة من تحريم الذبح لله بمكان يُذبح فيه لغير الله

تتلخص الحكمة من تحريم الذبح لله بمكان يُذبح فيه لغير الله فيما يلي:

١. سدُّ الذريعة إلى الشرك بالله تعالى؛ لأن الذبح في هذا المكان

وسيلة للذبح فيه لغير الله تعالى.

٢. ما فيه من التلبيس على الناس حيث يظنون أن هذا الذي

يُذبح لله تعالى في هذا المكان إنما يُذبح لغير الله تعالى، فيكون

ذريعة للشرك من هذا الوجه، حيث يؤدي إلى الاقتداء به في

الذبح مع اختلاف القصد.

الدرس الرابع عشر: الطَّوَّافُ وَالْإِعْتِكَافُ

أولاً: الطَّوَّافُ

معنى الطَّوَّافِ

الطَّوَّافُ هو: الدَّوْران بالكعبة المشرفة، سبع مرات، تعبداً لله تعالى.
والمراد بالطواف الذي صُرف لغير الله تعالى هو: الدَّوْران بالأضرحة
أو القبور ونحوها تعظيماً لها، وتشبيهاً لها ببيت الله تعالى.

الطَّوَّافُ عِبَادَةً

الطَّوَّاف بالكعبة المشرفة من أفضل العبادات وأجلِّ القربات، ومن
الأدلة على ذلك:

١. قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ

وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩].

٢. أن النبي ﷺ قد طاف بالكعبة وأمر بالطواف بها، كما ثبت

ذلك في أحاديث كثير متواترة عنه ﷺ.

لا يُشْرَعُ الطَّوَّافُ بِغَيْرِ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ

لا يُشْرَعُ الطَّوَّافُ ببقعة أو بناء إلاَّ الكعبة المشرفة، وكلُّ طوافٍ

بغيرها فهو بدعة ضلالة، والدليل على ذلك:

١. قولُ الله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا

تُشْرِكَ بِي شَيْئًا وَطَهَّرَ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ

السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ [الحج: ٢٦].

٢. حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ أَنَّ

النبي ﷺ قَالَ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ»^(١).

وفي رواية: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»^(٢).

حكم الطواف بالأضرحة ونحوها

الطواف بالأضرحة ونحوها بدعة غير مشروعة، وهو من حيث

حكمه على وجهين:

الوجه الأول: أن يطوف بقبر أو بمشهد أو ضريح أو غيرها يظنه

عبادة لله تعالى مأموراً بها، أو يطوف طوافاً مجرداً تقليداً للناس.

(١) أخرجه البخاري في كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، برقم: (٢٥٥٠)، ومسلم في كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور برقم: (١٧١٨)، ولفظه: «ما ليس منه».

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور برقم: (١٧١٨)، وذكره البخاري معلقاً مجزوماً به في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب إذا اجتهد العامل أو الحاكم فأخطأ خلاف الرسول من غير علم فحكمه مردود.

حكمه: هذا الطواف بدعة محرمة، ووسيلة من وسائل الشرك.

الوجه الثاني: أن يطوفَ بقصد عبادة صاحب الضريح، أو تعظيمًا له، أو مع التذلل والخضوع والخشوع والبكاء، أو مع ذكره ودعائه والاستغاثة به، أو مع النذر له.

حكمه: هذا الطواف شركٌ أكبر مخرجٌ من الإسلام.

وهذا النوع الثاني هو أكثر حال الطائفين، بل لا يكاد ينفكُّ الطواف بالأضحية عن شيء مما ذكرناه، مما يكون به الطواف شركًا أكبر.

الطَّوَّافُ بغير الكعبة من مظاهر الشرك

أخبر النبي ﷺ أن الشرك سيقع في هذه الأمة، وذكر من مظاهر الشرك الذي سيقع في الأمة: الطواف بالأوثان، وتنصيبه على هذا يدل على أن الطواف بغير الكعبة من أعظم شعارات الشرك والمشركين، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس، حول ذي الخلصة»، وكانت صنمًا تعبدها دوس في الجاهلية بتبالة. متفق عليه^(١).

(١) أخرجه البخاري في كتاب الفتن، باب تغيير الزمان حتى تُعبَد الأوثان ٢٦٠٤/٦، ومسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى تعبَد دوسُ ذا الخلصة برقم: (٢٩٠٦)، وهذا لفظه.

ثانيًا: الاعتكافُ والعُكُوفُ

معنى الاعتكاف والعُكُوفُ

الاعتكافُ والعُكُوفُ لغةً: لزومُ المكان والبقاء فيه.

والاعتكافُ شرعًا: لزوم مسجدٍ لطاعة الله تعالى، بالصلاة والذكر والدعاء وقراءة القرآن والتفكير وغير ذلك.

والمراد بالعُكُوف هنا: العُكُوف على القبور، وهو: البقاء عند القبور تعظيمًا لها ولأصحابها، مع الخشوع والخضوع، أو طلبًا للبركة المزعومة من أصحابها، أو طلبًا لِنَتْنُزْلِ الفَيُوضَاتِ والخيرات المزعومة من الأولياء على من يعكف على قبورهم.

الاعتكافُ عِبَادَةٌ

الاعتكاف في بيوت الله تعالى عبادة، والدليل على ذلك:

١. قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥].

٢. قول الله تعالى: ﴿وَلَا تُبَشِّرُوهُمْ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسْجِدِ﴾ [البقرة: ١٨٧].

الاعتكاف لا يشرع إلا في بيوت الله

الاعتكاف سنة، ولا يُشرع إلا في المساجد، قال الله تعالى:

﴿وَلَا تُبَشِّرُوهُمْ وَأَنْتُمْ عَنْكُمْ فِي الْمَسْجِدِ﴾ [البقرة: ١٨٧].

والمقصود من الاعتكاف: انقطاع الإنسان عن الناس ليتفرغ لطاعة الله في مسجد من مساجده، طلباً لفضله وثوابه.

حكم العكوف على القبور والأضرحة والأشجار وغيرها

العكوف على القبور والأضرحة رجاء بركة الأولياء، وتزول الفيوضات منهم على العاكفين عند قبورهم، شرك أكبر مخرج من ملة الإسلام، لما فيه من جعل هذه القبور والأضرحة آلهة من دون الله تعالى، يُطلب منها ما لا يطلب إلا من الله جلّ وعلا، وحقيقة الأمر: أن هؤلاء العاكفين على الأضرحة قد شبهوا المخلوق بالخالق، وشبهوا الأضرحة ببيوت الله، وعكفوا عندها كما يعكف الموحّدون في بيوت الله للذكر والصلاة وقراءة القرآن.

والأدلة على أن هذا العمل شرك كثيرة، منها:

١. قول الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا

عَنْكُمُونَ ﴿٥٢﴾ [الأنبياء: ٥٢]، فمن عكف على الأضرحة والقبور فقد فعل فعل المشركين الذين يعكفون على التماثيل.

٢. قول الله تعالى عن المشركين: ﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْظِلُ لَهَا

عَنْكِفِينَ ﴿٧١﴾ [الشعراء: ٧١]، فمن عكف على الأضرحة

والقبور فقد فَعَلَ فَعَلَ المشركين مع آلهتهم الباطلة.
 ٣. حديثُ أَبِي وَقْدٍ الْحَارِثِ بْنِ عَوْفٍ اللَّيْثِيِّ رضي الله عنه قال: خَرَجْنَا
 مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى حُنَيْنٍ وَنَحْنُ حُدَنَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ،
 وَلِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا، وَيَنْوْطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ
 يُقَالُ لَهَا: (ذَاتُ أَنْوَاطٍ).
 قَالَ: فَمَرَرْنَا بِالسِّدْرَةِ.
 قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ
 أَنْوَاطٍ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُ أَكْبَرُ، إِنَّهَا السُّنَنُ، قُلْتُمْ وَالَّذِي
 نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ: (اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ
 آلِهَةٌ. قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ)، لَتَرْكَبَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ
 قَبْلَكُمْ». رواه أحمد والترمذي والنسائي والطبراني^(١).

فالمشركون يعكفون على آلهتهم يطلبون منها المدد والبركة، ويتقربون
 لها بأنواع العبادة، فمن فَعَلَ كَفَعَلَهُمْ مع أصحاب القبور فهو مشركٌ
 مثلهم.

(١) أخرجه أحمد ٢٢٥/٣٦ (٢١٨٩٧)، والترمذي في أبواب الفتن، باب ما جاء لَتَرْكَبَنَّ سَنَنَ
 مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ برقم: (٢١٨٠)، والنسائي في السنن الكبرى في كتاب التفسير، سورة
 الأعراف، باب قوله تعالى: (فَاتَّوَا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا
 إِلَهًا) برقم: (١١١٢١) والطبراني في المعجم الكبير ٢٤٤/٣، وهذا لفظه، وصححه ابن حبان
 ٩٤/١٥ (٦٧٠٢)، والألباني في ظلال الجنة ٣٧/١ (٧٦).

الدرس الخامس عشر: شُبُهَاتُ الْقُبُورِيِّينَ

المرادُ بالقُبُورِيِّينَ

القُبُورِيُّونَ هم: عِبَادُ الْأَضْرِحَةِ وَالْقُبُورِ، الَّذِينَ يَتَوَجَّهُونَ لِلأَوْلِيَاءِ مِنْ دُونِ اللَّهِ تَعَالَى، فَيَصْرِفُونَ أَنْوَاعَ الْعِبَادَةِ لَهُمْ، فَيَدْعُوهُمْ، وَيَسْتَغِيثُونَ بِهِمْ، وَيَنْذَرُونَ لَهُمْ، وَيَذَبْحُونَ لَهُمُ الذَّبَائِحَ.

شُبُهَاتُ الْقُبُورِيِّينَ فِي بَعْضِ الْأَعْمَالِ الشَّرَكِيَّةِ أَوْ وَسَائِلِ الشَّرِكِ

المرادُ بِشُبُهَاتِ الْقُبُورِيِّينَ

شُبُهَاتُ الْقُبُورِيِّينَ هِيَ: مَا يَظُنُّونَهُ أَدَلَّةً تَسَوِّغُ لَهُمْ فِعْلَ أَعْمَالِهِمُ الشَّرَكِيَّةِ، أَوِ الْبَدْعِيَّةِ، وَهِيَ لَيْسَتْ أَدَلَّةً فِي الْحَقِيقَةِ، إِنَّمَا هِيَ مِمَّا اشْتَبَهَ عَلَيْهِمْ لِقَلَّةِ عِلْمِهِمْ بِالتَّوْحِيدِ، وَتَسْوِغِهِمُ الشَّرِكَ وَالْبَدْعَ.

شُبُهَاتُ الْقُبُورِيِّينَ

الشُّبُهَةُ الْأُولَى:

قولهم: تَوَسَّلْنَا بِالْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ لَيْسَ شَرْكَاً، لَأَنَّا نَشْهَدُ أَنَّهُ لَا يَخْلُقُ وَلَا يَرْزُقُ وَلَا يَنْفَعُ وَلَا يَضُرُّ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَكِنْ نَحْنُ مَذْنُوبُونَ مَقْصُرُونَ لَا جَاهَ لَنَا عِنْدَ اللَّهِ، وَالصَّالِحُونَ لَهُمْ جَاهٌ عِنْدَ اللَّهِ، وَنَحْنُ نَطْلُبُ مِنَ اللَّهِ بِجَاهِهِمْ.

وَالْجَوَابُ عَلَى هَذِهِ الشُّبُهَةِ مِنْ وَجْهِ:

الْوَجْهُ الْأَوَّلُ: أَنَّ قَوْلَهُمْ: لَا نَشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً؛ لَا يَغَيِّرُ مِنَ الْوَاقِعِ شَيْئاً، فَالْعِبْرَةُ بِالْحَقَائِقِ لَا بِمَجْرَدِ الْأَقْوَالِ وَالتَّسْمِيَّاتِ، فَمَا حَقِيقَةُ الْفِعْلِ الَّذِي تَفْعَلُونَهُ؟ هَذَا مَا سَوْفَ نَبَيِّنُهُ لَكُمْ بِالْأَدْلَةِ الْوَاضِحَةِ، وَالْحُجْجِ الْبَاهِرَةِ.

الْوَجْهُ الثَّانِي: أَنَّ مَجْرَدَ الْإِقْرَارِ بِأَنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ هُوَ الْخَالِقُ الرَّازِقُ النَّافِعُ الضَّارُّ الْحَيِّي الْمَمِيتُ لَيْسَتْ هِيَ حَقِيقَةُ التَّوْحِيدِ الَّذِي جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ، وَجَمِيعُ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَذَلِكَ أَنَّ كُفَّارَ قَرِيشَ كَانُوا يَقْرَءُونَ بِذَلِكَ كَلَّهُ، وَمَعَ هَذَا فَهَمَّ سَادَةُ الْمُشْرِكِينَ، وَدَعَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ لِنَبْذِ الشِّرْكِ، وَقَاتَلَهُمْ عَلَى هَذَا، فَلَوْ كَانُوا مُوَحِّدِينَ بِهَذَا الْإِعْتِقَادِ لَمَا كَانَ لِإِرْسَالِ الرَّسُولِ لَهُمْ فَائِدَةٌ، وَكَانَ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ مَبْطُلًا فِي دَعْوَتِهِ وَفِي قِتَالِهِمْ.

وَحَقِيقَةُ الْأَمْرِ: أَنَّ الْمُشْرِكِينَ الْأَوَائِلَ أَفْرُؤُوا بِتَوْحِيدِ الرَّبُّوبِيَّةِ، وَهُوَ تَوْحِيدُ الْإِثْبَاتِ، وَجَحَدُوا بِتَوْحِيدِ الْأُلُوْهِيَّةِ، وَهُوَ تَوْحِيدُ الْعِبَادَةِ.

والآيات على إقرار المشركين بتوحيد الربوبية كثيرة، منها: قول الله تعالى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ فَاَنَّى يُفَكُّونَ﴾ [العنكبوت: ٦١].

الوجه الثالث: أن هذا الذي تقولونه من اتخاذ الصالحين وسائط لكم عند الله تعالى بسبب قربهم من الله تعالى، هو عين ما كان يقوله المشركون في آلهتهم، كما أخبر الله عنهم في آيات عديدة، وحكم عليهم بالشرك، ودعاهم النبي ﷺ للتوحيد ونبذ الشرك، وقاتلهم على هذا، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣].

الوجه الرابع: أن حقيقة التوحيد الذي جاء به النبي ﷺ هي: الدعوة إلى إفراد الله تعالى بالعبادة وحده لا شريك له، وهو (توحيد الألوهية)، ويسمى: (توحيد العبادة).

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

الشُّبْهَةُ الثَّانِيَّةُ:

قولهم: هذه الآيات نزلت فيمن يعبد الأصنام؛ فكيف تجعلون الصالحين مثل الأصنام؟

والجواب على هذه الشُّبْهَةِ مِنْ وَجْهِ:

الوجه الأول: أنا لا نسلّم لكم أن هذه الآيات كلها في عبادة الأصنام، بل منها ما هو في عبادة الأصنام، ومنها ما هو في عبادة الأنبياء والصالحين:

١. قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِي فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ (٥٦) أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ [الإسراء: ٥٦ - ٥٧].

وهاتان الآيتان الكريمتان في دعاء الأنبياء والصالحين على وجه العموم، ومعناها: أن هؤلاء الذين يدعوهم المشركون من دون الله مثل: الملائكة، أو الأنبياء أو الصالحين أو غيرهم؛ هم يتقربون إليه سبحانه وتعالى بالأعمال الصالحة، يَرْجُونَ بذلك رَحْمَتَهُ، وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ، فكان الواجب عليكم: أن تفعلوا كما فعلوا، فتتقربون إلى الله تعالى وتدعونه وحده لا شريك له.

٢. قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾ (١١٦) [المائدة: ١١٦]. وهذه الآية

الكريمة ردُّ على النصارى الذين عبدوا عيسى عليه السلام وأمه مريم رضي الله عنها.

الوجه الثاني: أيُّ فرق بين عبادة الأشجار وعبادة الشمس أو القمر أو الصالحين أو الأنبياء، فكلُّها عبادةٌ لغير الله تعالى، وكلُّ مَنْ عَبَدَ غيرَ الله تعالى فقد أشركَ كائناً ما كانَ هذا المعبودُ.

الوجه الثالث: أن هذه الأصنام عامَّتُها مجرد أمثلةٍ لرجالٍ صالحين صُوِّرت على صُورِهِمْ، وَسُمِّيتْ بِأَسْمَائِهِمْ، كما قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا نَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا نَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣].

وهذه أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ، أَنْ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا، وَسَمُّوْهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا، فَلَمْ تُعْبَدْ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ، وَقَلَّ الْعِلْمُ عُبِدَتْ. ^(١)

الشُّبْهَةُ الثَّالِثَةُ:

استدلّاهم بحديث الأعمى، وهو ما رواه عُثْمَانُ بْنُ حُنَيْفٍ الْأَنْصَارِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا ضَرِيرًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَنِي.

(١) ينظر: صحيح البخاري في كتاب تفسير القرآن، سورة نوح، باب (ودًّا ولا سواعًا، ولا يَغُوثَ وَيَعُوقَ) ١٨٧٣/٤ (٤٦٣٦)، وإغاثة اللفهان من مصايد الشيطان ١٨٤/١.

فَقَالَ: «إِنْ شِئْتَ أَخَّرْتُ ذَلِكَ، فَهُوَ أَفْضَلُ لآخِرَتِكَ، وَإِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ لَكَ».

قَالَ: لَا بَلْ ادْعُ اللَّهَ لِي.

«فَأَمَرَهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ، وَأَنْ يُصَلِّيَ رَكَعَتَيْنِ، وَأَنْ يَدْعُوَ بِهَذَا الدُّعَاءِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ، يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أَتَوَجَّهُ بِكَ إِلَى رَبِّي فِي حَاجَتِي هَذِهِ فَتَقْضِ، وَتُشَفِّعْنِي فِيهِ، وَتُشَفِّعْهُ فِيَّ».

قَالَ: فَفَعَلَ الرَّجُلُ، فَبَرَأَ. رواه أحمد والترمذي والنسائي في السنن الكبرى وابن ماجه وصححه ابن خزيمة والحاكم والبيهقي والطبراني^(١).

والجوابُ عَلَى هَذِهِ الشُّبْهَةِ مِنْ وَجْهِ:

الوجه الأول: أن الأعمى إنما جاء إلى النبي ﷺ ليدعوا له، فهو توسلٌ إلى الله تعالى بدعائه ﷺ، لا بذاته، وذلك لأنه يعلم أن دعاءه ﷺ أرجى للقبول عند الله بخلاف دعاء غيره، فيكون هذا من جنس توسل الصحابة ﷺ بالنبي ﷺ حال حياته لیسقوا، كما قال عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي

(١) رواه أحمد ٤٨٠/٢٨ (١٧٢٤١)، و (١٧٢٤٠)، (١٧٢٤٢)، والترمذي في أبواب الدعوات عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، بَاب رَقْم: (١١٩)، برقم: (٣٥٧٨)، والنسائي في السنن الكبرى كِتَاب عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، بَاب ذِكْرِ حَدِيثِ عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ برقم: (١٠٤١٩)، وابن ماجه في كِتَاب إِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَالسُّنَّةِ فِيهَا، بَابُ مَا جَاءَ فِي صَلَاةِ الْحَاجَةِ، برقم: (١٣٨٥)، والحاكم في المستدرک على الصحيحين ٤٥٨/١، ٧٠٠، ٧٠٧، وصححه ابن خزيمة ٢٢٥/٢ (١٢١٩).

قال الترمذي: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ، وفي ابن ماجه عقبه: قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ، وقال البيهقي في دلائل النبوة ١٦٦/٦: إسناده صحيح. وقال الطبراني في المعجم الصغير ٣٠٦/١: الْحَدِيثُ صَحِيحٌ، وقال الألباني في التوسل أنواعه وأحكامه ص ٦٨: سنده صحيح.

استسقاءه: «اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا»، قَالَ: فَيُسْقَوْنَ. رواه البخاري. (١)

الوجه الثاني: أن هذا الحديث لا علاقة له بالمسألة محل النقاش، وهي: دعاء الموتى، أو التوسل بجاههم عند الله تعالى، ومن شرط الدليل أن يكون في محل الاستدلال، لا أجنبيًا عنه.

وبيان هذا: أن الحديث يتضمن أمرين لا علاقة لهما بالمسألة:

الأمر الأول: دعاء الله تعالى، والالتجاء إليه أن يشفيه من العمى، وذلك في قوله: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ».

الأمر الثاني: دعاء الله تعالى، والالتجاء إليه أن يقبل شفاعته رسول الله ﷺ فيه، وهي: دعاء النبي ﷺ له بالشفاء من العمى، وذلك في قوله: «اللَّهُمَّ شَفِّعْهُ فِيَّ».

فأين هذا من دعاء الموتى الذي هو شرك أكبر، أو التوسل بجاه الموتى الذي هو بدعة وذريعة إلى الشرك.

الوجه الثالث: لو كان قصد الأعمى التوسل بذات النبي ﷺ أو جاهه أو حقه لما كان ثمة حاجة به إلى أن يأتي النبي ﷺ، ويطلب منه الدعاء له، بل كان يقعد في بيته، ويدعو ربه بجاه النبي ﷺ.

الوجه الرابع: أن النبي ﷺ علم أن حاجة الرجل أن يدعو له، ولهذا خيره بين أمرين: إما أن يصبر، وأخبره أن هذا خير له عند الله في الآخرة،

(١) رواه البخاري في أبواب الاستسقاء، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا، برقم: (٩٦٤).

وإما أن يدعو الله له، واختار الرجل الدعاء، ولهذا قال له: (بَلْ اذْعُ اللَّهُ لِي)، وهذا يقتضي أن النبي ﷺ دعا له، ولكنه أرشده مع الدعاء له أن يدعو هو لنفسه ليكون أرجى لقبول دعاء النبي ﷺ، كما أرشد ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه لما طلب منه مرافقته في الجنة بقوله: «فَاعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ». رواه مسلم^(١).

الوجه الخامس: أن في الدعاء الذي علمه رسول الله ﷺ إياه أن يقول: «اللَّهُمَّ شَفِّعْهُ فِيَّ» وهذا يستحيل حمله على التوسل بذاته ﷺ، أو جاهه، أو حقه، إذ أن المعنى: اللهم اقبل شفاعته ﷺ فيَّ، أي: اقبل دعاءه في أن ترد عليَّ بصري، فدل هذا على أن توسل الأعمى إنما كان بدعائه ﷺ لا بذاته.

الشبهة الرابعة:

استدل القُبورُ على بدعهم وشركياتهم بأحاديث باطلة لا يصحُّ شيءٌ منها، فمن ذلك:

أولاً: حديث: «إِذَا أَعْيَتَكُمْ الْأُمُورُ؛ فَعَلَيْكُمْ بِأَصْحَابِ الْقُبُورِ»، وهو حديث موضوعٌ مكذوب، لا يعرف من رواه أصلاً.^(٢)

(١) رواه مسلم في كتاب الصلاة، باب فضل السُّجُودِ وَالْحَثُّ عَلَيْهِ، برقم: (٤٨٩).

(٢) ينظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢٩٣/١١، ومنهاج السنة النبوية ٤٨٣/١، وإغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ٢١٥/١.

ثانيًا: حديث: «لَوْ أَحْسَنَ أَحَدُكُمْ ظَنَّهُ بِحَجَرٍ لَنَفَعَهُ اللَّهُ بِهِ»، وهو حديث موضوعٌ مكذوب، لا يُعرفُ مَنْ رواه أصلاً^(١).

ثالثًا: حديث: «إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ بِجَاهِي، فَإِنَّ جَاهِي عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ»، وهو حديثٌ موضوعٌ مكذوبٌ، لا يُعرفُ مَنْ رواه أصلاً^(٢).

(١) ينظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٥١٣/١١، و ١٤٦/١٩، والمنار المنيف في الصحيح والضعيف ص ١٣٩.

(٢) ينظر: قاعدة جلية في التوسل والوسيلة ص ٢٧٥، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٣٣٥/٢٤.



الفهارس



فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٤	المقدمة
٦	الدرس الأول: أسباب الوقوع في الشرك، السبب الأول: الغلو
١٤	الدرس الثاني: السبب الثاني: تعظيم القبور واتخاذها مساجد
٢٢	الدرس الثالث: السبب الثالث: التبرك بالأشجار والأحجار ونحوهما
٢٩	الدرس الرابع: السبب الرابع: التصوير
٣٥	الدرس الخامس: العبادة
٤١	العبادات الباطنة التي وقع فيها الشرك
٤٢	الدرس السادس: المحبة
٤٨	الدرس السابع: الخوف
٥٤	الدرس الثامن: الرجاء
٥٨	الدرس التاسع: التوكل
٦٤	العبادات الظاهرة التي وقع فيها الشرك

الموضوع	الصفحة
الدرسُ العاشر: الدعاء	٦٥
الدرسُ الحادي عشر: الاستِغَاثَةُ	٧١
الدرسُ الثاني عشر: الاستِغَاثَةُ والاستِغَاذَةُ	٧٥
الدرسُ الثالث عشر: النَّذْرُ والدَّبْحُ	٨١
الدرسُ الرابع عشر: الطَّوَّافُ والاعتكافُ	٨٩
الدرسُ الخامس عشر: شُبُهَاتُ الْقُبُورِيِّينَ	٩٥
الفهارس	١٠٤

الموضوع	الصفحة
الدرسُ العاشر: الدعاء	٦٥
الدرسُ الحادي عشر: الاستِغَاثَةُ	٧١
الدرسُ الثاني عشر: الاستِغَاثَةُ والاستِغَاذَةُ	٧٥
الدرسُ الثالث عشر: النَّذْرُ والدَّبْحُ	٨١
الدرسُ الرابع عشر: الطَّوَّافُ والاعتكافُ	٨٩
الدرسُ الخامس عشر: شُبُهَاتُ الْقُبُورِيِّينَ	٩٥
الفهارس	١٠٤

الحَقِيلَة الْإِسْلَامِيَّة

٣

المستوى الثالث

كتبه

عبد الرحمن بن فهد الودعان الدوسري

امام وخطيب جامع المديحيم بالحراء - الرياض



مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله وحده، وصلى الله على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

فهذا كتاب (العقيدة الإسلامية) على منهج أهل السنة والجماعة، ذكرت فيه مجمل اعتقاد أهل السنة والجماعة في عامة مسائل العقيدة المتعلقة بأركان الإيمان الستة، مبتدئاً بذكر مراتب الدين الثلاث، ثم تفصيل ما يتعلق بأركان الإيمان الستة.

وقد قسّمت الكتاب إلى أربع مستويات، كل مستوى يشمل خمسة عشر درساً، بحسب ما رآه الإخوة في مكتب الدعوة بالروضة، ليكون أيسر للدارسين، وأنفع لهم بإذن الله تعالى.

المستوى الأول: ويتضمن الكلام على مراتب الدين الثلاث إجمالاً، ثم الكلام على الركن الأول منها (الإيمان بالله تعالى) تفصيلاً، وأهمية التوحيد وفضائله، وما يضاده من الشرك.

المستوى الثاني: ويتضمن الكلام على بقية ما يتعلق بالركن الأول، ببيان أسباب الشرك، وأهم العبادات التي وقع فيها الشرك بالله تعالى، وشبهات القبوريين.

المستوى الثالث: ويتضمن الكلام على بقية ما يتعلق بالركن الأول، ببيان تعظيم الله سبحانه وتعالى، وبعض ما يضاد ذلك من أقوال وأفعال.

المستوى الرابع: ويتضمن الكلام على بقية أركان الإيمان الستة تفصيلاً، ونواقض الإسلام.

وختاماً أسأل الله تعالى أن يجعله كتاباً نافعا مباركاً، وأن يرزقني الإخلاص فيه، ويثيبني عليه، وأن يعاملني بلطفه ورحمته وكرمه، ويجزل لي عطاءه، ويعفو عما قد يكون فيه من الزلل والتقصير، وأن يغفر لنا ولوالدينا ووالديهم، وإخواننا وأخواتنا وأزواجنا وذرياتنا، ولجميع شيوخنا وأساتذتنا وتلاميذنا وعلمائنا وأحبتنا، وأن يجعل الفردوس مأوانا جميعاً، كما أسأله جلّ وعلا أن يغفر للمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات... آمين، إنه أرحم الراحمين.

وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين !!!

كتبه الفقير إلى الله تعالى

عبد الرحمن بن فهد الودعان الدوسري

awadaan@gmail.com

الدرس الأول: تعظيمُ الله سبحانه وتعالى

المراد بتعظيمِ الله

المراد بتعظيمِ الله: إجلالُ الله جلَّ وعلا بالقلبِ، واللسانِ، والأعمالِ: فعلاً وتركاً.

وأصلُ التعظيم يكون بالقلب، وما يجري على اللسان والجوارح فهي من آثاره.

ومثال ذلك:

- تعظيمُ الله بالقلب: بأن يكون الله أجلاً شيءٍ في قلبك، فتخضع له وتذلُّ، وتدرك قوّته وقدرته على كل شيء، فتتعلق به في حاجاتك، وتستشعر الافتقار إليه وإلى عطائه ورحمته وحايته وتوفيقه، وتخشاه في السرِّ والعلن، وتدرك كمال حكمته في شرعه، وتعظم شرعه وأمره ونهيّه، وتدرك كمال عدله.

- تعظيمُ الله باللسان: بذكره، وذكر عظمته في خلقه، وفي شرعه، واللهج بقراءة كلامه، كما يكون بدعائه والاستغاثة به والاستعاذة به.

- تعظيمُ الله بالأعمال:

فِعْلاً: بطاعته والامتثال لأوامره، وتتبع محبوباته.
وَتَرْكاً: باجتناب ما نهى عنه، وترك جميع ما يُسَخِّطُهُ.

حُكْمُ تَعْظِيمِ اللَّهِ

تعظيمُ الله تعالى واجبٌ، وقد أنكر الله تعالى على الذين لم يعظّموه
وَيَقْدُرُوهُ حَقَّ قَدْرِهِ، فقال الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ
جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۗ سُبْحَنَهُ
وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

تَعْظِيمُ دِينِ اللَّهِ وَشَعَائِرِهِ

تعظيمُ دينِ الله وشرعيّته من تعظيمِ الله تعالى، وكلّما عظّم المسلم
شعائرَ دينِ الله تعالى كان ذلك دليلاً على تقواه، وتعظيمه لربه جل وعلا،
بخلاف الذي ينتهك شعائرَ الله، ولا يبالي بها، فهذا دليلٌ على ضعف
تقواه، وضعف تعظيمه لربه جل وعلا، قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ
شَعَائِرُ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

تَعْظِيمُ حُرُمَاتِ اللَّهِ

أ- يجبُ على المسلم تعظيمُ حُرُمَاتِ الله تعالى، وذلك باجتنابها والبعدِ
عنها، وتعظيمُها من تعظيمِ الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ

حُرِّمَتْ أَلَلَهُ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ، عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْآنَعَمُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾ [الحج: ٣٠].

وفي حديث النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا إِنَّ حِمَى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ». متفق عليه^(١).

ب- اقتحام المحرمات مع عدم المبالاة بما يدل على قلة تعظيم الله تعالى، وعدم توقيره، قال الله تعالى فيما قصه عن نوح عليه السلام مع قومه: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ ﴿١٣﴾ [نوح: ١٣].

قال ابن عباس رضي الله عنه: ما لكم لا تُعْظَمُونَ اللهَ حَقَّ عَظَمَتِهِ^(٢). قال عبدُ الله بنُ مسعود رضي الله عنه: إن المؤمنَ يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبلٍ يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجرَ يرى ذنوبه كذبابٍ مرَّ على أنفه فقال به هكذا، (ووصف الراوي ذلك فقال): بيده فوق أنفه^(٣). وقال بلال بن سَعْدٍ رحمه الله: «لَا تَنْظُرُ إِلَى صِغَرِ الْخَطِيئَةِ، وَلَكِنْ انْظُرْ مَنْ عَصَيْتَ»^(٤).

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب فضل من استبّرأ لدينه، برقم: (٥٢)، ومسلم في

كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، برقم: (١٥٩٩).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ٦٣٤/٢٣.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب التوبة، برقم: (٥٩٤٩).

(٤) أخرجه النسائي في السنن الكبرى ١٠ / ٤٠٥ (١١٨٥٤)، والخطيب في تاريخ بغداد

٢٨٠/٣.

الأسباب المعينة على تعظيم الله

- ١- التعرف على معاني أسماء الله وصفاته.
- ٢- التَّفَكُّرُ في ملكوت الله وعظيم مخلوقاته، كالسماوات والأرض، والشمس والقمر، والنجوم والكواكب، وفي الحيوان والجماد، وفي نفس الإنسان ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١].
- ٣- تدبُّر كتابه الكريم.
- ٤- التَّفَكُّرُ في نعم الله الكثيرة، والثناء على الله بها.
- ٥- تعلُّم العلم الشرعي؛ فهو نور يقذفه الله في القلب، وأما الجهل فهو ظلمات تغطي القلب وتُعميه.

من دلائل عظمة الله تعالى

- ١- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الْأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إصْبَعٍ، وَالْأَرْضِينَ عَلَى إصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالشَّرَى عَلَى إصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلَائِقِ عَلَى إصْبَعٍ [ثُمَّ يَهْزُهُنَّ]، فَيَقُولُ أَنَا الْمَلِكُ [أَنَا الْمَلِكُ]، «فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الْحَبْرِ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ

الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتِ مَطْوِيَّتٌ بِيَمِينِهِ ۖ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾. متفق عليه^(١).

٢- عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَطْوِي اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟ ثُمَّ يَطْوِي الْأَرْضِينَ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟». رواه مسلم^(٢).

(١) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن، تفسير سورة الزمر، بَابُ قَوْلِهِ: (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ)، برقم: (٤٥٣٣)، ومسلم في أول كتاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ برقم: (٢٧٨٦)، والزياداتان بين معقوفين من رواية مسلم، وهما للبخاري أيضا في كتاب التوحيد، بَابُ كَلَامِ الرَّبِّ عِزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ الْأَنْبِيَاءِ وَغَيْرِهِمْ، برقم: (٧٠٧٥).

(٢) أخرجه مسلم في أول كتاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ برقم: (٢٧٨٨)، وأصله في البخاري مختصرا في كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: (لَمَّا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ) برقم: (٧٤١٢).

الدرس الثاني: إجابة من سأل بالله، أو استعاذ به

أولاً: إجابة من سأل بالله

المراد بإجابة من سأل بالله

المراد بالسؤال بالله هو: أن يطلب شخص من أحد شيئاً، متوسلاً بالله تعالى.

وإجابته هي: إعطاؤه ما سأل.

مثال ذلك:

١. أسألك بالله أن تساعدني في كذا.
٢. أنشدك بالله أن تخبرني عن كذا.
٣. بالله عليك أعطني كذا.

حكم السؤال بالله

السؤال بالله جائز، والدليل على هذا:

١. قول الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾

[النساء: ١].

ومعنى ﴿تَسَاءَلُونَ بِهِ﴾: يسأل بعضكم بعضاً بالله.

٢. حديثُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ:
«مَنْ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ فَأَعِيدُوهُ، وَمَنْ سَأَلَ بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ، وَمَنْ
دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ، وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِتُوهُ، فَإِنْ لَمْ
تَجِدُوا مَا تُكَافِتُونَهُ، فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَتُمُوهُ».
رواه أحمد وأبو داود^(١).

ولكن الأولى: أن لا يُسألَ بالله إلا الأمور المهمة، أو عند الحاجة،
تعظيماً لله تعالى، وإجلالاً له، ولئلا يُبتذل السؤالُ به، أو يردده المسؤول به.
ويكون السؤالُ بالله مكروهاً: إذا كان فيه ضررٌ أو مشقةٌ على
المسؤول بالله تعالى، لأنه يترتب عليه واحد من أمرين:

الأول: عدمُ الإجابة، وفي هذا إساءة أدب مع الله تعالى، والذي
تسبب في ذلك هو السائل.

الثاني: الإجابة مع حصول الضرر أو المشقة، وفي هذا إضرار بأخيك
المسلم، ومن حقه عليك: أن تحب له ما تحب لنفسك، وتكره له ما تكره
لنفسك.

(١) أخرجه أحمد ٢٦٦/٩ (٥٣٦٥)، وأبو داود في كتاب الزكاة، بابُ عَطِيَّةٍ مَنْ سَأَلَ بِاللَّهِ
برقم: (١٦٧٢)، وهذا لفظه، والنسائي في كتاب الزكاة، باب من سأل بالله عز وجل برقم:
(٢٥٦٧)، والبحاري في الأدب المفرد ص ٨٥ (٢١٦)، وصححه ابن حبان ١٦٨/٨ (٣٣٧٥)،
والحاكم في المستدرک على الصحيحين ٥٧٢/١، والنووي في رياض الصالحين ص ٤٨٠،
والألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢٥٤)، وإرواء الغليل (١٦١٧).

إجابة من سأل بالله

تُستحب إجابة من سأل بالله تعالى.

وإذا كان الشيء المسؤول بالله تعالى واجباً، فيتأكد وجوبه إذا سئل بالله تعالى، وإذا كان مستحباً فيتأكد استحبابه.
والدليل على هذا: حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما السابق.

الحكمة من تأكيد إجابة من سأل بالله

تتلخص الحكمة من تأكيد إجابة من سأل بالله فيما يلي:

١. تعظيم الله تعالى، فليس السؤال بالله كالسؤال بغيره كالسؤال بالرحم، ولا كالسؤال بغير شيء كالسؤال المجرد، فهو جلّ وعلا أعظم من كل عظيم، وإذا كان من سأل بعظيم في الدنيا كقرابة ونحوه يجاب، فإجابة من سأل بالله أولى بالإجابة، ولهذا أمر الله تعالى عباده أن يجيبوا من سأل به، فكانت إجابته من كمال التوحيد.
٢. ما في ردّ السائل بالله تعالى من إساءة الأدب مع الله سبحانه وتعالى، وهذا نقص في التوحيد.
٣. ما فيه من إجابة حاجة أخيه المسلم؛ لأنه لا يسأل بالله تعالى إلا في أمر عظيم.

شروط إجابة من سأل بالله

يشترط لإجابة من سأل بالله ثلاثة شروط:

١. أن لا يتضمن إثمًا، كما لو قال: أسألك بالله أن تشتري لي خمرًا.
٢. أن لا يكون فيه ضررٌ على المسؤول، كما لو قال: أسألك بالله أن تهني متزلك.
٣. أن لا يتضمن إسقاط حقٍّ واجبٍ عليه، كما لو كان عليه دين لشخص، فقال: أسألك بالله أن تُسقط عني دينك.

ثانيًا: إعادة من استعاذ بالله

معنى إعادة من استعاذ بالله

الاستعاذة بالله هي: اللجوء إلى الله تعالى، وطلب حمايته.

والمراد هنا: من استعاذ بالله تعالى منكم.

وإعادته هي: إجابته فيما استعاذ بالله منه.

مثال ذلك:

١. أعوذُ بالله منك أن تأخذ حقي.

٢. أعوذُ بالله منك أن تؤذي.

٣. أعوذ بالله من شرك.

٤. أعوذ بالله من أذى أولادك.

حكم إعادة من استعاذ بالله

تجب إعادة من استعاذ بالله تعالى، ويحرم إيذاؤه، وإذا كان مستعيذاً بالله من فعل محرم؛ كان هذا المستعاذ منه أشدّ تحريماً.

والدليل على هذا: حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ فَأَعِيدُوهُ، وَمَنْ سَأَلَ بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ، وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ، فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ». رواه أحمد وأبو داود^(١).

ويستثنى من ذلك:

إذا استعاذ بالله تعالى فراراً من حق واجب عليه، أو هرباً من باطل فعله، فلا تجوز إعادته؛ لما يترتب على ذلك من: إبطال الحقوق وتضييعها على أهلها، ولأنه مبطل فلا يُعان على باطله، بل يؤخذ بجريمته.

الحكمة من إيجاب أعادته

١. ما في ذلك من تعظيم الله تعالى، فهو جل وعلا أعظم من كل عظيم، ومن استعاذ بعظيم في الدنيا أعاده، فأمر الله تعالى عباده أن يعيدوا من استعاذ به، وفي إعادته كمال للتوحيد.

(١) تقدم تخريجه قريباً.

٢. ما في ترك إعادته من التعدي على من استجار بالله سبحانه وتعالى، وهذا من نقص التوحيد.

٣. ما في إعادته من إجابة حاجة أخيه المسلم، وإغاثة لهفته؛ لأنه لا يستعيز بالله تعالى إلا في أمر عظيم.

إعادة النبي ﷺ من استعاذ بالله

تزوج النبي ﷺ امرأة يقال لها: عمرة بنت الجون، فلما أُدخِلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَدَنَا مِنْهَا، قَالَتْ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ، فَقَالَ لَهَا: «لَقَدْ عُدْتُ بِعَظِيمٍ، الْحَقِّي بِأَهْلِكَ»^(١).

وفي رواية أنه قال لها: «قَدْ عُدْتُ بِمَعَاذٍ»^(٢).

وفي رواية: أنه قال لها ذلك «ثَلَاثَ مَرَّاتٍ»^(٣).

وفي رواية: أنه قال لها: «أَمِنْ عَائِدُ اللَّهِ»^(٤).

(١) ينظر: صحيح البخاري في كتاب الطلاق، باب من طَلَّقَ، وهل يُؤَاجُهُ الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ بِالطَّلَاقِ؟ برقم: (٥٢٥٤)، وابن ماجه في كتاب الطلاق، باب مُتَعَةِ الطَّلَاقِ برقم: (٢٠٣٧).
(٢) أخرجه البخاري في كتاب الطلاق، باب مَنْ طَلَّقَ، وَهَلْ يُؤَاجُهُ الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ بِالطَّلَاقِ برقم: (٥٢٥٥)، قال الحافظ: قَوْلُهُ: فَقَالَ قَدْ عُدْتُ بِمَعَاذٍ، هُوَ بَفَتْحِ الْمِيمِ: مَا يُسْتَعَاذُ بِهِ. اهـ - فتح الباري ٣٥٩/٩

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين ٣٩/٤.

(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد ١٤٥/٨.

الدرس الثالث:

الاستشفاعُ بالله تعالى على خلقه، وقولُ: السَّلامُ على الله

أولاً: الاستشفاعُ بالله تعالى على خلقه

المراد بالاستشفاعُ بالله على خلقه

الاستشفاعُ بالله على خلقه هو: اتخاذ الله تعالى واسطةً، يشفعُ للشخص عند أحدٍ من الخلق، عند طلب شيء منه.

حكم الاستشفاعِ بالله على خلقه

يحرّم الاستشفاعُ بالله على خلقه، وهو منقصٌ للتوحيد؛ لما فيه من سوء الأدب مع الله تعالى، ومنافاة تعظيمه.

والدليل على ذلك: حديث جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رضي الله عنه قَالَ: أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صلّى الله عليه وآله أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، جُهِدَتِ الْأَنْفُسُ، وَضَاعَتِ الْعِيَالُ، وَنُهِكَتِ الْأَمْوَالُ، وَهَلَكَتِ الْأَنْعَامُ، فَاسْتَسْقَى اللَّهَ لَنَا، فَإِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِكَ عَلَى اللَّهِ وَنَسْتَشْفِعُ بِاللَّهِ عَلَيْكَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلّى الله عليه وآله: «وَيْحَكَ أَتَدْرِي مَا

تَقُولُ؟» وَسَبَّحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَمَا زَالَ يُسَبِّحُ حَتَّى عُرِفَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَيَحَكَ إِنَّهُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللَّهِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، شَأْنُ اللَّهِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، وَيَحَكَ أَتَدْرِي مَا اللَّهُ؟! إِنَّ عَرْشَهُ عَلَى سَمَاوَاتِهِ لَهَكَذَا» وَقَالَ بِأَصَابِعِهِ مِثْلَ الْقُبَّةِ عَلَيْهِ، «وَأِنَّهُ لَيُطِطُّ بِهِ أَطِيطَ الرَّحْلُ بِالرَّأَكِبِ». رواه أبو داود^(١).

الحكمة من النهي عن الاستشفاع بالله على خلقه

نُهي عن الاستشفاع بالله على خلقه لأسباب منها:

١. ما فيه من إساءة الأدب مع الله تعالى، فإن الله تعالى عظيم جليل، لا يجوز أن يتخذ واسطة عند الخلق، إذ حقيقة اتخاذه واسطة: أن الله تعالى يطلب من الخلق ويرجوهم أن ينفذوا بعض الأمور كما يطلب ذلك الوسطاء عند الشفاعة لأحد، والله أجل من هذا وأكبر.
٢. أن رتبة المتوسّل به غالباً ما تكون دون رتبة المتوسّل إليه، والله تعالى أعظم شأنًا وأكبر وأجل من كلّ أحد.

(١) أخرجه أبو داود في كتاب السنة، باب في الجَهْمِيَّة، برقم: (٤٧٢٦)، وابن خزيمة في كتاب التوحيد ٢٣٩/١، والطبراني في المعجم الكبير ١٢٨/٢، قال ابن منده في كتاب التوحيد: إسناده صحيح متصل. (نقله الألباني في السلسلة الضعيفة ١٤٦/٦)، وقواه شيخ الإسلام ابن تيمية وقال: هذا من الأحاديث المتلقاة بالقبول. اهـ باختصار (بيان تلبس الجهمية ٥٧٠/١-٥٧٢)، وحسنه ابن القيم. (حاشية ابن القيم على سنن أبي داود ١١/١٣).

٣. ما فيه من ترك تعظيم الله جل وعلا، وتنقص لمقام الربوبية، بمساواة الله تعالى بالمخلوقين الذين تُطلب منهم الشفاعة عند الناس، فالله تعالى لا يطلب منه أن يكون شفيعا إلى أحد، وذلك لكمال عظمته وكبريائه.

٤. أن الله تعالى لا يحتاج إلى أن يشفع لأحد عند أحد، إذ إنما يشفع العاجز، فيطلب من غيره أن يعين أو يفعل، والله تعالى هو القادر على كل شيء لا يُعجزه شيء، إذا شاء أمرا أنفذه بلا شفاعة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

تنزيه الله تعالى عن كل نقص

لما قال الأعرابي ما قال سبَّحَ رسولُ الله ﷺ، وما زال يكرر التسبيح حتى عُرفَ ذلك في وجوه أصحابه ﷺ^(١).

ومعنى التسبيح: تنزيه الله تعالى عن كل نقص وعيب، وإنما سبَّح النبي ﷺ لأن الرجل ذكر جملة فيها شيء من التنقص لله تعالى؛ فسبَّح النبي ﷺ ربه تنزيها له عما تُوهمه هذه الكلمة، وفي هذا دليل على مشروعية

(١) المعنى: عُرف أثره في وجوه أصحابه ﷺ، وأنهم تأثروا بذلك؛ لأنهم عرفوا أنه ﷺ لا يسبح في مثل هذا الموضع ولا يكرره إلا لأمر عظيم. (القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/ ٥٠٨).

التسبيح في مثل هذه الأحوال تزيها لله تعالى عن كل نقص متوهم، وذلك من تعظيم الله تعالى الواجب على كل مسلم، وهو من تمام التوحيد.

حكم الاستشفاع بالنبي ﷺ في حياته

يجوز طلب الشفاعة من النبي ﷺ في حياته، لأن ذلك من باب طلب دعائه ﷺ، وطلب الدعاء ممن ترجى إجابته من وسائل إجابة الدعاء، فكيف إذا كان رسول الله ﷺ؟ ولهذا لم ينكر النبي ﷺ على الأعرابي قوله: نستشفع بك على الله.

أما بعد موته ﷺ فلا يجوز ذلك؛ لأنه من دعاء الأموات، والاستغاثة بهم، وهذا نوع من الشرك الأكبر، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ (١٣) **﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكَكُمْ﴾** وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ [فاطر: ١٣ - ١٤].

ثانيًا: النهي عن قول: السَّلامُ على الله

السَّلامُ من أسماء الله

من أسماء الله الحسنى: (السَّلامُ):

١. قال الله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ

الْسَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهِيمُنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ

سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ [الحشر: ٢٣].

٢. عن ثوبان رضي الله عنه قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا انْصَرَفَ مِنْ

صَلَاتِهِ اسْتَعْفَرَ ثَلَاثًا»، وقال: «اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ، وَمِنْكَ

السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ». رواه مسلم^(١).

معنى اسم الله (السَّلام)

اسم الله (السَّلام) يتضمن معنيين:

الأول: أنه جل وعلا سالم في نفسه من كل عيب ونقص، وذلك

لكماله وغناه، وسالم عن مشابهة أحد من خلقه.

الثاني: أنه المسلم لغيره من مخلوقاته، فهو يسلمهم من الآفات،

ويرزقهم الأمان والطمأنينة في الدنيا والآخرة.

حكم قول: السَّلامُ على الله

قول: (السَّلامُ على الله) محرَّم.

(١) أخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الذكر بعد الصَّلاة

وبيَّان صِفَتِهِ برقم: (٥٩١).

والدليل على ذلك: حديثُ عبد الله بن مسعودٍ رضي الله عنه قال: كنّا إذا كنّا مع النبيّ ﷺ في الصّلاة قلّنا السّلام على الله من عباده، السّلام على فلانٍ وفلانٍ، فقال النبيّ ﷺ: «لَا تَقُولُوا السّلام على الله، فإن الله هو السّلام». متفق عليه^(١).

الحكمة من النهي عن قول: السّلام على الله

نُهي عن قول: (السّلام على الله)، لأسباب منها:

١. أن (السّلام) اسم من أسماء الله سبحانه وتعالى، فالله تعالى هو السّلام، فلهذا لا يقال: «السّلام على الله».
٢. ما فيه من إساءة الأدب مع الله تعالى، وذلك أن حقيقة (السّلام): الدعاء للمسلم عليه بالسلامة من النقص الآفات، وإشعاره بالأمن والسّلام من قبل المسلم، والله تعالى مُنزّه عن كل نقص؛ وهو الذي يؤمّن غيره ويسلّمه، فلم يكن بحاجة إلى أن يُدعى له بذلك، لكمال غناه جلّ في علاه، وافتقار كل مخلوق إليه.
٣. أن الواجب على العبد تمجيد الله تعالى وتعظيمه، والسّلام عليه ينافي ذلك.

(١) أخرجه البخاري في كتاب صفة الصلاة، باب ما يُخَيَّرُ من الدُّعَاءِ بَعْدَ التَّشَهُّدِ وَلَيْسَ بِوَاجِبٍ برقم: (٨٣٥)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب التَّشَهُّدِ فِي الصَّلَاةِ برقم: (٤٠٢).

٤. أن السَّلامَ طلبٌ ودعاءٌ، ولا يُطلبُ إلا لِمَنْ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ، وَاللَّهُ هُوَ السَّلامُ، وهو يُدعى ولا يُدعى له، والسَّلامُ يُطلبُ مِنْهُ وَلَا يُطلبُ لَهُ، بَلْ يُشْنَى عَلَيْهِ بِهِ كَمَا فِي الدُّعَاءِ الثَّابِتِ عَقِبَ الصَّلَاةِ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلامُ، وَمِنْكَ السَّلامُ».

الدرس الرابع: الحلف بالله وبغيره

أولاً: تعظيم الحلف بالله

بم يكون الحلف؟

الحلفُ المشروع هو: الحلفُ بأسماءِ الله تعالى وصفاته.
والدليل على هذا: حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصُمْتُ». متفق عليه، وفي رواية: «مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلَا يَحْلِفْ إِلَّا بِاللَّهِ»^(١).

أمثله:

- أمثلة الحلف بأسماءِ الله: والله، وتالله، وبالله، والرحمن، وأقسم بالله العظيم.
- أمثلة الحلف بصفاتِ الله: أقسم بعظمة الله، أقسم بكتاب الله أو بالقرآن.

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأيمان والنذور، باب لا تحلفوا بأبائكم برقم: (٦٦٤٦)، ومسلم في كتاب الأيمان، باب التَّهْيِي عن الحلف بغيرِ الله تعالى برقم: (١٦٤٦)، والرواية الثانية المذكورة لمسلم.

تعظيم الحلف بالله

على المسلم أن يعظم الحلف بالله تعالى، ولهذا التعظيم عدة أوجه بياها فيما يلي:

الوجه الأول: حفظ اليمين:

على المسلم أن يحفظ يمينه، لقول الله تعالى: ﴿وَأَحْفَظُوا أَيْمَنَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩].

ولحفظ اليمين عدة صور:

١. أن لا يحلف المسلم إلا بالله تعالى أو بأسمائه وصفاته، ويتجنب الحلف بغيره.

٢. أن يتجنب الحنث في اليمين؛ إلا إذا كان الحنث خيراً له، ويكون الحنث خيراً له إذا حلف أن يترك فعل الخير، فينبغي له أن يحنث، ويكفر عن يمينه.

٣. أن يتجنب الإكثار من الأيمان، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُطْعُ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾ [القلم: ١٠]، والحلاف: كثير الحلف.

مساوى الإكثار من الأيمان

في الإكثار من الأيمان مساوى منها:

١. ضعف تعظيم اليمين بالله، والتساهل فيها ممن يحلف ومن الناس الذين يسمعون.

٢. تعريضُ نفسه للحِثِّ بسبب كثرة الأيمان.
٣. تجرُّ إلى الكذب في اليمين في البيع وغيره، فإن الشخص إذا تساهل باليمين سهلت عليه.

الوجه الثاني: الصّدق إذا حَلَفَ بالله

يجب على المسلم أن يَصْدُقَ في جميع كلامه، ويتأكد هذا إذا حَلَفَ بالله تعالى، فعن ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «مَنْ حَلَفَ بِاللَّهِ فَلْيَصْدُقْ»^(١).

والكَذِبُ في اليمين حرام، وهو معصية كبيرة، وتُسَمَّى اليمين الكاذبة: (اليمينُ الغموسُ)، وقد حذر النبي ﷺ منها، فعن عبد الله بن عَمْرٍو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «الْكَبَائِرُ: الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَالْيَمِينُ الْغَمُوسُ». رواه البخاري^(٢).

الوجه الثالث: تصديقُ الحالف بالله

يجب على المسلم أن يصدق مَنْ حَلَفَ له بالله تعالى، ويرضَى بيمينه، ما لم يكن معروفاً بالكذب في اليمين، لحديث ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أن النبي ﷺ

(١) جزء من حديث يأتي تخريجه قريباً إن شاء الله تعالى.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأيمان والندور، باب اليمين الغموس برقم: (٦٦٧٥).

قَالَ: «مَنْ حَلَفَ بِاللَّهِ فَلْيَصْدُقْ، وَمَنْ حَلَفَ لَهُ بِاللَّهِ فَلْيَرْضَ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ بِاللَّهِ، فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ». رواه ابن ماجه^(١).

الحكمة من إيجاب الاقتناع بالحلف بالله

١. تعظيم الله جل وعلا.
٢. تعظيم الحلف بالله تعالى.

ثانيًا: الحلف بغير الله

معنى الحلف بغير الله:

الحلف بغير الله هو: الإقسام بغير الله تعالى، بحرفٍ من حروف القسم الثلاثة (الواو، والباء، والتاء).
مثل: واللات والعزى، والنبي، وحياتي.

حكم الحلف بغير الله تعالى

الحلف بغير الله تعالى محرّم، وهو من الشّرك الأصغر.
والدليل على ذلك:

(١) أخرجه ابن ماجه في كتاب الكفارات، باب مَنْ حَلَفَ لَهُ بِاللَّهِ فَلْيَرْضَ برقم: (٢١٠١)، والبيهقي في السنن الكبرى ٣٠٥/١٠، وصححه البوصيري (مصباح الزجاجة ١٣٣/٢)، والألباني في إرواء الغليل (٢٦٩٨)، وحسنه ابن حجر (فتح الباري ٥٣٦/١١).

١. حديثُ عبدِ الله بنِ عُمرَ رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ». رواه أحمد وأبو داود والترمذي^(١).

٢. حديثُ عبدِ الرحمن بنِ سُمرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لَا تَحْلِفُوا بِالطَّوَاعِي، وَلَا بِأَبَائِكُمْ». رواه مسلم^(٢). وفي رواية: «بِالطَّوَاعِيَتِ»^(٣).

لماذا كان الحلفُ بغيرِ الله تعالى شركاً؟

الحكمة من النهي عن الحلفِ بغيرِ الله تعالى، وجعله شركاً تتلخص فيما يلي:

١. أن الحلفَ تعظيمٌ للمحلوف به، فمن حلفَ بغيرِ الله تعالى فقد ساواه في التعظيم بالله تعالى.

(١) أخرجه أحمد ٢٧٥/٩، (٥٣٧٥)، ٤٢٢/٩، (٥٥٩٣)، وأبو داود في كتاب الإيمان والنذور، بابُ في كراهية الحلفِ بالآباءِ برقم: (٣٢٥١)، والترمذي في أبواب الإيمان والنذور، بابُ ما جاء في كراهية الحلفِ بغيرِ الله برقم: (١٥٣٥)، ولفظه: «فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ»، بالشك، قال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ، وصححه ابن الملقن في البدر المنير ٤٥٨/٩، والألباني في إرواء الغليل ١٨٩/٨ (٢٥٦١).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب من حلفَ باللاتِ والعزى فليقلْ لا إلهَ إلا الله برقم: (١٦٤٨)، والطواغي: جمع طاغية، كالطواغيت جمع طاغوت، وهي الأصنام التي كانت تُعبد في الجاهلية. (كشف المشكل من حديث الصحيحين ٤٩٠/١).

(٣) أخرجه النسائي في كتاب الإيمان والنذور، باب الحلفِ بالطواغيت برقم: (٣٧٧٤).

٢. أن الحلف بالله تعالى تعظيم له، ولا يجوز للمسلم أن يعظم غير الله تعالى.

متى يكون الحلف بغير الله شركاً أكبر؟

يكون الحلف بغير الله تعالى شركاً أكبر إذا صاحبه تعظيم المحلوف به كتعظيم الله تعالى، بل ربما بلغ ببعض الجاهلين أن يعظموا الحلف المخلوق أشد من تعظيم الحلف الله، كمن يحلف بالله كاذباً، ولا يجرؤ على أن يحلف بالأولياء كاذباً.

كفارة الحلف بغير الله

من حلف بغير الله تعالى فكفارة حلفه أن يبادر بقول: (لا إله إلا الله).
والدليل على هذا: حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مَنْ حَلَفَ فَقَالَ فِي حَلْفِهِ: بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى؛ فَلْيَقُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَمَنْ قَالَ لِصَاحِبِهِ: تَعَالَ أَقَامِرُكَ، فَلْيَتَصَدَّقْ». متفق عليه^(١).

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأيمان والتأذير، باب لا يُحلف باللات والعزى ولا بالطواغيت، برقم: (٦٢٧٤)، ومسلم في كتاب الأيمان، باب من حلف باللات والعزى فليقل: لا إله إلا الله برقم: (١٦٤٧).

ثالثاً: الإقسامُ على الله

المراد بالإقسامِ على الله

الإقسامُ على الله هو: الحلفُ على الله تعالى أن يفعل شيئاً، أو أن لا يفعله.

مثال ذلك:

١. أقسمتُ عليك يارب أن تنصرنا.
٢. والله لا يغفر الله لفلان.

أنواع الإقسامِ على الله

الإقسامُ على الله نوعان:

النوع الأول: أن يكونَ الباعثُ على القسمِ حُسنُ الظنِّ بالله، والثقةُ بعطائه، مع قوة الإيمان، والاعتراف بالضعف، وعدم إلزام الله بشيء.

مثل: أن يقول:

- أقسمتُ عليك يارب أن تيسرَ لي أمري.
 - أقسمتُ عليك يارب أن تنصر إخواننا المجاهدين في سبيلك.
- حكمه: هذا النوع جائز لمن قَوِيَتْ صِلته بالله تعالى.
- والدليل على ذلك:

حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَةٍ». متفق عليه^(١).

النوع الثاني: أن يكون الباعثُ على القسمِ الغرورُ، والإعجابُ بالنفس، وأنه يستحق على الله كذا وكذا، أو تحجير فضل الله تعالى على عباده.
مثل: أن يقول:

— أقسمتُ عليك يارب أن لا تغفر لفلان.

— والله لا يغفر الله لفلان، أو لا يُدخله الجنة.

حكمه: هذا النوع محرّم.

والدليل على ذلك:

حديث جندب بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ حَدَّثَ: «أَنَّ رَجُلًا قَالَ: وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لِفُلَانٍ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ، فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ، وَأَحْبَبْتُ عَمَلَكَ». رواه مسلم^(٢).

الحكمة من تحريم هذا النوع

حُرِّمَ هذا النوع لما فيه من سوء الأدب مع الله تعالى، وتحجير رحمة الله الواسعة، وإساءة الظن به جلّ وعلا.

(١) أخرجه البخاري في كتاب الصلح، باب الصلح في الدية برقم: (٢٧٠٣)، ومسلم في

كتاب القسامة، باب إثبات القصاص في الأسنان وما في معناها برقم: (١٦٧٥).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن تقطيع الإنسان من رحمة الله

تعالى برقم: (٢٦٢١)، ومعنى «يتألى عليّ»: يحلف عليّ.

الدرس الخامس:

قَوْلُ: لَوْلَا اللَّهُ وَفُلَانُ، وَمَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتُ

أَوَّلًا: قَوْلُ: لَوْلَا اللَّهُ وَفُلَانُ

حكم قول: لَوْلَا اللَّهُ وَفُلَانُ

يُحْرَمُ قَوْلُ: (لَوْلَا اللَّهُ وَفُلَانُ)، وَهُوَ مِنَ الشِّرْكِ الْأَصْغَرِ.

والدليل على هذا:

١. قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢٢﴾

[البقرة: ٢٢].

قال ابن عَبَّاسٍ رحمته الله في تفسير الآية:

الْأَنْدَادُ هُوَ: الشِّرْكُ، أَخْفَى مِنْ دَيْبِ النَّمْلِ عَلَى صَفَاةٍ سَوْدَاءَ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ، وَهُوَ أَنْ يَقُولَ: وَاللَّهِ، وَحَيَاتِكَ يَا فُلَانُ، وَحَيَاتِي، وَيَقُولَ: لَوْلَا كَلْبَةُ هَذَا لِأَتَانَا اللَّصُوصُ، وَلَوْلَا الْبَطُّ فِي الدَّارِ لِأَتَى اللَّصُوصُ، وَقَوْلُ الرَّجُلِ لِصَاحِبِهِ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتُ، وَقَوْلُ الرَّجُلِ: لَوْلَا اللَّهُ وَفُلَانُ، لَا تَجْعَلُ فِيهَا فُلَانًا؛ فَإِنَّ هَذَا كُلَّهُ بِهِ شِرْكٌ^(١).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٢/١ (٢٢٩)، قال ابن حجر: سنده قوي (العجاب في

بيان الأسباب ص ٥١)، وقال الشيخ سليمان آل الشيخ في (تيسير العزيز الحميد ص ٥٨٧):

سنده جيد.

٢. قول الله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا

وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (٨٣) [النحل: ٨٣].

قال عون بن عبد الله رحمه الله في تفسير الآية: يقولون: لولا فلان لم يكن كذا.

الحكمة من تحريم قول: لولا الله وفلان:

١. ما فيه من سوء الأدب مع الله تعالى.
٢. ما فيه من مساواة غير الله بالله في اللفظ، وهو شرك أصغر، وذريعة إلى المساواة في التعظيم والعبادة الذي هو شرك أكبر.

العبارة المشروعة بدلا عنها

أ- يشرع أن يقال بدلا عن (لولا الله وفلان): لولا الله لما حصل كذا وكذا، وهذا أكمل، وهو معنى قول ابن عباس رضي الله عنهما: لا تجعل فيها فلاناً.

ب- ويجوز أن يقول: لولا الله ثم فلان لما وقع كذا وكذا.

الفرق بين الواو وثم في اللفظ

الفرق بين قول: لولا الله وفلان، وقول: لولا الله ثم فلان هو أن: العطف بالواو يقتضي المساواة بين الخالق والمخلوق، لأن الواو لمطلق الجمع والاشتراك فلا تقتضي ترتيباً ولا تعقيماً، بخلاف العطف بـ (ثم) (ثم)

فإنه يقتضي الترتيب والتأخير في المترلة، وهذا يجعل العبد متأخرا في المترلة وليس مساويا لله رب العالمين.

أمثلة وألفاظ مشابهة لها في الحكم:

١. قول: لولا الطبيب مات فلان.
٢. قول: لولا السائق هلكنا.
٣. قول: ما لي إلا الله وأنت.

ثانياً: قول: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ

حكم قول: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ

يحرّم قول: (مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ)، وهو مِنَ الشَّرْكِ الأصغر.

والدليل على هذا:

١. قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢٢).

وتقدم تفسير ابن عباس عليه السلام لها بقوله: الْأَنْدَادُ هُوَ: الشَّرْكُ.. وقول الرجل لصاحبه: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ.

٢. حديث الطُّفَيْلِ بْنِ سَخْبَرَةَ الْقُرَشِيِّ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ، وَمَا شَاءَ مُحَمَّدٌ» ^(١).

٣. حديث فُتَيْلَةَ بِنْتِ صَيْفِيٍّ الْجُهَنِيَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ يَهُودِيًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: إِنَّكُمْ تُنَدِّدُونَ، وَإِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ، وَتَقُولُونَ: وَالْكَعْبَةِ، : «فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْلِفُوا أَنْ يَقُولُوا: وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، وَيَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ شِئْتَ». رواه أحمد ^(٢).

٤. حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ، فَقَالَ: «جَعَلْتَنِي لِلَّهِ عَدْلًا، بَلْ مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ». رواه أحمد ^(٣).

(١) أخرجه أحمد ٢٩٦/٣٤-٢٩٧ (٢٠٦٩٤)، والحاكم في المستدرک علی الصحیحین ٥٢٣/٣، وأخرجه ابن ماجه في كتاب الكفارات، باب النهي أن يُقال: ما شاء الله وشئت، برقم: (٢١١٨) لكنه لم يسق لفظه، وأحال بنحوه على حديث حذيفة مختصراً، قال البوصيري (مصباح الزجاجة ١٣٧/٢): هَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ رِجَالُهُ ثِقَاتٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِي فِي سِلْسِلَةِ الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ (١٣٨).

(٢) أخرجه أحمد ٤٣/٤٥ (٢٧٠٩٣)، والنسائي في كتاب الإيمان والنذور، باب الحلف بالكعبة برقم: (٣٧٧٣)، وهذا لفظه، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٣٦).

(٣) أخرجه أحمد ٣٤١/٤ (٢٥٦١)، والنسائي في السنن الكبرى كتاب عمل اليوم والليل، باب النهي أن يُقال: ما شاء الله وشاء فلان، ذكر الاختلاف على عبد الله بن يسار فيه برقم: (١٠٧٥٩)، وابن ماجه في كتاب الكفارات، باب النهي أن يُقال: ما شاء الله وشئت برقم: (٢١١٧)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٣٩).

وفي رواية: «جَعَلَتِ لِلَّهِ نَدًّا، مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ»^(١).

الحكمة من النهي عن قول: مَا شَاءَ اللَّهُ وشئتُ:

١. ما فيه من سوء الأدب مع الله تعالى.
٢. ما فيه من مساواة غير الله بالله في اللفظ، وهو شرك أصغر، وذريعة إلى المساواة في التعظيم والعبادة الذي هو شرك أكبر.

العبارة المشروعة بدلا عنها

يشرع أن يقال بدلا عن (مَا شَاءَ اللَّهُ وشئتُ) واحد ما يلي:

- أ- مَا شَاءَ اللَّهُ وحده، وهذا أكمل، كما جاء في رواية لحديث الطفيل: «لَا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ، قُولُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ». رواه أبو يعلى^(٢).
- ب- مَا شَاءَ اللَّهُ ثم شاء فلان، لحديث حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رضي الله عنه أن النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ فُلَانٌ، قُولُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ». رواه أحمد^(٣).

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ص ٢٧٤ (٧٨٣)، والطبراني في المعجم الكبير ٢٤٤/١٢، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٩٩/٤.

(٢) أخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده ١١٨/٨ (٤٦٥٥)، والحاكم في المستدرک على الصحيحين ٥٢٣/٣، والطبراني في المعجم الكبير ٣٢٥/٨، والبيهقي في الأسماء والصفات ٣٥٨/١ (٢٩٢).

(٣) أخرجه أحمد ٢٩٩/٣٨ (٢٣٢٦٥)، وأبو داود في كتاب الأدب، بابُ لَا يُقَالُ خَبِثْتُ نَفْسِي برقم: (٤٩٨٠)، والنسائي في السنن الكبرى في كتاب عمل اليوم والليلة، باب ذكر الاختلاف على عبد الله بن يسار فيه برقم: (١٠٧٥٥)، قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: سنده صحيح (كتاب التوحيد ص ١٠٩)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٣٧).

الفرق بين الواو وثُمَّ في اللفظ

الفرق بين قول: (مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتُ)، وقول: مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شَاءَ فلان هو أن: العطف بالواو فيه مساواة بين الخالق والمخلوق، لأن الواو لمطلق الجمع والاشتراك فلا تقتضي ترتيباً ولا تعقيماً، بخلاف العطف بـ (ثُمَّ) فإنه يقتضي الترتيب والتأخير في المترلة، وهذا يجعل مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله تعالى، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْأَعْلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩]، وقال الله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: ٣٠].

الدرس السادس:

الاستثناء في الدعاء، وآداب الدعاء

المراد بالاستثناء في الدعاء

الإِسْتِثْنَاءُ فِي الدُّعَاءِ هُوَ: تَعْلِيقُ الدُّعَاءِ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى ^(١).

مثاله:

١. أَنْ يَقُولَ فِي دَعَائِهِ لِنَفْسِهِ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، اللَّهُمَّ

ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ.

٢. أَنْ يَقُولَ فِي دَعَائِهِ لغيره: اللَّهُ يَغْفِرُ لَكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، اللَّهُ

يُشْفِيكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

حكم الاستثناء في الدعاء

يَحْرُمُ الإِسْتِثْنَاءُ فِي الدُّعَاءِ.

والدليل على هذا:

(١) المراد بالاستثناء هنا الشرط، فإن الشرط يسمى استثناء، بدليل قوله ﷺ لضباعة بنت الزبير رضي الله عنها: «حجي واشترطي؛ فإن لك على ربك ما استثنيت». (القول المفيد على كتاب التوحيد ٣٣٥/٢).

حديثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ، لِيَعْزِمَ الْمَسْأَلَةَ، فَإِنَّهُ لَا مُكْرَهَ لَهُ». متفق عليه^(١).

الحكمة من النهي عن الاستثناء في الدعاء

نهي عن الاستثناء في الدعاء لأسباب منها:

١. أنه يُشعر بأن الله له مُكره، والأمر ليس كذلك، فإن الله أعظم وأجل، ولهذا قال ﷺ: «فإنه لا مُكره له».
٢. أنه يُشعر بأن هذا أمر عظيم على الله، قد يثقل عليه، ويعجز عنه، والأمر ليس كذلك، ولهذا قال ﷺ في رواية للحديث: «وَلَكِنْ لِيَعْزِمَ الْمَسْأَلَةَ وَلِيَعْظِمَ الرَّغْبَةَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَتَعَاطَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ»^(٢).
٣. أنه يُشعر باستغناء العبد عن ربه جل وعلا، وعدم افتقاره إليه، وفي هذا إساءة أدب مع الله تعالى.

العزم في الدعاء

الواجبُ على الداعي أن يعزم المسألة في دعائه.

(١) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب ليعزم المسألة، فإنه لا مُكره له برقم: (٦٣٣٩)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب العزم بالدعاء ولا يقل: إِنْ شِئْتَ برقم: (٢٦٧٩).

(٢) أخرجه مسلم في الموضع السابق.

ومعنى عزم المسألة: الشدة والإلحاح في طلبه، والجزم بذلك من غير ضعف، ولا تعليق على مشيئة، ولا تردّد في طلبه من ربّه جلّ وعلا. وهذا يدل على افتقار الداعي لربّه جلّ وعلا، وشدة حاجته إليه، واضطراره إلى إجابته، وعلى إيقانه بإجابته، كما أنه يدل على تعظيم الله تعالى حيث إنه سأله حاجته وهو يعلم أنه القادر على تحقيقها.

سعة ما عند الله تعالى، وسعة عطائه

الله تعالى مالك الملك، ومملكه واسع عظيم، وكل شيء بيده، وهو واسع العطاء لعباده، ولا يضره ما يعطيهم منذ خلق الدنيا، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

١. قال الله تعالى: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦].
٢. عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنّه قال: «يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أُولَٰكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرُ»^(١).
٣. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَدُ اللَّهِ مَلَأَى لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَاءُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ»، وَقَالَ: «أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مِنْذُ

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم برقم: (٢٥٧٧)، وقوله: «إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرُ» لتحقيق أن ما عنده لا ينقص ألبتة، فإن البحر إذا غُمست فيه إبرة، ثم أخرجت لم تنقص من البحر شيئاً.

خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَعْضُ مَا فِي يَدِهِ»، وَقَالَ:
«عَرَّشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَبِيَدِهِ الْأُخْرَى الْمِيزَانُ، يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ»^(١).

آدابُ الدعاء

من آداب الدعاء ما يلي:

أولاً: الآداب الواجبة

١. إخلاص الدعاء لله وحده لا شريك له، ومن أعظم الشرك:
دعاء غير الله تعالى والاستغاثة به.

٢. إطابة المطعم، وذلك بكسب الحلال، وتجنب الكسب الحرام.

ثانياً: الآداب المستحبة

١. استحضار القلب حين الدعاء، وعدم الغفلة فيه.

٢. الإيقان بالإجابة أو رجاؤها حين الدعاء.

٣. ابتداء الدعاء المستقل^(٢) بحمد الله والثناء عليه، والصلاة

والسلام على رسوله ﷺ.

٤. الطهارة أثناء الدعاء.

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: (لَمَّا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ) برقم:

(٧٤١١)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب الحث على التَّفَقُّةِ وتبشِيرِ الْمُتَفَقِّ بِالْخَلْفِ برقم:

(٩٩٣)، ومعنى: «لَا يَغِيضُهَا»: لا ينقصها.

(٢) أما الدعاء العارض أو في أثناء العبادة كالصلاة أو الطواف فظاهر السنة عدم وضع

مقدمات له كما في نصوص كثيرة.

٥. استقبالُ القبلة أثناء الدعاء.
٦. الاستمرارُ على الدعاء وملازمته، وعدم الانقطاع عنه سامةً من الدعاء.
٧. رفعُ اليدين مكشوفتين، وبسطهما حيال الصدر أو الوجه، وجعل بطونهما إلى السماء، مع ضمّهما معاً، أو التفريج اليسير بينهما^(١).
٨. تَكَرُّرُ الدعاء والإلحاح فيه، وهذا يشمل نوعين من التكرار:
الأول: تَكَرُّرُهُ فِي الْحَالِ الْوَاحِدَةِ مِنَ الدُّعَاءِ، بِأَنْ يَكْرِّرَهُ ثَلَاثًا إِذَا دَعَا، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: «كَانَ النَّبِيُّ صلّى الله عليه وآله إِذَا دَعَا دَعَا ثَلَاثًا، وَإِذَا سَأَلَ سَأَلَ ثَلَاثًا». رواه مسلم^(٢).
- الثاني: تَكَرُّرُهُ مِرَارًا فِي جَمِيعِ أَحْوَالِ الْعَبْدِ وَأَوْقَاتِهِ، وَمَنْ أَكْثَرَ وَأَلَحَّ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى فَسَرَّعَانَ مَا يُسْتَجَابُ لَهُ.

دُعَاءُ اللَّهِ بِأَسْمَائِهِ الْمُنَاسِبَةِ

يُسْتَحَبُّ دُعَاءُ اللَّهِ تَعَالَى بِأَسْمَائِهِ الْحَسَنَى الْمُنَاسِبَةِ لِلْمَطْلُوبِ، مِثَالُ ذَلِكَ:

(١) ينظر: كشف القناع ٣٦٧/١، وإحياء علوم الدين ٣٠٥/١، وحاشية الروض المربع

١٨٩/٢، وحاشية ابن عابدين ٥٠٧/١.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب ما لَقِيَ النَّبِيَّ صلّى الله عليه وآله مِنْ أَذَى الْمُشْرِكِينَ وَالْمُنَافِقِينَ برقم: (١٧٩٤).

- أ- في الدعاء بالمغفرة والرحمة: يُدعى بأسمائه: الغفور، والغفار، والرحيم، والرحمن.
- ب- عند الدعاء بطلب المال والولد: يُدعى بأسمائه: الكريم، والمتنّان، والوهّاب.

أوقات الإجابة

يستحبُّ للدّاعي اغْتِنَامُ أوقات الإجابة وتحرّرها، ومنها:

- ١- الثُّلُثُ الأخير من الليل.
- ٢- عند الأذان والإقامة، وبينهما.
- ٣- عند صعود الإمام يوم الجمعة على المنبر حتى تنقضي الصلاة.
- ٤- آخر ساعة بعد العصر من يوم الجمعة.
- ٥- ليالي العشر الأخيرة من رمضان التي يُتحرّى فيها ليلةُ القَدْرِ.

أحوال الإجابة

يستحبُّ للدّاعي اغْتِنَامُ الأحوال التي يستجاب فيها الدُّعاء، مثل:

- ١- حالُ السجود.
- ٢- حالُ الصيام.
- ٣- حالُ السَّفَر.

الدرس السابع: سبُّ مخلوقاتِ الله المسخرةِ بأمره

أولاً: سبُّ الدَّهْرِ

المُرَادُ بِسَبِّ الدَّهْرِ

الدَّهْرُ هُوَ: الزَّمَانُ.

والمُرَادُ بِسَبِّ الدَّهْرِ: عَيْبُهُ أَوْ لَعْنُهُ، وَالتَّسْحُطُ مِمَّا وَقَعَ فِيهِ.

أمثلة سبِّ الدَّهْرِ:

١. لَعَنَ اللهُ اليَوْمَ الَّذِي رَأَيْتُكَ فِيهِ، أَوْ عَرَفْتُكَ فِيهِ.

٢. لَعَنَ اللهُ السَّاعَةَ الَّتِي حَصَلَ فِيهَا كَذَا.

٣. الزَّمَنُ غَدَّارٌ.

٤. هَذَا زَمَانٌ سُوءٌ.

حُكْمُ سَبِّ الدَّهْرِ

سَبُّ الدَّهْرِ حَرَامٌ.

والدليل على هذا: حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
«قال الله عز وجل: يُؤذِنِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الْأَمْرُ
أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ». متفق عليه^(١).

ومعنى قول الله جلَّ وعلا في الحديث القدسي: «أَنَا الدَّهْرُ»: أنه
جلَّ وعلا خالق الدهر والمتصرف فيه، وهو الذي يقلِّب الليل والنهار،
ويُجري حوادثه بمشيئته، فمن سب الدهر فإنما يسب مَنْ خَلَقَهُ وأجرى
فيه الحوادث، وهو الله جلَّ في علاه.

أقسام سبِّ الدهر

سبُّ الدهر قسمان:

القسم الأول: أَنْ يَسُبَّ الدَّهْرَ مُعْتَقِدًا أَنَّهُ الْفَاعِلُ بِنَفْسِهِ، أَوْ أَنَّهُ فَاعِلٌ
مَعَ اللَّهِ تَعَالَى.

حكمه: شركٌ أكبر.

القسم الثاني: أَنْ يَسُبَّ الدَّهْرَ مَعَ اعْتِقَادِهِ أَنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ هُوَ الَّذِي
فَعَلَ ذَلِكَ.

حكمه: محرَّم؛ لأنه في حقيقته سبُّ لله تعالى.

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، سورة الجاثية، باب (وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ) برقم:
(٤٨٢٦)، ومسلم في كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب النَّهْيِ عَنْ سَبِّ الدَّهْرِ برقم:
(٢٢٤٦).

الحكمة من تحريم سب الدهر

نهى الشرع عن سب الدهر لما فيه من المفاسد، ومنها:

١. أن السب في حقيقة الأمر يقع على من فعل هذه الأفعال، وهو الله عز وجل، فهو المعطي المانع، الخافض الرافع، المعز المذل، والدهر ليس له من الأمر شيء.
٢. أنه سب لمن لا يستحق السب، فإن الدهر خلق مسخر منقاد لأمر الله.
٣. أنه متضمن للشر، فإنه إنما سبه لظنه أنه يضر وينفع، وأنه مع ذلك ظالم قد ضر من لا يستحق الضرر، وأعطى من لا يستحق العطاء، ورفع من لا يستحق الرفعة، وحرّم من لا يستحق الحرمان.
٤. ما تضمنه من الاعتراض على قضاء الله وقدره.
٥. ما تضمنه من الجزع وترك الصبر الواجب عند حلول المصائب.

ما ليس من سب الدهر

ليس من سب الدهر: وصفه بأوصاف مختلفة غير متضمنة للسب، بل يقصد منها مجرد الوصف والإخبار لا الذم والعيب.

مثال:

١. هذه أيام شديدة.

٢. هذه أيامٌ باردةٌ.

٣. ما أشدَّ الحرَّ هذا اليومَ.

٤. هذا عامٌ جدبٍ وقحطٍ.

والدليل على ذلك: قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ بِهِمْ
وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ [هود: ٧٧]، وقال الله تعالى:
﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾ [القمر: ١٩].

ثانيًا: سَبُّ الرِّيحِ

المُرَاد بِسَبِّ الرِّيحِ

سَبُّ الرِّيحِ هو: شتمُها وغيبُها، أو لعنُها والتَّسَخُّطُ مِنْهَا.

مثال ذلك:

١ - لعنَ الله هذه الرِّيحَ.

٢ - هذه رِيحٌ حَبِثَةٌ.

حُكْمُ سَبِّ الرِّيحِ

سَبُّ الرِّيحِ حَرَامٌ.

والدليل على هذا: حديثُ أَبِي بِنِ كَعْبٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلَّى الله عليه وآله قَالَ: «لَا
تَسُبُّوا الرِّيحَ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْهَا مَا تَكْرَهُونَ، فَقُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ

خَيْرَ هَذِهِ الرِّيحِ، وَمِنْ خَيْرٍ مَا فِيهَا، وَمِنْ خَيْرٍ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ، وَنَعُوذُ بِكَ
مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ، وَمِنْ شَرِّ مَا فِيهَا، وَمِنْ شَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ»^(١).

أقسام سبِّ الرِّيحِ

سبُّ الرِّيحِ قِسْمَانِ:

القسم الأول: أَنْ يَسْبَّ الرِّيحَ مُعْتَقِدًا أَنَّهَا الْفَاعِلَةُ بِنَفْسِهَا، أَوْ أَنَّهَا
فَاعِلَةٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى.

حكمه: شِرْكٌ أَكْبَرُ.

القسم الثاني: أَنْ يَسْبَّ الرِّيحَ مَعَ اعْتِقَادِهِ أَنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ هُوَ الَّذِي
فَعَلَ ذَلِكَ.

حكمه: محرم؛ لأنه في حقيقته سبُّ لله تعالى.

الحكمة من تحريم سبِّ الرِّيحِ

نَهَى الشَّرْعُ عَنْ سَبِّ الرِّيحِ لِمَا فِيهِ مِنَ الْمَفَاسِدِ، وَمِنْهَا:

١. أَنَّ السَّبَّ فِي حَقِيقَةِ الْأَمْرِ يَقَعُ عَلَى مَنْ أَرْسَلَهَا وَسَخَرَهَا،

وهو الله عَزَّ وَجَلَّ، وَالرِّيحَ لَيْسَ لَهَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ.

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند ٧٥/٣٥ (٢١١٣٨)، والترمذي في أبواب الفتن، باب ما جاء في التَّهْيِ عَنْ سَبِّ الرِّيحِ برقم: (٢٢٥٢)، والنسائي في السنن الكبرى في كتاب عمل اليوم والليلة، باب ما يقول إذا هاجت الرِّيح برقم: (١٠٧٦٩)، والبخاري في الأدب المفرد (٢٩٨)، قال الترمذي: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وأورده الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢٧٥٦).

٢. أَنَّهُ سَبُّ لِمَنْ لَا يَسْتَحِقُّ السَّبَّ، فَإِنَّ الرِّيحَ خَلَقَ مُسَخَّرٌ مُنْقَادٌ
لَأَمْرِ اللَّهِ.

٣. ما تضمنه من الاعتراض على قضاء الله وقدره.

ما يُقالُ عند هبوب الرِّيح

السُّنَّةُ أَنَّ يُقالَ عند هبوبِ الرِّيحِ ما ثبتَ عن النبي ﷺ، وَمِنْ ذَلِكَ:
قَالَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا عَصَفَتْ الرِّيحُ
قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا، وَخَيْرَ مَا فِيهَا، وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ، وَأَعُوذُ
بِكَ مِنْ شَرِّهَا، وَشَرِّ مَا فِيهَا، وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ» رواه مسلم^(١).

ما لَيْسَ مِنْ سَبِّ الرِّيحِ

لَيْسَ مِنْ سَبِّ الرِّيحِ: وصفها بأوصاف مختلفة غير متضمنة للسبِّ، بل
يقصد منها مجرد الوصف والإخبار لا الذم والعيب.

مثل: هَذِهِ رِيحٌ شَدِيدَةٌ، هَذِهِ عَاصِفَةٌ قَوِيَّةٌ، مَا أَشَدَّ هَذِهِ الرِّيحَ.

والدليل على ذلك: قول الله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ
نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾﴾ [القمر: ١٩]، وقوله: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ
نَحْسَاتٍ ﴿فُصِّلَتْ: ١٦﴾﴾.

والريحُ الصَّرْصَرُ: شديدة البرودة، عالية الصوت.

(١) أخرجه مسلم في كتاب صلاة الاستسقاء، باب التَّعَوُّذِ عِنْدَ رُؤْيَا الرِّيحِ وَالْغَيْمِ وَالْفَرْحِ
بِالمطر، برقم: (٨٩٩).

الدرس الثامن: الرياء وخطره

تعريف الرياء

الرياء لغة: مأخوذ من الرؤية.

وشرعاً: إظهار العبادة لقصد رؤية الناس لها، فيحمدونه عليها.
ومن الرياء: السُّمعة، مأخوذة من الاستماع، وذلك أن يُسمع الناس شيئاً من الطاعة والخير كذكر الله تعالى، لكي يثني عليه الناس.
ويسمى الرياء: الشُّركُ الخفي؛ لأن صاحبه يُظهر أن العمل لله، ويُخفي في قلبه أنه لغير الله.

أمثلة الرياء:

١. أن يحسن الإنسان صلاته ليراه الناس ويثنوا عليه.
٢. أن يتصدق الإنسان ليُثني عليه الناس.
٣. أن يحسن الواعظ موعظته ليُثني عليه الناس.

حكم الرياء

الرياء حرام، وهو من الشرك الأصغر.

والدليل على هذا:

١. قولُ الله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ④ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ⑤ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ⑥ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ⑦﴾ [الماعون: ٤ - ٧].

٢. حديثُ مُحَمَّدٍ بْنِ لَبِيدٍ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكَ الْأَصْعَرُ»، قَالُوا: وَمَا الشِّرْكَ الْأَصْعَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا، فَاَنْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً». رواه أحمد^(١).

الخوف من الرياء

كان النبي ﷺ يخاف الرياء على أمته، فعن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ نَتَذَكَّرُ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ، فَقَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخَوْفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ؟» قَالَ: قُلْنَا:

(١) أخرجه أحمد ٣٩/٣٩ (٢٣٦٣٠)، والبيهقي في شعب الإيمان ٩/١٥٤ (٦٤١٢) قال الحافظ ابن حجر: إسناده حسن (بلوغ المرام ٢/٢١٢)، وقال المنذري (الترغيب والترهيب ١/٦٩): إسناده جيد، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٩٥١).

بَلَى، فَقَالَ: «الشَّرُّ الْخَفِيُّ، أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ يُصَلِّي، فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ، لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ». رواه أحمد وابن ماجه^(١).

أثر الرياء على العمل

مخالطة الرياء للعمل على وجهين:

الوجه الأول: أن يكون الرياء في أصل العمل.

مثل: أن يقوم فيصلي من أجل الناس، أو يتصدق من أجل الناس، أو يذكر الله من أجل الناس.

حكمه: هذا العمل فاسد لا يقبله الله تعالى، وذلك أن الله تعالى لا يقبل العمل إلا إذا كان خالصاً له وحده لا شريك له.

الوجه الثاني: أن يكون أصل العمل لله تعالى، ولكن يزيد فيه وصفاً أو شيئاً لأجل الناس.

مثل: أن يصلي لله فإذا أحس بمن يراه طولَّ صلاته، أو يتصدق لله فإذا شعر بمن يراه زاد في مقدار الصدقة.

حكمه:

له حالتان:

(١) أخرجه أحمد ٣٥٤/١٧ (١١٢٥٢)، وابن ماجه في كتاب الزهد، باب الرياء والسُّمعة ٢٣٧/٤ (١٤٠٦)، وهذا لفظه، قال البوصيري: إسناده حسن (مصباح الزجاجة ٢٣٧/٤ (٧٩٤١))، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٦٠٧).

الحالة الأولى: أن يكونَ خاطِراً عَارِضاً، فهذا يجب دَفْعُهُ، فإذا دفعه لَمْ يَضُرَّهُ.

الحالة الثانية: أن يَسْتَرْسَلَ مَعَهُ فهذا لا يبطلُ جميعَ عَمَلِهِ، وإنما يبطلُ العمل الذي قارنه الرياء، ويكونَ لَهُ مِنَ الثَّوَابِ وَالْإِثْمِ حَسَبَ نِيَّتِهِ.

حكم إرادة الدنيا بعمل الآخرة

إرادة الدنيا بعمل الآخرة هو: أن يعمل المسلم الأعمال الصالحة لا يريد بذلك ثواب الله تعالى، وإنما يريد مالا أو جاها أو منزلة أو وظيفة في الدنيا.

أمثلة ذلك:

- ١ - تعلُّمُ العِلْمِ الشرعيِّ؛ لمجرد الحصول على الوظيفة.
 - ٢ - الجهادُ في سبيل الله تعالى؛ لمجرد الحصول على الغنيمة.
- حكمه: لا يجوز للمسلم أن يعمل شيئا من الأعمال الصالحة يريد بذلك مجرد الدنيا.

والدليل على ذلك:

- ١ - قول الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ (١٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطِلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ [هود: ١٥].

٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُتَعَنَّى بِهِ وَجْهَ اللَّهِ، لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا، لَمْ يَجِدْ عَرَفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١)، يَعْنِي: رِيحَهَا.

(١) أخرجه أحمد ١٦٩/١٤ (٨٤٥٧)، وأبو داود في كتاب العلم، باب في طلب العلم لغير الله تعالى، برقم: (٣٦٦٤)، وابن ماجه في المقدمة، باب الانتفاع بالعلم والعمل به برقم: (٢٥٢)، وصححه ابن حبان ٢٧٩/١ (٧٨)، وقال النووي في رياض الصالحين ص ٣١٤: إسناده صحيح.

الدرس التاسع: التَّمَائِمُ

تعريفُ التَّمَائِمِ

التَّمَائِمُ: جمع تَمِيمَةٍ، وهي: حَرَزَاتُ أو عِظَامُ أو كِتَابَاتُ أو سِيُورٌ أو خِيُوطٌ أو حِرَقٌ وغيرها، تُعَلَّقُ في أعناق الصِّبْيَانِ أو غيرهم، أو في العِضْدِ، أو على البيوت أو السيارات، بغرض دفع البلاء من العين أو المرض أو الشياطين، أو رفع ذلك بعد وقوعه. سُمِّيَتْ بذلك: لأنَّ العربَ كانوا يَعْتَقِدُونَ أَنَّهَا تَمَامُ الدَّوَاءِ وَالشِّفَاءِ.

حُكْمُ التَّمَائِمِ

التَّمَائِمُ نوعان:

النوع الأول: أن يكون المعلق من غير القرآن الكريم، وهي قِسْمَان:

القِسْمُ الأول: شركٌ أكبر ينافي التوحيد بالكَلِيَّةِ، وله صور:

أ- تعليقُ التَّمَائِمِ التي فيها استعانةٌ بالشياطين، أو استعانةٌ بالملائكة، أو بأَسْمَاءَ مَجْهُولَةٍ، فهذا شركٌ أكبر لما فيه من الاستعانة بغير الله ودعائه والاستغاثة به.

ب- اعتقادُ أن هذه التَّمَائِمِ والحروز تدفع البلاء أو ترفعه بذاتها، فهذا شركٌ أكبر لاعتقاد لابسها أن هناك متصرفاً بالنفع

والضرر مع الله تعالى.

القسم الثاني: شرك أصغر ينافي كمال التوحيد الواجب، وهو بقية التمايم إذا لم يعتقد أنها متصرفة بنفسها، وإنما يعتقد أن لبسها سبب في دفع البلاء أو رفعه، كالتمايم التي يكتب فيها كلام ورموز غير مفهومة، والودعات، والخيوط، والأساور، وغيرها.

والأدلة على تحريم تعليق هذا النوع من التمايم، وأنه شرك كثيرة،

منها:

١. حديثُ أبي بَشِيرٍ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَصْفَارِهِ، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَسُولًا أَنْ: «لَا يَبْقَيْنَ فِي رَقَبَةٍ بَعِيرٍ قِلَادَةً مِنْ وَتَرٍ، أَوْ قِلَادَةً إِلَّا قُطِعَتْ». متفق عليه^(١).
٢. حديثُ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ عَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ». رواه أحمد^(٢).

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، بابُ مَا قِيلَ فِي الْجَرَسِ وَنَحْوِهِ فِي أَغْنَاقِ الْإِبِلِ، برقم: (٢٨٤٣)، ومسلم في كتاب اللباس والزينة، بابُ كَرَاهَةِ قِلَادَةِ الْوَتَرِ فِي رَقَبَةِ الْبَعِيرِ برقم: (٢١١٥)، زاد مسلم: قَالَ مَالِكٌ: «أَرَى ذَلِكَ مِنَ الْعَيْنِ»، والقِلَادَةُ: ما يعلق في رقبة البعير وغيره، والوتر: واحد أوتار القوس.

(٢) أخرجه أحمد ٦٣٦/٢٨ (١٧٤٢٢)، والحاثر في مسنده (بغية الباحث ٦٠٠/٢ (٥٦٣))، والطبراني في المعجم الكبير ٣١٩/١٧، والحاكم في المستدرک على الصحيحين ٢٤٣/٤، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٨٨٩/١ (٤٩٢).

النوع الثاني: أن يكون المعلق من القرآن الكريم.

مثل: تعليق مصحف صغير، أو سورة معينة كسورة (يس) أو المعوذات الثلاث (سور: الإخلاص، والفلق، والناس)، أو آية معينة كآية الكرسي.

وهذا النوع من التمايم اختلف فيه العلماء رحمن الله تعالى وإياهم، والصحيح أن تعليقها لا يجوز، لما يلي:

١. عموم النهي عن التمايم، ولم يستثن النبي ﷺ منها شيئاً، فيدخل فيه ما كان من القرآن الكريم وغيره.
٢. سدُّ الذريعة، فإنه يؤدّي إلى التساهل في تعليق التمايم، حتى يفضي إلى تعليق التمايم الشرّكيّة.
٣. أن في ذلك تعريضاً للقرآن الكريم للامتهان؛ لأنه يحمله معه في أماكن غير لائقة.

من صور التمايم

من صور وأشكال التمايم المنتشرة ما يلي:

١. نظمُ خرزات أو عظام أو ودَعَاتٍ في خيط، وتعليقها على الصدر لدفع العين والأرواح الشريرة.
٢. تعليقُ خرق سوداء على بعض السيارات، وقد انتشر هذا في بعض سيارات الأجرة، وسيارات التحميل.
٣. وضعُ مصحف صغير داخل علبة حديدية أو نحاسية مرتبطة

- بسلسلة، وتعليقه على الصدر، أو في موضع من البيت.
٤. وضعُ المصحف في المكتب أو السيارة بقصد دفع العين والشياطين.
٥. وضعُ صورة العين الزرقاء^(١) في كفٍّ أو في خَرَزَةٍ وتعليقها على الصدر أو السيارة، لتدفع العين.
٦. أسورةٌ تلبس في اليد أو العضد من نحاس أو حديد أو غيرهما بقصد الحفظ من العين والشياطين.

ما يُشَرعُ فعله لرفع البلاء أو دفعه

الواجب على المسلم أن يعلق قلبه بالله تعالى ويتوكل عليه وحده لا شريك له، ولا يفعل لدفع البلاء أو رفعه إلا الأسباب المشروعة من الأدعية والأذكار، أو الجائزة كالأدوية المباحة بأنواعها، مع اعتقاد أن الله تعالى هو الحافظ الكافي وهو الشافي المعافي سبحانه وتعالى.

وَمَنْ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴿[الطلاق: ٣]، وأما من تعلق بغيره، فإن الله يكله إليه.

واجبنا تجاه من يُعَلِّقُ شَيْئاً مِنَ التَّمَائِمِ

الواجب علينا تجاه من نراه يحمل شيئاً من هذه التمايم هو: النصح

(١) العين الزرقاء: رسم لعين إنسان باللون الأزرق، يزعم الجهال أنها تدفع العين عن علقها عليه.

والتحذير بالرفق واللين والحكمة، وتوجيههم للتعلم بالله تعالى والتوكل عليه، وبيان أن هذه الأعمال لا تجوز، وأنها من التشبه بأعمال الجاهلية التي جاء الإسلام بإبطالها.

عقوبة من علق التَّمائمَ

مَنْ علق قلبه بالتَّمائم فإن الله تعالى يتخلى عنه، ويكلمه إليها، وهي لا تنفع ولا تضر، ولا تخفض ولا ترفع، وذلك عقوبة له على تعلقه بها، فإن الجزاء من جنس العمل، وفي حديث عبد الله بن عكيم رحمه الله أن النبي ﷺ قال: «مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وَكَلَّ إِلَيْهِ». رواه أحمد^(١).

الوعيد الشديد لمن يعلق التَّمائم

لقد هدّد النبي ﷺ الذين يعلقون التَّمائم بأنواعها بأنه بريء منهم، وذلك في الحديث الذي رواه رُوَيْفِعُ بْنُ ثَابِتٍ الأنصاريّ رضي الله عنه قال: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا رُوَيْفِعُ، لَعَلَّ الْحَيَاةَ سَتَطُولُ بِكَ، فَأَخْبِرِ النَّاسَ أَنَّهُ مَنْ عَقَدَ لِحْيَتَهُ، أَوْ تَقَلَّدَ وَتَرًّا، أَوْ اسْتَنْجَى بِرَجِيعِ دَابَّةٍ أَوْ عَظْمٍ، فَإِنَّ مُحَمَّدًا

(١) أخرجه أحمد ٧٧/٣١ (١٨٧٨١)، والترمذي في أبواب الطب، باب ما جاء في كراهية التعليق، برقم: (٢٠٧٢)، وهو مرسل، وقد ضعف إسناده الترمذي وغيره، وله شواهد، ولهذا حسنه الألباني في غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام ص ١٨١.

ﷺ مِنْهُ بَرِيءٌ»^(١)، ففي هذا الحديث وعيد شديد لمن علق على رقبتة وترًا، وهو يدل على أنه من كبائر الذنوب؛ لتبرؤه ﷺ ممن فعله.

(١) أخرجه أحمد ٢٠٦/٢٨ (١٦٩٩٦)، وأبو داود في كتاب الطهارة، بابُ مَا يُنْهَى عَنْهُ أَنْ يُسْتَنْجَى بِهِ بِرَقْم: (٣٦)، والنسائي في كاب الزينة، باب عَقْدَ اللَّحْيَةِ بِرَقْم: (٥٠٦٧)، قال النووي وابن الملقن: إِسْنَادُهُ جَيِّدٌ، (المجموع شرح المذهب ٢٩٢/١، ١١٦/٢، والبدر المنير ٣٥٢/٢)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢٧)، ومعنى «عَقَدَ لِحْيَتَهُ»: مَا كَانُوا يَفْعَلُونَهُ فِي الْحَرْبِ، يَعْقِدُونَ لِحَاهِم تَكْبِيرًا وَعُجْبًا، وَقِيلَ: إِنَّ الْمُرَادَ بِذَلِكَ عَقْدَ اللِّحْيِ فِي الصَّلَاةِ، وَمَعْنَى «تَقَلَّدَ وَتَرًا»: جَعَلَ قِلَادَةً فِي عُنُقِهِ أَوْ عُنُقَ دَابَّتِهِ، وَ«الرَّجِيعُ»: الْعِزَّةُ وَالرُّوْثُ.

الدرس العاشر: الرُّقى

تعريف الرُّقى

الرُّقى: جمع رُقِيَّة، وهي: القراءة على المريض ونحوه، لرفع الضر عنه.

طرق الرُّقية

للرُّقية طُرُقٌ متعدِّدةٌ منها:

١. القراءة على المريض مباشرة مع النفث أو من غير نفث.
٢. القراءة على النفس أو المريض مع وضع اليد على موضع الألم، أو مسحه باليد.
٣. النفث في ماء، ثم يسقاه المريض، أو يغسل به موضع الألم، أو يغتسل به.
٤. الكتابة بالزَّعفران ونحوه في صحن أو ورقة نظيفة، ثم يُغسل، ثم يشربه المريض أو يغسل به موضع الألم، أو يغتسل به، ويسمى هذا العمل: (المَحْو) لأن الكتابة تُمحى بغسلها^(١).

(١) أما كتابة الآيات على الصُّحون كتابةً ثابتةً فهذا لا يجوز لما فيه من امتحان القرآن الكريم، وليس من الرُّقية الجائزة.

حكم الرُقَى

الرُقَى ثلاثة أنواع:

النوع الأول: الرُقَى الشرعية.

وهي: ما كان بالقرآن الكريم، وما أُثِرَ عن النبي ﷺ من الأذكار، وبالأدعية الشرعية الواضحة.

حكمها: الرُقَى بها جائزة.

الدليل على جوازها: حديثُ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا نَرْقِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ تَرَى فِي ذَلِكَ؟ فَقَالَ: «اعْرِضُوا عَلَيَّ رُقَاكُمْ، لَا بَأْسَ بِالرُقَى مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ». رواه مسلم^(١).

شروط الرُقَى المشروعة

يشترط لجواز الرُقَى ثلاثة شروط:

١. أن تكون بكلام الله تعالى، أو بكلام رسوله ﷺ، أو بالأدعية الواضحة المشتملة على دعاء الله تعالى بأسمائه وصفاته.
٢. أن تكون باللسان العربي وما يعرف معناه.
٣. أن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها، بل بتقدير الله تعالى.

(١) أخرجه مسلم، كتاب السلام، بابُ لَا بَأْسَ بِالرُقَى مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ، برقم: (٢٢٠٠).

النوع الثاني: الرقية المحرمة.

وهي الرقية التي لا تتوفر فيها شروط الرقية المشروعة، ولكنها لا تصل إلى حد الشرك، مثل: الرقية بالكلام غير المفهوم.

حكمها: محرمة، وهي من ذرائع الشرك.

النوع الثالث: الرقية الشركية.

وهي الرقى المشتملة على الشرك، مثل: دعاء غير الله، والاستغاثة بغير الله، والاستعاذة بغير الله، كالتى فيها استغاثة بالملائكة أو الأنبياء أو الجن والشیاطین.

حكمها: لا تجوز، وهي شرك أكبر.

والدليل على أنها محرمة وشرك: حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الرُّقَى، وَالتَّمَائِمَ، وَالتَّوَلَّهَ شِرْكٌ». رواه أحمد^(١).
وإنما كانت من الشرك لما يراد بها من دفع المضار، وجلب المنافع من غير الله تعالى.

(١) أخرجه أحمد ١١٠/٦ (٣٦١٥)، وأبو داود في كتاب الطب، باب في تعليق التمايم برقم: (٣٨٨٣)، وابن ماجه في كتاب الطب، باب تعليق التمايم برقم: (٣٥٣٠)، وصححه ابن حبان ٤٥٦/١٣ (٦٠٩٠)، والحاكم في المستدرک على الصحيحين ٢٤١/٤، والألباني في السلسلة الصحيحة ١١٦١/٦ (٢٩٧٢)، والتَّوَلَّهَ: نوع من السحر يعملونه يزعمون أنه يجب المرأة إلى زوجها والرجل إلى امرأته، ويسمى: (العطف).

صفة الرقية الشرعية

إذا زُرْتَ مَرِيضًا أَوْ حَضَرَ عِنْدَكَ مَرِيضٌ فَمِنَ السُّنَّةِ أَنْ تَرْقِيَهُ بِمَا وَرَدَ كُلُّهُ أَوْ بَعْضِهِ، وَمِنْهُ:

١. «اللَّهُمَّ اشْفِ فُلَانًا، اللَّهُمَّ اشْفِ فُلَانًا، اللَّهُمَّ اشْفِ فُلَانًا» ثلاثَ مَرَّاتٍ تَسْمِيَهُ بِاسْمِهِ ^(١).

٢. تجلس عند رأسه، وتقولُ سَبْعَ مَرَّاتٍ: «أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ، رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ؛ أَنْ يَشْفِيكَ» ^(٢).

٣. «اللَّهُمَّ اشْفِ عَبْدَكَ، يَنْكَأُ لَكَ عَدُوًّا، وَيَمْشِي لَكَ إِلَى الصَّلَاةِ» ^(٣).

٤. «اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ، أَذْهِبِ الْبَاسَ، اشْفِهِ وَأَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُعَادِرُ سَقَمًا» ^(٤).

(١) أخرجه البخاري برقم: (٥٦٥٩)، ومسلم برقم: (١٦٢٨)، وليس في البخاري التكرار، قاله النبي ﷺ لسعد بن أبي وقاص: «اللَّهُمَّ اشْفِ سَعْدًا، اللَّهُمَّ اشْفِ سَعْدًا» ثلاثَ مَرَّاتٍ.

(٢) أخرجه أحمد ٤٠/٤ (٢١٣٧)، (٢١٣٨)، وأبو داود برقم: (٣١٠٦)، والترمذي برقم: (٢٠٨٣) وحسنه، والنسائي في الكبرى برقم: (١٠٨١٥) وصححه ابن حبان ٢٤٠/٧ (٢٩٧٥)، والحاكم ٢٣٦/٤، والنووي في الأذكار ص ١٣٤.

(٣) أخرجه أحمد ١٧٣/١١ (٦٦٠٠) وأبو داود برقم: (٣١٠٧) من قوله ﷺ، وصححه ابن حبان (٢٩٧٤) من فعله ﷺ، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٣٠٤)، (١٣٦٥)، ومعنى «يَنْكَأُ لَكَ عَدُوًّا»: يُكْثِرُ فِيهِمُ الْجَرَاحَ وَالْقَتْلَ.

(٤) أخرجه البخاري برقم: (٥٧٤٣).

٥. تَنْفُثُ عَلَى سَبَائِكَ الْيُمْنَى، ثُمَّ تَضَعُهَا عَلَى الْأَرْضِ، ثُمَّ تَضَعُهَا عَلَى مَوْضِعِ الْأَلَمِ، وتقول: «بِسْمِ اللَّهِ، تُرْبَةُ أَرْضِنَا، بِرِيقَةِ بَعْضِنَا، يُشْفَى سَقِيمُنَا، بِإِذْنِ رَبِّنَا»^(١).
٦. «بِسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنٍ حَاسِدٍ، اللَّهُ يَشْفِيكَ، بِاسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ»^(٢).
٧. قراءة سورة الفاتحة كاملة، مع النفث على المريض، فـ«إِنَّهَا رُقِيَّةٌ»^(٣).

صِفَةُ رُقِيَةِ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ عِنْدَ الشُّعُورِ بِأَلَمٍ فِي أَيِّ جُزْءٍ مِنْ بَدَنِهِ :

١. «ضَعْ يَدَكَ [الْيُمْنَى] عَلَى الَّذِي تَأَلَّمَ مِنْ جَسَدِكَ.
٢. وَقُلْ: بِاسْمِ اللَّهِ - ثَلَاثًا.
٣. وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ: أَعُوذُ بِـ[عِزَّةِ] اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَازِرُ»^(٤).

(١) أخرجه البخاري برقم: (٥٧٤٥)، ومسلم برقم: (٢١٩٤).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٢١٨٦)، وهي رقية جبريل عليه السلام للنبي ﷺ، قال له: يَا مُحَمَّدُ، اسْتَكَيْتَ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ»، فَرَقَاهُ بِهَا.

(٣) كما قاله النبي ﷺ أخرجه البخاري برقم: (٢٢٧٦)، ومسلم برقم: (٢٢٠١).

(٤) مسلم برقم: (٢٢٠٢)، وأحمد ٢١٧/٤، والزياداتان منه.

أمثلة على التعاويذ^(١) الشرعية

يسن للمسلم أن يعوذ نفسه وأولاده وإن لم يكن هناك مَرَضٌ، ومما يتعوذ به ما يلي:

١. قِرَاءَةُ المَعُوذَاتِ الثَّلَاثِ (سور: الإخلاص، والفلق، والناس)، وبخاصة عند النوم.
٢. قِرَاءَةُ آيَةِ الكُرْسِيِّ، وبخاصة عند النوم.
٣. قول: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، عند نزول أي مكان.
٤. تعويذ الأولادِ بنينَ وبناتٍ بقول: أُعِيذُكَ أَوْ «أُعِيذُكُمْ» أَوْ أُعِيذُكُمْ أَوْ أُعِيذُكُمْ «بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ»^(٢).

مفاهيم خاطئة عن الرقية:

١. ترك بعض الناس رقية نفسه، واعتقاده أن الرقية لا تكون إلا من أشخاص محددين.
٢. عدم اليقين في الاستشفاء بالقرآن الكريم، وإنما يرقى أو

(١) تقدم أن العوذة تكون قبل المرض، وهي للتحصن من الأمراض، والسحر والعين.

(٢) البخاري برقم: (٣١٩١)، وأحمد برقم: (٢١١٢)، وهذا لفظه، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُعَوِّذُ حَسَنًا وَحُسَيْنًا، فَذَكَرَهُ، وَكَانَ يَقُولُ: «كَانَ إِبْرَاهِيمُ أَبِي يُعَوِّذُ بِهِمَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ».

يسترفي تجربة.

٣. التعجّل بطلب الشفاء، وترك الرقية إذا لم يُشَفَّ مباشرة، مع أن الرقية يمكن أن تفيد من مرة، أو تكرر مرات أو أكثر من ذلك.

٤. اعتقاد أنه لا تشرع الرقية في الأمراض العضوية.

٥. تعلّق القلب بأشخاص معينين للرقية عندهم، وظن النفع منهم، وما هم إلا أسباب.

الدرس الحادي عشر: التطير

تعريف التطير

التَطْيِيرُ هو: التَّشَاوُؤُ بِمَا يَقَعُ مِنَ الرِّثِيَّاتِ أَوْ الْمَسْمُوعَاتِ أَوْ الْأَيَّامِ أَوْ الشُّهُورِ أَوْ غَيْرِهَا.
سُمِّيَ بِذَلِكَ: لِأَنَّهُ أَصْلُ التَّشَاوُؤِ عِنْدَ الْعَرَبِ ابْتِدَاءً مِنَ الطَّيُورِ.

أمثلة التطير:

١. التشاؤمُ برؤية بعض الطيور أو الحيوانات، مثل: الغراب، أو البوم، أو القطة السوداء.
٢. التشاؤمُ برؤية إنسان ذي عاهة.
٣. التشاؤمُ ببعض الأيام، أو الشهور، كشهر صفر.
٤. التشاؤمُ ببعض الأرقام، كما يتشاءم بعض أهل البدع بالرقم (١٠)، ويتشاءم بعض الغربيين بالرقم (١٣)، ويقلدهم في ذلك بعض المسلمين.
٥. التشاؤمُ بانكسار شيء، أو سقوطه، أو رؤية شيء مكسور كمرآة مكسورة.
٦. التشاؤمُ بالأبراج أو النجوم، كالتشاؤم بمن يولد في برج كذا،

أو التشاؤم بالسفر أو الحرب في برج كذا، أو بالزواج في برج كذا.

٧. التشاؤم ببعض الأماكن، كما لو حصل له حادث في مكان، فيتشاءم من المرور به.

حكم التطير

التطير حرام، وهو من الشرك الأصغر المنافي لكمال التوحيد الواجب، والدليل على ذلك:

١. حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الطيرة شرك، الطيرة شرك، ثلاثاً».

قال ابن مسعود رضي الله عنه: وَمَا مِنَّا إِلَّا، وَلَكِنَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ. رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه^(١).

(١) أخرجه أحمد ٢١٣/٦ (٣٦٨٧)، وأبو داود في كتاب الطب، باب في الطيرة برقم: (٣٩١٠)، وهذا لفظه، والترمذي في أبواب السير، باب ما جاء في الطيرة برقم: (١٦١٤) وابن ماجه في كتاب الطب، باب من كان يعجبه الفأل ويكره الطيرة برقم: (٣٥٣٨)، قال الترمذي: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وصححه ابن حبان ٤٩١/١٣ (٦١٢٢)، والألباني في غاية المرام ص ١٨٦ (٣٠٣).

٢. حديث عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ رَدَّتْهُ الطَّيْرَةُ مِنْ حَاجَةٍ فَقَدْ أَشْرَكَ». رواه أحمد^(١).

حقيقة الطَّيْرَةِ المنهي عنها

الطَّيْرَةُ المنهي عنها، هي: ما يحمل الإنسان على المضيي فيما أراده، أو يمنعه من المضيي فيه، أمّا ما قد يجده الإنسان في نفسه عندما يرى أو يسمع شيئاً حسناً أو سيئاً، فهو أمر لا يلام عليه الإنسان؛ إلا إذا استرسل معه، أو ترتب عليه إقدام أو إحجام.

عن مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ وَقَدْ جَاءَ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ، وَإِنَّ مِنَّا رَجُلًا يَأْتُونَ الْكُهَّانَ، قَالَ: «فَلَا تَأْتِهِمْ». قَالَ: وَمِنَّا رَجُلٌ يَتَطَيَّرُونَ، قَالَ: «ذَاكَ شَيْءٌ يَجِدُونَهُ فِي صُدُورِهِمْ فَلَا يَصُدَّتْهُمْ»، (وفي لفظ: فَلَا يَصُدَّتْكُمْ). رواه مسلم^(٢)، فبيّن النبي ﷺ أن ما يجده الإنسان في صدره فلا شيء عليه فيه إذا لم يمنعه من المضيي في مقصده.

(١) أخرجه أحمد ١١/٦٢٣ (٧٠٤٥)، والطبراني في المعجم الكبير ٢٢/١٣، وابن السني في عمل اليوم والليلة ص ٢٥٤ (٢٩٢)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٠٦٥).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحة برقم: (٥٣٧).

إبطال الإسلام للطيرة وأنه لا حقيقة لها

لَمَّا جاء الإسلام بعقيدته الصحيحة التي تربط المؤمن بربه جل وعلا، وترفع عنه ضلالات الجهل والخرافة، هَمَّى رسول الله ﷺ عن التطير، ونفى أثره، فعَنْ عبد الله بنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا عَدْوَى وَلَا طِيْرَةَ». متفق عليه^(١)، ففي هذا إبطال للطيرة وأنه لا حقيقة لها.

وسبب ذلك: أن الطيور وغيرها لا علاقة لها بالحسن والقبح، ولا بالخير والشر، ولا بالهدى والضلال، وإنما هي خلق مسخر من خلق الله تعالى، فلا يجوز الاعتماد عليها في التصرف في الحياة تفاؤلاً أو تشاؤماً؛ بل يجب الاعتماد على الله تعالى وحده لا شريك له، مع فعل الأسباب الممكنة لصلاح الأمر، وتجنب فساد.

علاج الطيرة

تُدفع الطيرةُ بأمرٍ منها:

١. صِدْقُ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، بأن يعلم المؤمن علماً يقينياً أن الأمر كله بيد الله تعالى، وأنه لا تأثير لشيء ولا لأحد إلا بتقدير الله وحده لا شريك له، وكلما قوي توكل المؤمن على ربه اندفع عنه شبح التطير والتشاؤم، قال عبد الله بن

(١) أخرجه البخاري في كتاب الطب، بابُ الطيرة، برقم: (٥٤٢١)، ومسلم في كتاب السلام، بابُ الطيرة والفأل وما يكون فيه من الشؤم، برقم: (٢٢٢٥).

مسعود رضي الله عنه: وما منّا إلّا، ولكن الله يذهب بالتوكل.

٢. **تقوية الإيمان بقضاء الله وقدره**، بأن يعلم المؤمن أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، فيمضي في أمره الذي يقصده علماً بأن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة.

٣. **العلم بأن حركة الطير أو غيره لا أثر لها في ملكوت الله ولا في قضائه وقدره**، وأن هذه الأشياء التي يتطير بها بعض الناس تحصل مئات أو آلاف المرات ولا يحصل عندها شيء مما يتوقعه المتطرون الجاهلون، وإنما حصلت أشياء يسيرة بقدر الله تعالى فنقلها الناس لغرابتها، وإلا فهي لا تكاد تذكر.

٤. **العلم بأن التطير لا يضر إلا صاحبه**، فالمؤمن لا يضره إلا ما كتب الله له، وكلما كان المؤمن غافلاً عن هذه الأشياء غير ملتفت لها فإنها لا تضره ولا تؤثر في حياته كما هو حال عامة المؤمنين الموحدين.

كفارة الطيرة

من وقع في التطير المحرم، فالواجب عليه أن يتوب إلى الله تعالى، ويسن له أن يقول ما علمه النبي ﷺ لأصحابه رضي الله عنهم من كفارة للتطير، كما في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ رَدَّتْهُ الطَّيْرَةُ مِنْ حَاجَةٍ فَقَدْ أَشْرَكَ»، قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا كَفَّارَةُ ذَلِكَ؟ قَالَ:

«أَنْ يَقُولَ أَحَدُهُمْ: اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ، وَلَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ». رواه أحمد^(١).

مساوئ التطير:

١. يقدح في عقيدة المسلم، ويوقعه في الشرك.
٢. يضعف التوكل على الله تعالى، ويعلق القلب بغيره مما لا ينفع ولا يضر.
٣. يؤدي إلى التمسك بالأوهام والاعتماد على الخيالات الفارغة.

(١) أخرجه أحمد ١١ / ٦٢٣ (٧٠٤٥)، والطبراني في المعجم الكبير ٢٢ / ١٣، وابن السني في عمل اليوم والليلة ص ٢٥٤ (٢٩٢)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٥٣ / ٣ تحت الحديث رقم (١٠٦٥).

الدرس الثاني عشر: السحر

المراد بالسحر

السَّحَرُ هو: عملٌ شيطانيٌّ يتم عن طريق كلام يتكلم به الساحر فتعيَّنه الشياطين على تنفيذ مطلوبه، فيؤثِّر في القلوب والأبدان، ومنه تخيلاتٌ تؤثِّر في الأبصار لا حقيقة لها.

أنواع السحر

للسَّحَر أنواع كثيرة، أشهرها أربعة أنواع:

النوع الأول: سِحْرُ التَّأثير، وهو: الذي له حقيقة وأثر في الخارج، وهو: السَّحَرُ الشَّيْطاني، ويتم عن طريق كلام يتكلم به الساحر مع تدخيناتٍ ونَفَثٍ، فتُعيَّنه الشياطين على تنفيذ مطلوبه، فيؤثِّر في القلوب والأبدان، فيُمرِّض أو يُضعف البدن أو يقتل.

ومن صُورِ هذا النوع:

١. سِحْرُ النَّفَثِ في العُقَدِ.

٢. سِحْرُ التَّوَلِّةِ وهو: سِحْرُ العَطْفِ والصَّرْفِ، الذي يفرِّق بين

المرء وزوجه، أو يصرف رجلاً لمحبة امرأة، أو امرأةً لمحبة

رجل، ومنه: ربط الرجل عن زوجته.

٣. السَّحَرُ الَّذِي يَتَوَصَّلُ بِهِ السَّاحِرُ إِلَى أَنْ تَحْمِلَهُ الشَّيَاطِينُ فَتَطِيرَ بِهِ فِي الْهَوَاءِ.

حُكْمُهُ: هَذَا النُّوعُ تَعَلَّمَهُ وَاسْتَعْمَلَهُ كُفْرٌ وَشِرْكٌ، وَمِنْ الْأَدْلَةِ عَلَى ذَلِكَ:

١. قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكٍ سُلَيْمَنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

٢. قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢].

٣. مَا فِيهِ مِنَ الِاسْتِعَانَةِ بِالشَّيَاطِينِ، وَالِاسْتِعَانَةِ بِهِمْ وَعِبَادَتِهِمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ تَعَالَى بِأَيِّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ.

النَّوْعُ الثَّانِي: سِحْرُ التَّخْيِيلِ، وَهُوَ الَّذِي لَيْسَ لَهُ حَقِيقَةٌ وَأَثَرٌ فِي الْخَارِجِ، وَإِنَّمَا يَتِمُّ بِالتَّأَثُّرِ عَلَى الْأَبْصَارِ بِطَرَقِ خَفِيَّةٍ، أَوْ بِالِاسْتِعَانَةِ بِالشَّيَاطِينِ حَتَّى يُرَى النَّاسَ تَهْوِيلَاتٍ وَتَغْيِيرَاتٍ لَا حَقِيقَةَ لَهَا.

وَمِنْ صُورِ هَذَا النُّوعِ:

١. أَنْ يُرَى السَّاحِرُ النَّاسَ أَنَّهُ يَطِيرُ فِي الْهَوَاءِ وَهُوَ لَمْ يَطِرْ حَقِيقَةً، أَوْ أَنَّهُ يَقْطَعُ رَأْسَهُ أَوْ رَأْسَ غَيْرِهِ ثُمَّ يَعِيدُهُ، أَوْ أَنَّهُ يَدْخُلُ فِي جَوْفِ حَيَوَانٍ مِنْ فَمِهِ، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنْ دُبُرِهِ.

٢. سِحْرُ سَحَرَةِ فرعون، حيث أروا الناس أن الحبال والعصي

صارت ثعابين تسعى، كما قال الله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا

جَاهُهُمْ وَعَصِيَّتُهُمْ يُحِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُ تَسَعَى﴾ [طه: ٦٦].

وقال الله تعالى: ﴿قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ

وَأَسْرَبُوهُمْ وَجَاءَ بِسِحْرِ عَزِيمٍ﴾ [الأعراف: ١١٦].

حكمه: هذا النوع كفر أيضاً، لعدة أسباب:

١. أن الله تعالى قد سمّاه سِحْرًا كما في قصة سحرة فرعون،

وهو تعالى قد حكم بأن السِّحْرَ كفر.

٢. أن الله تعالى حكم على أصحاب السِّحْرِ التخيليِّ بأنهم لا

يفلحون، فقال الله تعالى: ﴿وَأَلْقَ مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا

صَنَعُوا كَيْدُ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ [طه: ٦٩].

ولا يُنْفَى الفلاح المطلق عن أحد إلا ويكون كافراً.

النوع الثالث: سِحْرُ العقاقير والأدوية والخواص الكيميائية، التي لها

تأثير في تغيير طبائع الأشياء، أو التأثير في الأشخاص.

وهذا في الحقيقة سِحْرٌ مجازي، وسُمِّيَ سِحْرًا مع ظهور أسبابه:

لخفائها على غير السَّحَرَةِ.

النوعُ الرابعُ: سِحْرُ الخِدَاعِ والتَّمْوِيهِ والخِفَّةِ: بحيث يفعل الساحر بخفة يده أشياء يخدع بها العيون حتى ترى ما ليس واقعاً واقعاً^(١).
ويطلق على هذا النوع من السِّحْرِ: الشَّعْوَذَةُ، وهو في الحقيقة سِحْر مجازي لا حقيقة له، وسُمِّيَ سِحْرًا لخفائه.

حكم هذين النوعين: هذان النوعان معصية وكبيرة من كبائر الذنوب، لأسباب منها:

أولاً: أنهما ذريعة للسِّحْرِ الذي هو كُفْر، وهو السِّحْرُ الحقيقيُّ والتخييليُّ.

ثانياً: أن سَحَرَةَ هذين النوعين يمارسون أعمالهم باسم السِّحْرِ، ويلبسون على الناس بأنهم سَحَرَةُ حقيقيون.

ثالثاً: ما فيهما من التَّمْوِيهِ والخِدَاعِ والكذب.

عقوبة السَّاحِرِ

أولاً: السَّاحِرُ الذي يستعمل النوعين الأولين اللذين هما كفر، وعقوبته القتل كما ذهب إليه جمهور أهل العلم، والدليل على ذلك ما يأتي:

(١) والفرق بين هذا وبين السِّحْرِ التخييلي: أن التخييلي يؤثر فيه الساحر على الأبصار فترى تماويل وغيرها، كما قال تعالى: (فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ)، أما في سِحْرِ الخِفَّةِ فمجرد خداع وإيهام وخفة يد. (ينظر: السحر والشعوذة، للدكتور عمر الأشقر ص ١٢١، ١٢٩، وبدائع الفوائد لابن القيم ٢/٢٢٧-٢٢٨).

١. أن السحر كفرٌ وردّةٌ عن دين الإسلام، ولهذا ذكره العلماء في باب الردة، وعقوبة المرتد القتل، والدليل على هذا: حديث عبد الله بن عباسٍ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»^(١).

٢. أن قتل الساحر ثابت عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم، منهم بعض الخلفاء الراشدين، قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: ثبت قتل الساحر عن ثلاثة من أصحاب رسول الله ﷺ، وهم عمر، وحفصة، وجندب رضي الله عنهم.

ثانياً: الساحرُ الذي يستعمل النوعين الثالث والرابع اللذين هما معصية وليس بكفر، وعقوبته التعزير البليغ الذي يردعه ويكف شره، وتقدير ذلك راجع إلى ما يراه الإمام أو القاضي الذي أنابه الإمام للنظر في أمرهم.

العلامات التي يُعرف بها الساحر:

١. أنه يسأل المريض عن اسمه، واسم أمّه، أو يخبره باسمه ومشكلته قبل أن يتكلم.
٢. قد يطلب من المريض تزويده بشيء من آثاره المادية مثل: مشطه، أو ثوبه، أو شعره.

(١) أخرجه البخاري في كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب حكم المرتد والمرتدة واستتابتهم، برقم: (٦٥٢٤).

٣. إعطاء ما يسمى بالحجاب، وغالب ما يكتب فيه طلاس، وهي:
كلمات وأسماء غير معروفة، أو أرقام، أو خطوط، أو حروف
مقطعة، أو رسوم، أو مربعات داخلها كتابة.
٤. قد يطلب من المريض إحضار حيوان ليدبحه، أو يأمره بدبحه، أو
يأمره بأن لا يمس الماء لفترة يحددها.

حكم إتيان السحرة والكهنة والعرافين

إتيان السحرة أنواع:

١. إتيانهم لعمل السحر، فهذا إذا خلا من الشريكيات فهو كبيرة
من الكبائر، ومن فعله لم تقبل له صلاة أربعين يوماً، والدليل
على ذلك حديث بعض أزواج النبي ﷺ أن النبي ﷺ قال:
«مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ
لَيْلَةً» رواه مسلم^(١).
٢. إتيانهم مع تصديقهم في العلم بالمغيبات، أو العمل بما يأمرون
به من ذبح الذبائح أو الاستغاثة بغير الله؛ فهذا كفر وشرك.
٣. إتيانهم حباً في الاستطلاع والمعرفة، أو لمجرد الفرجة
والمشاهدة، فهذا لا يجوز إلا مع الإنكار عليهم.

(١) أخرجه مسلم في كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهّان برقم: (٢٢٣٠).

الوقاية من السحر

من أهم طرق الوقاية من السحر التحصُّن الدائم بالأوراد الشرعية،
ومن ذلك:

١. قراءة المعوذات الثلاث (الإخلاص والفلق والناس) ثلاث مرات في الصباح والمساء وعند النوم.
٢. قراءة آية الكرسي في الصباح والمساء وعند النوم.
٣. قراءة آخر آيتين من سورة البقرة كل ليلة.
٤. قول: (بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء) ثلاث مرات في الصباح والمساء.

حَلُّ السَّحْرِ عَنِ الْمَسْحُورِ (ويسمى: النُّشْرَةُ)

حَلُّ السَّحْرِ عَنِ الْمَسْحُورِ نوعان.
النوع الأول: حَلُّ السَّحْرِ بِسَحْرِ مِثْلِهِ؛ حيث يذهب المسحور أو أولياؤه إلى ساحر ليحلّ لهم السحر عنه، وهذا له صورتان:
الصورة الأولى: أن يطلب منهم الساحر عملاً شركياً، مثل: الذبح لغير الله، أو التقرب للشياطين بأي قرابة، أو الاستغاثة بهم، أو تعليق استغاثة شركية.

وحكم هذه الصورة: أنها شرك أكبر.

الصورة الثانية: أن لا يطلب منهم الساحر عملاً شركياً، ولكن يحله بطريقته.

وحكم هذه الصورة: غير جائزة.

والدليل على ذلك: حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن النُّشْرَةِ، فقال: «هو من عمل الشَّيْطَانِ» رواه أحمد وأبو داود ^(١).

النوع الثاني: حلُّ السَّحْرِ بالرقية الشرعية، والأدوية المباحة ^(٢).

وحكم هذا النوع: جائز، قال ابن القيم رحمه الله: فهذا جائز بل مستحب ^(٣).

والدليل على ذلك: عموم الأدلة الشرعية الآمرة بالتداوي والرقية، ومنها: حديث عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال: كُنَّا نَرْقِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ تَرَى فِي ذَلِكَ؟ فَقَالَ: «اعْرِضُوا عَلَيَّ رُقَاكُمْ، لَا بَأْسَ بِالرُّقَى مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ» رواه مسلم ^(٤).

(١) أخرجه أحمد ٤٠/٢٢ (١٤١٣٥)، وأبو داود في كتاب الطب، باب في النُّشْرَةِ برقم: (٣٨٦٨)، وهذا لفظه، قال الحافظ ابن حجر: سنده حسن (فتح الباري ١٠/٢٣٣)، وقال ابن مفلح: سنده قوي (الآداب الشرعية ٣/٦٤)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٦/٦١١ (٢٧٦٠).

(٢) ينظر في الطريقة الشرعية لحل السحر: فتاوى الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله ١٤٤/٨.

(٣) إعلام الموقعين ٤/٣٩٦.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب السلام، باب لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك ^(٤) ١٧٢٧/٤ (٢٢٠٠).

الدرس الثالث عشر: الكهانة والعرافة

تعريف الكهانة

الكهانة هي: الإخبار عما يكون في مُسْتَقْبَل الزَّمان، مأخوذة من التَّكَهُن، وهو: التَّخَرُّص.

وتطلق أيضا على: الإخبار عما في الضمير.
وَالْكَاهِنُ: هو الذي يدَّعي معرفة ذلك.

تعريف العرافة

العرافة هي: ادّعاء معرفة الأمور الخفية، كالمسروقات والضوالم ونحوها.
وَالْعَرَّافُ: هو الذي يدَّعي معرفة ذلك.

فالفرق بين الكاهن والعرَّاف: أن الكاهن يخبر عن الأمور المستقبلية، والعرَّاف يخبر عن الأمور الماضية.

وقد يطلق العرَّاف على أوسع من هذا المعنى أحيانا، فيشمل الكاهن وغيره: قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: العرَّاف: اسم للكاهن والمنجم والرمال ونحوهم. اهـ^(١)

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٧٣/٣٥.

حُكْمُ الْكَهَانَةِ وَالْعِرَافَةِ

الْكَهَانَةُ شَرْكٌ أَكْبَرُ لِمَا يَلِي:

أولاً: ما تتضمنه من ادعاء علم الغيب الذي استأثر الله تعالى بعلمه، فمن ادعى معرفة المغيبات فقد نازع الله تعالى في خصائص ربوبيته.

١. قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ

وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥].

٢. قال الله تعالى: ﴿عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ (٦٦) إِلَّا

مَنْ أَرَادَ نَصِيحَتِي مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَقُولُ يَسْأَلُكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ (٢٧)

[الجن: ٢٦ - ٢٧].

ثانياً: أنهم لا يخلون غالباً من الاستعانة بالشياطين، والشياطين لا تعينهم حتى يشركوا بالله تعالى، بأن يذبحوا لهم أو يهينوا القرآن الكريم أو غير ذلك.

حُكْمُ إِتْيَانِ الْكُهَانِ وَالْعِرَافِينَ وَسْؤَالِهِمْ

دلت الأحاديث النبوية على تحريم إتيان الكهان والعرافين وسؤالهم؛ وذلك أنه لا يعلم الغيب إلا الله تعالى، فمن سألهم عن شيء من المغيبات فقد شك في ذلك، وتسرب إلى قلبه اعتقاد أن هناك من يعلم الغيب غير الله تعالى، والواجب على المسلم أن يقطع ويعتقد أنه لا يعلم الغيب إلا الله تعالى.

عقوبة مَنْ سأل الكهنة والعرافين ولم يصدقهم

مَنْ أتى كاهناً أو عرافاً فسأله ولم يصدق له ثواب عليها.
معنى أنه لا يكون له ثواب عليها.

والدليل على هذا: حديث بعض أزواج النبي ﷺ أن النبي ﷺ قال: «مَنْ أتى عرافاً فسأله عن شيءٍ، لم تُقبل له صلاةٌ أربعين ليلةً». رواه مسلم^(١).
وإذا كانت هذا الوعيد في حق السائل، فهو في حق المسؤول وهو الكاهن والعراف أسوأ وأشر وأعظم.

حكم مَنْ صدَّق الكهنة والعرافين

من أتى كاهناً أو عرافاً فسأله وصدَّقه فيما يقول فقد كفر، والدليل على ذلك: حديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مَنْ أتى كاهناً، أو عرافاً، فصَدَّقَهُ بما يقول، فقد كفر بما أنزل على مُحَمَّدٍ». رواه أحمد وأبو داود والترمذي^(٢).

(١) أخرجه مسلم في كتاب السلام، بابُ تَحْرِيمِ الْكُهَّانَةِ وَإِثْبَانِ الْكُفْهِانِ، برقم: (٢٢٣٠).

(٢) أخرجه أحمد ٣٣١/١٥ (٩٥٣٦)، و١٦٤/١٥ (٩٢٩٠)، وأبو داود في كتاب الطب، بابُ فِي الْكَاهِنِ برقم: (٣٩٠٤)، والترمذي في أبواب الطهارة، بابُ مَا جَاءَ فِي كَرَاهِيَةِ إِثْبَانِ الْحَائِضِ برقم: (١٣٥)، والنسائي في السنن الكبرى في كتاب عشرة النساء، بابُ ذِكْرِ اخْتِلَافِ أَلْفَافِ النَّاقِلِينَ لِخَبَرِ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي ذَلِكَ برقم: (٨٩٦٨)، وابن ماجه في كتاب الطهارة وسننها، بابُ النَّهْيِ عَنْ إِثْبَانِ الْحَائِضِ برقم: (٦٣٩)، وصححه الألباني في إرواء الغليل (٢٠٠٦)، وسلسلة الأحاديث الصحيحة (٣٣٨٧).

وسبب ذلك: أن في تصديقهم تكذيباً بالوحي الذي أنزله الله تعالى على رسوله ﷺ، وقد تضمن أن علم الغيب مما استأثر الله تعالى بعلمه، فمن صدقهم في دعواهم معرفة الغيب فقد كذب القرآن والسنة.

كذب الكهان وصدقهم

قد يتكهن الكاهن ويخبر العراف بأشياء فتوافق الواقع:

- فأما العراف: فتعينه الشياطين على معرفة المسروقات ونحوها.

- وأما الكاهن: فإنه قد يصيب الواقع لأسباب منها:

أ- أن يكون حادّ الذكاء، فيتفرس وقوع شيء بمقدمات يراها أو يسمعها فيقع كما قال، وينسب ذلك لمعرفته بالمغيبات.

ب- وقد يكون ذلك بسبب ما تُعلمه به الشياطين مما يكونون قد علموه من استراق السمع قبل أن تصيبهم الشُّهب.

ثم إنه يكذب مع ذلك كذبات كثيرة يتخرّصها، فيصيب فيها ويخطئ، ولكن الناس لا تكاد تحفظ أو تنقل إلا ما أصاب فيه، فتذكره وتنسى ما أخطأ فيه وهو أضعاف مضاعفة مما أصاب فيه.

قالت عائشة رضي الله عنها: سأل أناس رسول الله ﷺ عن الكهان؟ فقال لهم رسول الله ﷺ: «لَيْسُوا بِشَيْءٍ» قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنَّهُمْ يُحَدِّثُونَ أَحْيَانًا الشَّيْءَ يَكُونُ حَقًّا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تِلْكَ الْكَلِمَةُ مِنْ

الْجَنِّ يَخْطِفُهَا الْجَنِّيُّ، فَيَقْرُهَا فِي أُذُنٍ وَلِيَّهِ قَرَّ الدَّجَاجَةِ، فَيَخْلُطُونَ فِيهَا أَكْثَرَ مِنْ مِئَةِ كَذْبَةٍ». رواه مسلم^(١).

طُرُقُ تَكْلَمِ الْكُهَّانِ وَالْعَرَّافِينَ عَنِ الْمَغِيبَاتِ

من أشهر الطرق التي يتكلم بها الكهان والعرافين على المغيبات وأكثرها انتشاراً ما يلي:

١. الضربُ على الرَّمْلِ أو الخط على الرَّمْلِ، أو الطَّرْق.

وصورته: أن يخطَّ العرَّاف على الأرض أو الرَّمْلِ خطوطاً كثيرة من غير أن يحسبها، ثم يبدأ بمحو بعضها بطريقةٍ من الطرق، إما فرادى، أو زوجياً، أو بغير حساب محدد، ثم يتوقف، وينظر فيما بقي من الخطوط، ويبدأ بقراءتها، فيزعم أنها تمثل المستقبل أو الحظَّ الذي سيواجه من خطَّ له هذه الخطوط، ويستخرج منها سعادته أو نحسه، وكل هذا دجل وكذب ليس عليه برهان، وتقول في الغيب الخفي بالجهل الجلي.

٢. الضربُ بالحصى أو الودعات.

وصورته: مثل الضرب والخط على الرَّمْلِ، لكنه يكون بحصى أو ودعات، يستخرجون بها الحظَّ فيما يزعمون.

(١) أخرجه مسلم في كتاب السلام، بابُ تَحْرِيمِ الْكُهَّانَةِ وَإِثْبَانِ الْكُهَّانِ برقم: (٢٢٢٨).

٣. قراءة الكَفِّ أو قراءة أسارير الكَفِّ.

وصورته: التأمل في الخطوط الموجودة في كفِّ اليد، ثم يزعمون استخراج المغيبات منها، بالنظر في طولها وقصرها، وعرضها، وتقاطعها وتباينها، وما بينها من الفروج المتسعة والضيقة، وكل هذا من الدجل والكذب، والقول في الغيب بغير برهان.

٤. قراءة الفَنجَان.

وصورته: أن يطلب ممن يراد إظهار حظه وسعده ونحسه ومستقبله أن يشرب فنجانا من القهوة، ثم يأخذه العرَّاف أو العرافة ويسمى: (قارئ الفنجان) أو (قارئة الفنجان)^(١)، فيقلبه ويحركه، ثم ينظر فيما تكوّن فيه من خطوط ورسوم وأشكال، ويدعي أنها ترسم حظ صاحب الفنجال ومستقبله، فيدعي التأمل والنظر فيها، ثم يسخرج منها مستقبله، وما هذا إلا نوع من الدجل والضحك على السفهاء والجهال.

٥. النظرُ في البلّورة النحاسية أو الكرستال.

وصورته: أن يكون مع العرَّاف بلورة نحاسية أو كرستال، يجعلها بينه وبين من يريد معرفة حظه ومستقبله، بحيث تظهر صورته فيها، ثم يزعم أنه يتأمل في صورته الظاهرة في البلورة، ويسأله أسئلة متنوعة، ثم يزعم أنه سيكون له كذا وكذا في المستقبل.

(١) لأن أكثر من يمارسه النساء.

٦. تحضير الأرواح.

وصورته: ادّعاء شخص أنه يستدعي أرواح الموتى في الموضع الذي هو فيه، ويسألها عما يريد، وتجيبه.

فإذا أراد أشخاص مثلاً معرفة شيء عن الميت، أو معرفة شيء أخفاه الميت، ذهبوا إلى هذا الشخص ليحضّر روح مَيِّتِهِمْ، ويسألها عن هذه الأشياء، فتجيبه.

وتحضير الأرواح خرافة ودجل، وهو من أنواع السحر والكهانة، وهذه الروح التي يدّعي إحضارها ما هي إلا شيطان من الشياطين يتكلم معه ويجيبه، والشياطين تفعل هذا تلييساً على الناس وإضلالاً لهم، أو تعاوناً مع هذا الكاهن أو الساحر الذي يدّعي تحضير الأرواح، ولا تُعينه إلا وقد كفر بالله تعالى، وما تعرفه من معلومات عن الميت فعن طريق القرين الذي معه من الجن.

٧. النظر في النجوم، أو التنجيم وهذا ما سيأتي بيانه في الدرس

التالي إن شاء الله تعالى.

الدرس الرابع عشر: التَّنْجِيمُ

تعريفُ التَّنْجِيمِ

التَّنْجِيمُ لغةً: مأخوذ من النجم، مفرد النجوم المعروفة في السماء.
واصطلاحاً هو: الاستدلالُ بالأحوالِ الفلكيَّةِ، على الحوادثِ الأرضيةِ التي لم تَقَعْ.

والمعنى: أن أهل التنجيم يستدلون بحركات النجوم من طلوعها وغياها، وافتراقها واجتماعها، وأوقات ذلك على ما يقع على الأرض في المستقبل، ويزعمون أن لذلك أثراً كبيراً على الحوادث بأنواعها، من الانتصار في الحروب والهزيمة، ومن السَّعد أو النَّحس، والحياة والموت، والمرض والشفاء، وغير ذلك.

أقسام الاعتقاد في النجوم

الاعتقاد الباطل في النجوم قِسْمان:

القِسْمُ الأولُ: الاعتقاد بأن الكواكب فاعلة مختارة مؤثرة في الكون، وأن ما يحدث في الكون فهو ناتج عن إرادات النجوم، فهي التي تخلق الحوادث من خير أو شر، وحياة وموت، ومرض وشفاء.
 وهذا اعتقاد الصابئة الذين أرسل الله تعالى إليهم إبراهيم عليه السلام، وهو اعتقاد عبَّاد الكواكب في كل زمان ومكان.

حكم هذا القسم: هذا الاعتقاد كفر، لما فيه من اعتقاد شريك مع الله تعالى في الخلق والتدبير، وهذا شرك في الربوبية.

قال الله تعالى: ﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۚ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [لقمان: ١١].

القسم الثاني: الاعتقاد بأن الكواكب مخلوقة ولكن لها أثر في الحوادث الأرضية بتقدير الله ومشيئته، فيستدل بحركتها واجتماعها وافتراقها على معرفة الأمور المغيبة في المستقبل، مثل: اعتقاد أن من تزوج بنجم كذا كان كذا وكذا، ومن سافر بنجم كذا كان كذا وكذا، وهذا يقع فيه كثير ممن ينتسبون إلى الإسلام.

حكم هذا القسم: هذا الاعتقاد كفر بالله تعالى أيضاً، وهو نوع شرك في الربوبية، لأن ذلك من ادعاء علم الغيب الذي استأثر الله به، وقد قال الله تعالى: ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [النمل: ٦٥].

الكواكب والنجوم مخلوقة مسخرة لله تعالى

النجوم من مخلوقات الله تعالى المسخرة المدبرة، الكائنة بعد أن لم تكن، مسبوقة بالعدم المحض ومنتهاها للعدم، ليس لها تأثير في الكون بحركة ولا سكون لا في نفسها ولا في غيرها، لا في خير ولا في شر، ولا في سعد ولا في نحس، والقرآن الكريم مملوء ببيان ذلك: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤].

فوائد النجوم الصحيحة

للنجوم فوائد صحيحة بينها الله تعالى في كتابه الكريم، وهي ثلاث:

١- أنها زينة للسماء.

٢- أنها رجوم للشياطين.

والدليل عليهما: قوله تعالى: ﴿إِنَّا زَيْنًا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾﴾

وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ ﴿٧﴾﴾ [الصافات: ٦- ٧].

٣- أنها علامات يُهتدى بها في البرِّ والبحر.

والدليل: قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَنَّا ۖ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾

[النحل: ١٦].

وما سوى ذلك من ادعاء علم الأمور الغائبة على الناس، فهو من التكلف المحرم، والقول بغير علم، والتلبيس على الناس، وادعاء علم اختص الله تعالى به فلم يظهر عليه إلا من شاء من خاصة عباده.

أبراجُ الحظِّ

المراد بأبراج الحظِّ

الأبراجُ هي: اثنا عشر برجًا في السَّماء يعرف بها تنقُّلات الشمس على مدار السنة، وضعت لها أسماء وصور رمزية، مثل: برج الثور، و برج السرطان، و برج الأسد، و برج العقرب. وقد ربط بها المنجمون كثيرًا من أحكام الغيب، وما يحصل في الأرض والسما من حوادث، بزعمهم الفاسد. وهذا ادِّعاء باطل؛ إذا لا يعلم الغيب إلا الله تعالى، ولا علاقة لهذه الأبراج بمعرفة المغيَّبات. ثم صاروا مع ظهور الصحافة يضعون توقُّعاتِ المنجِّمين في أوقات هذه الأبراج تحت عنوان (أبراج الحظِّ).

حكم التعامل بالأبراج

التعامل بالأبراج حرام، وهو على نوعين:

النوع الأول: أن يكون كفرًا أكبر، وذلك إذا: اعتقد في هذه الأبراج دلالتها على المغيَّبات بنفسها، أو صدَّقها فيما دلت عليه من المغيَّبات، أو صدَّق المنجِّمين في دعواهم علم الغيب، لما في هذا من نسبة علم الغيب لغير الله تعالى.

النوع الثاني: أن يكون محرَّمًا وكفرًا أصغر، وذريعةً إلى الكفر الأكبر، وذلك إذا: لم يظن دلالتها على المغيَّبات بنفسها، ولكن يعتقد أنها أسباب

أو أوقات لحصول ما دلت عليه، مما يقع في هذه الأبراج وأوقاتها، أو أن يتعامل بها لمجرد التسلية واختبار هذه التوقعات.

حكم نشر الأبراج

تنشر هذه الأبراج في الصحف وعبر مواقع الشبكة العنكبوتية (الانترنت)، تحت عناوين مختلفة مثل: (حظك اليوم)، أو (حظك هذا الأسبوع)، أو (اعرف حظك)، أو (أنت والنجوم) أو نحوها من الأسماء. وهذا الفعل من أكبر المحرمات المخالفة للشرع، لما يتضمنه من إقرار للكفر بالله تعالى، والترويج له، وإيهام الجاهلين والتلبس عليهم، ونشر الضلال بينهم، فالواجب الحذر من نشر ذلك، أو تصديقه، أو قراءته حتى على وجه التسلية، ومناصحة القائمين على هذه المجلات والمواقع بتركه والابتعاد عنه.

حُسن الطَّالِعِ وسُوء الطَّالِعِ

البحث في حُسن الطَّالِعِ وسُوء الطَّالِعِ والإخبار عنهما أمر محرم، عائد إلى علم التنجيم، وبهذا ندرك خطأ ما يتكلم به بعض الناس أو يكتبونه في مقالاتهم كقولهم: (إنه لسوء الطالع حَصَلَ كذا وكذا)، هُزِمْنَا أو غُلِبْنَا أو فَشَلْنَا ونحو ذلك، أو يقول: (لحسن الطالع حَصَلَ كذا وكذا) انتصَرْنَا أو غَلِبْنَا ونحو ذلك، فينسب الفشل والنصر للطالع.

حكم تعلم علم النجوم والفلك

علمُ النجوم أو علم الفلك هو: العلم الذي يُعرف به أسماء النجوم والكواكب، وما يدور في الفلك من أحوال الكواكب والشمس والقمر، ومواقعها وأنواعها، ويستدل به على معرفة أوقات الزرع، والقبلة، وأوقات الصلاة، والكسوف والخسوف، والفصول الأربعة وغير ذلك.

حكمه: تعلم هذا العلم جائز، وقد يكون مشروعاً أحياناً؛ لما فيه من المصالح الشرعية المتنوعة، مثل: التعرف على معاني كثير من آيات القرآن الكريم المتعلقة بالفلك، وتعلم دلائل القبلة، والتفكير في هذا الكون العظيم، ونحو ذلك.

حكم نسبة نزول المطر إلى النجوم أو الاستسقاء بالنجوم

نسبة نزول المطر إلى النجوم أو الاستسقاء بالنجوم على نوعين:

الأول: أن يعتقد أن النجوم هي التي تنزل المطر، فينسب ذلك لها على أنها هي الفاعلة له، أو يطلب من النجوم إنزال المطر.

حكمه: هذا كفر؛ لأن نسبته إليها شرك في الربوبية، وسؤالها شرك في الألوهية.

الثاني: أن يعتقد أن الله تعالى هو الذي يخلق المطر ويترله، ولكن يعتقد أن النجوم سبب في ذلك، فينسب نزول المطر لها على أنها سبب نزوله.

حكمه: هذا شرك أصغر؛ لأنه نسب نعمة الله إلى غيره؛ فإن الله لم يجعل النوء سبباً لإنزال المطر.

والدليل على ما تقدم:

حديثُ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ رضي الله عنه قَالَ: صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْيَةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلَةِ ^(١)، فَلَمَّا انْصَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: «هَلْ تَذَرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟»، قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطَرَّنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: بِنَوْءٍ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ». متفق عليه ^(٢).

الدعاء الذي يقال عند نزول المطر:

١. قول: (اللَّهُمَّ صَيِّبًا نَافِعًا) ^(٣)، يكرر ذلك ثلاث مرَّات ^(٤)، ومعناه: اللَّهُمَّ اجعله مطرًا نافعًا.
٢. قول: (مُطَرَّنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ) ، وهذا شكر الله تعالى على نعمته، واعتراف له بأنه هو المنعم وحده لا شريك له.

(١) أي: عقب مطرٍ كان في تلك الليلة، سماه بذلك لكونه يتزل من جهة السماء.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الاستسقاء، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكَذِّبُونَ)، برقم: (٩٩١)، ومسلم في كتاب الإيمان، بَابُ بَيَانِ كُفْرٍ مِنْ قَالَ مُطَرَّنَا بِالنَّوْءِ برقم: (٧١).

(٣) أخرجه أحمد ٤١/٦، والبخاري في كتاب الاستسقاء، بَابُ مَا يُقَالُ إِذَا أَمْطَرَتْ، برقم: (٩٨٥)، وليس في البخاري: «اللَّهُمَّ».

(٤) تكرار الدعاء أخرجه ابن ماجه في كتاب الدعاء، بَابُ مَا يَدْعُو بِهِ الرَّجُلُ إِذَا رَأَى السَّحَابَ وَالْمَطَرَ، برقم: (٣٨٨٩)، ولفظه: «أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ ذَلِكَ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً»، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، برقم: (٣١٣٧).

الدرس الخامس عشر: الاستهزاء بالدين

المراد بالاستهزاء بالدين

الاستهزاء مأخوذ من الهُزء، وهو: السُّخْريةُ.

والمراد به هنا: السُّخْريةُ بالله تعالى، أو برسوله ﷺ، أو بدين الإسلام، أو بشيءٍ من شعائره، أو بالمؤمنين بسبب إيمانهم.

حكم الاستهزاء بالدين

الاستهزاء بالدين كفرٌ أكبرٌ مخرجٌ من ملة الإسلام.

والدليل على هذا: قول الله تعالى: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا بِإِيتِ اللَّهِ مُحْجَرٌ مَّا تَحْذَرُونَ ٦٤﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ٦٥﴾ لَا تَعْذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعَفَ عَنْ طَآئِفَةٍ مِّنْكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ [التوبة: ٦٤ - ٦٦].

سبب كفر من استهزأ بالدين

يكفر من استهزأ بالدين لأسباب منها:

١. استهانت به بالله تعالى ونبيه ﷺ وشريعته.
٢. أنه لم يقيم في قلبه تعظيم الله تعالى ولا نبيه ﷺ ولا شريعته.
٣. أن هذا يدل على أنه ليس في قلبه شيء من الإيمان.
٤. أنه يدل على بغض الله تعالى ونبيه ﷺ ودينه، وهذا من أظهر علامات النفاق.

صور الاستهزاء بالدين

١. السُّخْرِيَّةُ بالله تعالى، مثل: وصف اليهود له بأن يده مغلولة، ووصف النصارى بأن له صاحبة وولدا، وقول المشركين بأن الملائكة بنات الله.
٢. السُّخْرِيَّةُ بالنبي ﷺ، مثل: تنقُص بعض المنافقين المعاصرين للنبي ﷺ بكثرة زوجاته، أو اتهام أحاديثه ﷺ بالشدة أو الجفاء أو الوحشية.
٣. السُّخْرِيَّةُ بدين الإسلام، مثل: وصفه بالرَّجعية والتخلف، أو أنه لا يصلح لهذا الزمان، أو لا يناسب التطور والمدنية الحديثة، أو أنه يولّد الإرهاب والتشدد، أو أن فيه وحشية، وسواء سخر بجميع شرع الله عزّ وجلّ، أو سخر بجزء منه.

٤. السُّخْرِيَّةُ بشعائر الدين، مثل: الأذان، أو الصلاة، أو الحج،

أو بحجاب المرأة أو بإطلاق اللحية، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا

نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (٥٨)

[المائدة: ٥٨].

٥. السُّخْرِيَّةُ بذكر الله تعالى وكتابه الكريم، مثل: رمي

المصحف في القاذورات، أو اتهمه بتخلف تشريعاته، أو أنها

لا تناسب هذا العصر.

الاستهزاء بالدين وأهله من صفات المنافقين

الاستهزاء بالدين وأهله من صفات المنافقين كما أخبر الله تعالى عنهم

بقوله جل وعلا: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ

السُّفَهَاءُ ۚ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٣) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا

ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّمَا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ (١٤) اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ

بِهِمْ وَيُكَذِّبُ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (١٥) [البقرة: ١٣ - ١٥].

من صور من استهزاء المنافقين بالنبي ﷺ وأصحابه

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رجل في غزوة تبوك في مجلس:

مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قُرَّائِنَا هَؤُلَاءِ، أَرْغَبَ بَطُونًا، وَلَا أَكْذَبَ أَلْسِنًا، وَلَا أَجْبَنَ عِنْدَ

الَلِّقَاءِ! فَقَالَ رَجُلٌ فِي الْمَجْلِسِ: كَذِبْتَ، وَلَكِنَّكَ مُنَافِقٌ! لِأَخْبَرَ رَسُولَ اللَّهِ

ﷺ، فبلغ ذلك النبي ﷺ ونزل القرآن. قال عبد الله بن عمر: فأنا رأيته متعلقاً بحقب ناقه رسول الله ﷺ تنكبه الحجارة، وهو يقول: يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونلعب! ورسول الله ﷺ يقول: ﴿قُلْ أَبِاللهِ وَعِآئِنِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٦٥) لَا تَعْذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴿٦٤﴾ [التوبة: ٦٤ - ٦٦] (١).

حكم السخرية بأصحاب النبي ﷺ

يحرم السخرية بأصحاب النبي ﷺ، فهم صفوة هذه الأمة وخيرها بعد نبيها ﷺ، وهم الذين بلغوا هذه الشريعة ونشروها بين الناس، ودعوا إليها، وجاهدوا في ذلك مع رسول الله ﷺ وبعده، وفتحوا الأمصار، وبينوا هذا الدين لمن بعدهم، فكل خير واصل للأمة فعن طريقهم، وكل خير فعله واحد من هذه الأمة إلى يوم القيامة فهو في ميزان حسناتهم ﷺ. فكان الواجب على كل مسلم محبتهم وتقديرهم واحترامهم، وكانت السخرية بهم أو بواحد منهم معصية كبيرة، وإثم عظيم قد يؤدي بصاحبه إلى الكفر.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ٣٣٣/١٤، وابن أبي حاتم في تفسيره ١٨٢٩/٦، وقال العلامة أحمد شاكر في تحقيق الطبري: إسناده صحيح.

السُّخْرِيَّةُ بِعِلْمَاءِ الْإِسْلَامِ وَالِدُّعَاةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَالصَّالِحِينَ

الاستهزاءُ بالعلماء والصالحين والدعاة إلى الله تعالى محرَّم، وهو

نوعان:

النوع الأول: أن يستهزئَ بهم من أجلِ إيمانهم، وتمسُّكهم بالدين، وحملهم له، مثل: أن يقال: هؤلاء رجعيون، أو هؤلاء متخلفون، أو ضالون.

حكمه: هذا النوع كُفْرٌ، لأنه من جنس استهزاء المنافقين بأصحاب

النبي ﷺ.

ومما يدل على ذلك أيضا: قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا

مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ۚ (٢٩) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ۚ (٣٠) وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ

أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ۚ (٣١) وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُونَ ۚ (٣٢) وَمَا أَرْسَلُوا

عَلَيْهِمْ حَفِظِينَ ۚ (٣٣) فَأَلْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ۚ (٣٤) عَلَى الْأَرَائِكِ

يَنْظُرُونَ ۚ (٣٥) هَلْ تُؤِيبُ الْكَفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ۚ (٣٦) [المطففين: ٢٩ - ٣٦].

النوع الثاني: أن لا يستهزئَ بهم من أجلِ ما هم عليه من الدين، بل

من أجل ذواتهم، كأن يقول: فلان لا يفهم، أو يقلده في مشيته أو في

طريقة كلامه ساخرًا.

حكمه: هذا النوع محرَّم وكبيرة من الكبائر، وهو داخل في معادة

أولياء الله تعالى.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ» رواه البخاري^(١).

الاستهزاء بالمؤمنين

السُّخْرِيَّةُ بالمسلمين محرمة.

والدليل على ذلك: قول الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُونَ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نَسَاءٌ مِنْ نِسَاءِ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١].

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب التواضع، برقم: (٦١٣٧).



الفهارس



الحَقِيْلَة الْإِسْلَامِيَّة



المستوى الرابع

كتبه

عبد الرحمن بن فهد الودعان الدوسري

امام وخطيب جامع المديحيم بالحراء - الرياض



مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله وحده، وصلى الله على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

فهذا كتاب (العقيدة الإسلامية) على منهج أهل السنة والجماعة، ذكرت فيه مجمل اعتقاد أهل السنة والجماعة في عامة مسائل العقيدة المتعلقة بأركان الإيمان الستة، مبتدئاً بذكر مراتب الدين الثلاث، ثم تفصيل ما يتعلق بأركان الإيمان الستة.

وقد قسّمت الكتاب إلى أربع مستويات، كل مستوى يشمل خمسة عشر درساً، بحسب ما رآه الإخوة في مكتب الدعوة بالروضة، ليكون أيسر للدارسين، وأنفع لهم بإذن الله تعالى.

المستوى الأول: ويتضمن الكلام على مراتب الدين الثلاث إجمالاً، ثم الكلام على الركن الأول منها (الإيمان بالله تعالى) تفصيلاً، وأهمية التوحيد وفضائله، وما يضاده من الشرك.

المستوى الثاني: ويتضمن الكلام على بقية ما يتعلق بالركن الأول، ببيان أسباب الشرك، وأهم العبادات التي وقع فيها الشرك بالله تعالى، وشبهات القبوريين.

المستوى الثالث: ويتضمن الكلام على بقية ما يتعلق بالركن الأول، ببيان تعظيم الله سبحانه وتعالى، وبعض ما يضاد ذلك من أقوال وأفعال.

المستوى الرابع: ويتضمن الكلام على بقية أركان الإيمان الستة
تفصيلاً، ونواقض الإسلام.

وختاماً أسأل الله تعالى أن يجعله كتاباً نافعا مباركاً، وأن يرزقني
الإخلاص فيه، ويثيبني عليه، وأن يعاملني بلطفه ورحمته وكرمه، ويجزل لي
عطاءه، ويعفو عما قد يكون فيه من الزلل والتقصير، وأن يغفر لنا ولوالدينا
ووالديهم، وإخواننا وأخواتنا وأزواجنا وذرياتنا، ولجميع شيوخنا وأساتذتنا
وتلاميذنا وعلمائنا وأحببتنا، وأن يجعل الفردوس مأوانا جميعاً، كما أسأله
جلّ وعلا أن يغفر للمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم
والأموات... آمين، إنه أرحم الراحمين.

وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين !!!

كتبه الفقير إلى الله تعالى

عبد الرحمن بن فهد الودعان الدوسري

awadaan@gmail.com

الدرس الأول: الركن الثاني^(١): الإيمان بالملائكة

المراد بالملائكة

الملائكة عالم غيبي عظيم، عددهم كثير، مسكنهم السموات، ويتزلون إلى الأرض بأمر الله، خلقهم الله من نور، بأشكال مختلفة، وكلّهم بأعمال وعبادات عظيمة، ومنحهم الانقياد التام لأمره، والقوة على تنفيذه، فهم لا يفترون عن عبادته، ولا يعصونه ما أمرهم.

الدليل على الإيمان بالملائكة:

١. قول الله تعالى: ﴿ءَاْمَنَ الرَّسُوْلُ بِمَا اُنْزِلَ اِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ؕ وَالْمُوْمِنُوْنَ كُلُّ ؕءَاْمَنَ بِاللّٰهِ وَمَلٰٓئِكَتِهٖ وَكُتُبِهٖ وَرُسُلِهٖ ؕ لَا يَفْرِقُ بَيْنَ اَحَدٍ مِّنْ رُّسُلِهٖ ؕ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَاَطَعْنَا ؕ غُفْرٰنَكَ رَبَّنَا وَلِئِكَ الْمَصِيْرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة: ٢٨٥].

٢. قول الله تعالى: ﴿يٰۤاَيُّهَا الَّذِيْنَ ءَاْمَنُوْا ؕ اٰمِنُوْا بِاللّٰهِ وَرُسُوْلِهٖ ۚ وَٱلْكِتٰبِ الَّذِيْ نَزَّلَ عَلٰى رُسُوْلِهٖ ۚ وَٱلَّذِيْ اُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللّٰهِ وَمَلٰٓئِكَتِهٖ وَكُتُبِهٖ وَرُسُلِهٖ ۚ وَٱلْيَوْمِ ٱلْاٰخِرِ فَقَدْ

(١) من أركان الإيمان، وتقدم الركن الأول (الإيمان بالله تعالى) بتفاصيل أحكامه في المستويات الثلاث السابقة.

صَلَّ صَلَاتًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ [النساء: ١٣٦].

٣. حديثُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي حَدِيثِ جَبْرِيلَ أَنَّهُ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الْإِيمَانِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، قَالَ: صَدَقْتَ. رواه مسلم^(١).

٤. حديثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي حَدِيثِ جَبْرِيلَ أَنَّهُ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الْإِيمَانِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَلِقَائِهِ، وَرُسُلِهِ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ كُلِّهِ». متفق عليه، وهذا لفظ مسلم^(٢).

مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خُلِقَ الْمَلَائِكَةُ؟

خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى الْمَلَائِكَةَ مِنْ نُورٍ، وَلَمْ يَرِدْ فِي النُّصُوصِ بَيَانُ حَقِيقَةِ هَذَا النُّورِ فَاللَّهُ أَعْلَمُ بِهِ، فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِنْ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ». رواه مسلم^(٣).

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب بَيَانِ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ وَالْإِحْسَانِ، برقم: (٨).

(٢) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب سُؤَالِ جَبْرِيلَ النَّبِيِّ ﷺ عَنِ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ وَالْإِحْسَانِ، برقم: (٥٠)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بَيَانِ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ وَالْإِحْسَانِ ٣٩/١، وهذا لفظه، وليس في البخاري ذكر: الكتاب، ولا القدر.

(٣) رواه مسلم في كتاب الزهد والرقائق، بابٌ فِي أَحَادِيثَ مُتَّفَرِّقَةٍ، برقم: (٢٩٩٦).

وقت خلق الملائكة

خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى الْمَلَائِكَةَ قَبْلَ خَلْقِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذَا:

١. قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠].

والمراد بالخليفة آدم عليه السلام، فأخبرهم بخلقه قبل أن يخلقه عليه السلام، فدل على أنهم مخلوقون قبله.

٢. قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ، سَاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩].

حيث أمرهم الله تعالى بالسجود له حين خلقه، فدل على أنهم مخلوقون قبله عليه السلام.

عَظَمُ خَلْقِهِمْ وَقُوَّتِهِمْ

مَنَحَ اللَّهُ تَعَالَى الْمَلَائِكَةَ قُوَّةً كَبِيرَةً، وَعَظَمَةً فِي الْخَلْقِ، فَمِنْ ذَلِكَ:

١. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: «إِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى جِبْرِيلَ [فِي صُورَتِهِ] لَهُ سِتُّ مِائَةِ جَنَاحٍ». متفق عليه^(١).

(١) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن، سورة النجم، بَابُ قَوْلِهِ: (فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى)، برقم: (٤٥٧٦)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب: (وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى) برقم: (١٧٤)، والزيادة بين معقوفين من روايته.

وفي رواية: «رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَبْرِيلَ فِي حُلَّةٍ مِنْ يَاقُوتٍ،
قَدْ مَلَأَ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ»^(١).

٢. عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أُذِنَ لِي أَنْ
أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ، إِنَّ مَا بَيْنَ
شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِ مِئَةِ عَامٍ». رواه أبو
داود^(٢).

الملائكة عبادُ الله تعالى

الملائكة عباد طائعون لله تعالى، ينفذون أوامره، ولا يعصونه طرفة
عينٍ، ويجتهدون في عبادته من غير فتورٍ ولا مللٍ، وليس لهم من خصائص
الرُّبُوبِيَّةِ والأُلُوْهِيَّةِ شيءٌ:

١. قال الله تعالى: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا
يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾^(١٩) يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ
وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ [الأنبياء: ١٩ - ٢٠].

(١) صحيح ابن حبان ٢٥٦/١ (٥٩).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب السنة، باب في الجَهْمِيَّةِ برقم: (٤٧٢٧)، والبيهقي في الأسماء
والصفات ٢/٢٨٤ (٨٤٦)، والطبراني في المعجم الأوسط ١٩٩/٢ (١٧٠٩)، قال ابن كثير
(التفسير ٤/٤١٥): إسناده جيد رجاله كلهم ثقات، وقال ابن حجر (فتح الباري ٨/٦٦٥):
إسناده على شرط الصحيح.

٢. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ

وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦].

كثرة الملائكة عليهم السلام

الملائكة كثيرون جداً لا يُحصى عددهم إلا الله جل وعلا، وقد دل على ذلك أدلة كثيرة، من أشهرها: حديث مالك بن صعصعة رضي الله عنه في قصة الإسراء أن النبي ﷺ قال: «فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ السَّابِعَةَ، قِيلَ مَنْ هَذَا؟ قِيلَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قِيلَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ، مَرْحَبًا بِهِ، وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَأَتَيْتُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ ابْنِ وَنَبِيِّ، فَرَفَعَ لِي الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ، فَقَالَ: هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ يُصَلِّي فِيهِ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ». متفق عليه^(١).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: استدل به على أن الملائكة أكثر المخلوقات؛ لأنه لا يُعرف من جميع العوالم من يتجدد من جنسه في كل يوم سبعمائة ألفاً غير ما ثبت عن الملائكة في هذا الخبر^(٢).

(١) رواه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، برقم: (٣٠٣٥)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات، وفرض الصلوات، برقم: (١٦٤)، وليس في مسلم ذكر الصلاة.

(٢) فتح الباري ٢١٥/٧.

أهم عبادات الملائكة ووظائفهم

للملائكة الكرام وظائف كثيرة استعملهم الله تعالى عليها، منها:

١. أنهم رُسُلُ الله تعالى إلى خلقه، يترلون بالوحي على الأنبياء عليهم السلام، ولقبض الأرواح، ولإنزال المطر، وغير ذلك، قال الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِئَةِ رُسُلًا أُولَى أَجْنَحَةٍ مَّتَنَّى وَثَلَّثَ وَرَبَعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر: ١].
٢. تسبيحُ الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿وَتَرَى الْمَلَكِئَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمُ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الزمر: ٧٥].
٣. الاستغفارُ للمؤمنين، قال الله تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ^٤ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ^٥ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الشورى: ٥].

الدرسُ الثاني: صفةُ الإيمانِ بالملائكةِ

مَا يَتَضَمَّنُهُ الْإِيمَانُ بِالْمَلَائِكَةِ
يَتَضَمَّنُ الْإِيمَانُ بِالْمَلَائِكَةِ مَا يَلِي:
أولاً: الإيمانُ المَجْمَلُ.
ويَتَضَمَّنُ ما يَلِي:

١. الإيمانُ بوجودِهِم، فهم من عالمِ الغيبِ الذي أخبرنا الله تعالى عنه ورسوله ﷺ، فيجب علينا الإيمانُ بوجودِهِم وإن لم نَرَهُم.

٢. الإيمانُ بأنهم مخلوقون مَرَبوبون لله عز وجل، فليس لهم من خصائص الرُّبُوبِيَّةِ والأُلُوهِيَّةِ شيءٌ.

ثانياً: الإيمانُ المَفصَّلُ.

ويَتَضَمَّنُ الإيمانُ بكل ما علِمناه عنهم مما ثبت في الكتاب والسنة فيما يتعلق بهم على وجه التفصيل، وبيان ذلك فيما يلي:

أولاً: الإيمانُ بمن سُمِّيَ لنا منهم باسمِهِ، أو ذُكِرَ بوصفه الخاص مما جاء في الكتاب والسنة الصحيحة، ومن ذلك:

١. جبريلُ: وهو كبير الملائكة، والموكل بتبليغ الوحي.

٢. ميكائيلُ: وهو الموكلُ بالمَطَرِ والنَّبَاتِ.

٣. إسرَافيلُ: وهو نافخ الصور.

٤. مالكُ: وهو خازن النار.

٥. مَلَكُ الموت، ولم يثبت تسميته عزرائيل.

٦. مَلَكُ الجبال.

ثانيًا: الإيمانُ بما ورد في الكتاب والسنة مِنْ صِفَاتِهِمْ عَلَى وَجْهِ
الخصوص أو على وجه العموم، وَمِنْ ذَلِكَ:

١. الإيمانُ بِصِفَاتِهِمْ عَلَى وَجْهِ الْخصوصِ، وَمِنْ ذَلِكَ:

أ- وصفُ جبريل عليه السلام بأن له ستُّ مئة جناحٍ.

ب- عِظَمُ خَلْقِ جبريل عليه السلام حيث رآه النبي ﷺ قد
سَدَّ الأفق.

٢. الإيمانُ بِصِفَاتِهِمْ عَلَى وَجْهِ العمومِ، وَمِنْ ذَلِكَ:

أ- خَلَقَهُمْ مِنْ نور.

ب- عبادتهم الله تعالى دون ملل ولا فتور.

ت- أنهم لا يعصون الله ما أمرهم.

ث- أنهم ذووا أجنحة، فمنهم مَنْ له جناحان، ومنهم مَنْ

له ثلاثة أجنحة، ومنهم مَنْ له أربعة، ومنهم مَنْ له

أكثر مِنْ ذَلِكَ، قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَى أَجْنَحَةٍ مِّنْهُنَّ وَثَلَاثَ وَرُبْعَ

يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾

[فاطر: ١]

ج- أنهم رُسُلُ الله تعالى، فهو جلَّ وعلا يُرْسِلُهُمْ متى

يشاء، إلى ما يشاء، فمنهم الرُّسُلُ بالوحي إلى الأنبياء عليهم السلام، ومنهم الرُّسُلُ بتبشير المؤمنين عند الموت، ومنهم الرُّسُلُ بالعذاب، ومنهم الرُّسُلُ لقبض الأرواح.

ثالثاً: الإيمان بما ورد في الكتاب والسنة من ذكر أعمالهم وأخبارهم على وجه الخصوص أو على وجه العموم، ومن ذلك:

١. الإيمان بأعمالهم على وجه الخصوص:

أ- تولي جبريل إنزال الوحي إلى النبي ﷺ، ومدارسته القرآن معه في كل رمضان.

ب- تصوّر جبريل على صورة دحية الكلبي ﷺ.

ت- الإخبار عن إسرائيل بأنه قد التّم الصُّور، حتى يؤذن له بالنفخ فيه.

٢. الإيمان بأعمالهم على وجه العموم:

أ- حملهم عرش الرحمن.

ب- نزولهم لنصرة المسلمين في عدّة غزوات، منها: غزوة بدر، وغزوة الأحزاب.

ت- حضورهم مجالس الذكر.

ث- كتابتهم أعمال بني آدم.

ج- حضورهم خطبة الجمعة.

ح- كثرة تسبيحهم.

- خ- استغفارهم للمؤمنين.
- د- شفاعتهم للمؤمنين يوم القيامة.
- ذ- حفظهم لبني آدم.
- ر- قبض أرواح بني آدم.

الدرس الثالث: الركن الثالث: الإيمان بالكتب

المراد بالكتب

الكتب هي: ما أنزله الله على رسله من الكتب، رحمة لعباده، وهداية لهم.

وتسمى: الكتب السماوية.

الدليل على الإيمان بالكتب:

١. قول الله تعالى: ﴿ءَاْمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ۚ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَاْمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ۚ لَا تَفْرِقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۚ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

٢. قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَاْمَنُوا ءَاْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ ۚ وَالْكِتَابِ الَّذِي أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ ۚ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ۚ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ۚ﴾ [النساء: ١٣٦].

٣. حديثُ عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديث جبريل أنه سأل النبي ﷺ عن الإيمان، فقال رسول الله ﷺ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ،

وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ
وَشَرِّهِ»، قال: صدقت. رواه مسلم^(١).

مَا يَتَضَمَّنُهُ الْإِيمَانُ بِالْكِتَابِ
يَتَضَمَّنُ الْإِيمَانُ بِالْكِتَابِ مَا يَلِي:
أولاً: الإيمانُ المَجْمُلُ.
ويَتَضَمَّنُ ما يلي:

١. الإيمانُ بأن الله تعالى قد أنزل كتباً على أنبيائه ورُسُلِهِ عليهم
الصلاة والسلام.

٢. الإيمانُ بأن هذه الكتب كلام الله تعالى الذي أوحاه إلى
رُسُلِهِ عليهم السلام.

٣. الإيمانُ بأن هذه الكتب اشتملت على الخير والهداية للعباد،
بما فيها من التوحيد، والشرائع، والمواعظ وغيرها.

ثانياً: الإيمانُ المفصَّلُ.

ويَتَضَمَّنُ ما يلي:

١. الإيمانُ بما عَلِمْنَا اسْمَهُ منها، وهي خمسةُ كُتُبٍ:

أ- القرآن الكريم، وهو الكتابُ الذي أنزله الله تعالى على

محمد ﷺ.

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب بَيَانِ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ وَالْإِحْسَانِ، برقم: (٨).

ب- التوراة، وهو كتابُ موسى عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: ٤٤].

ت- الإنجيل، وهو كتابُ عيسى عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٤٦].

ث- الزبور، وهو كتابُ داود عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [الإسراء: ٥٥].

ج- صُحُفُ إبراهيم عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ﴾ [١٨] صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ [١٩] [الأعلى: ١٨ - ١٩].

٢. التَّصْدِيقُ بما صحَّ من أخبارها مما أخبر به الله تعالى في كتابه، أو أخبر به رسول الله ﷺ مما ثبت في الأحاديث الصحيحة.

٣. أن الله تعالى لم يكتب البقاء للكتب السابقة؛ لأنها جاءت لفتراتٍ زمنيةٍ محدَّدةٍ، بخلاف القرآن الكريم فهو كتاب الله

تعالى الباقي إلى قبيل يوم القيامة^(١)، ولأجل هذا فإن الله تعالى لم يتولَّ حفظَ الكتب السابقة بل وَكَّلَ حفظَها إلى أصحابها، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ [المائدة: ٤٤].
 فلهذا ضاع أكثرها فلم يبقَ له أثر، وما بقي منها فقد دخله التحريف والتبديل والتغيير، فلا يوثق بما فيه.

قال الله تعالى: ﴿أَفَنظَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥].

خصائص القرآن الكريم:

١. القرآن الكريم ناسخٌ لجميع الكتب السابقة، فلا يجوز العمل بأي حكمٍ من أحكام الكتب السابقة إلا ما أقرَّه القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]، والمعنى: أنه شامل لما فيها وزائد عليها، وشاهد وحاكم عليها، فما

(١) وقبل يوم القيامة يرفع القرآن الكريم فلا يبقى منه شيء، ينظر: سن ابن ماجه في كتاب الفتن، باب ذهاب القرآن والعلم، برقم: (٤٠٤٩)، ولوامع الأنوار البهية ١٣١/٢، وإتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشرط الساعة ٢١٤/٣.

وافقه مما فيها فهو حق، وما خالفه فهو إما منسوخ أو باطل باعتبارِه محرِّفاً، وهو حافظٌ لِمَا فيها من أصول الشرائع، وعالٍ عليها وغالب، وناسخٌ لغير المحكَّم فيها، فهو أكمل الكتب السماوية وخاتَمُها^(١).

٢. أنه محفوظٌ من التحريف والضياع، والزيادة والنقصان، وذلك لأن الله تعالى تولَّى حفظه بنفسه، فقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

٣. أنه المعجزة الكبرى للرسول ﷺ، قال ﷺ: «مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٍّ إِلَّا أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَتْهُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ». متفق عليه^(٢).

٤. عَجَزُ الْبَشَرِ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ، قال الله تعالى: ﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

(١) ينظر: تفسير ابن كثير، وتفسير الشوكاني، والسعدي (عند تفسير الآية ٤٨ من سورة المائدة).

(٢) رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي، وأوّل ما نزل، رقم (٤٩٨١)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة النبي محمد ﷺ ونسخ الملل بملته، برقم: (١٥٢).

الدرس الرابع:

الركن الرابع: الإيمان بالرسل عليهم السلام

تعريف الأنبياء والرسل عليهم السلام

الأنبياء والرسل عليهم السلام هم: الرجال الذين يبعثهم الله تعالى بوحيه إلى الناس، ليبلغوهم مراد الله منهم، ويدعوهم إلى طاعته وعبادته وحده لا شريك له، ونبذ الإشراك به، وترك معصيته.

الفرق بين النبي والرسول

بين الرسول والنبي فروق أهمها:

١. أن هناك أنبياء ليسوا رؤساء، ولكن ليس هناك رسول ليس نبياً، وذلك لأن النبوة مرحلة سابقة للرسالة، فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسول.
٢. أن الرسول أعلى درجة من النبي.
٣. أن النبي: مَنْ أُوحِيَ إِلَيْهِ لِيَعْمَلَ بِشَرَعٍ مِّن قَبْلِهِ، وَيَحْكَمَ بِهِ، وَالرَّسُولُ: مَنْ أُوحِيَ إِلَيْهِ بِشَرَعٍ جَدِيدٍ، وَأُرْسِلَ إِلَى قَوْمٍ مُّكَذِّبِينَ، لِيُبَلِّغَهُمْ رِسَالَاتَ اللَّهِ.

ما يتضمنه الإيمان بالرسل عليهم السلام

يَتَضَمَّنُ الْإِيمَانُ بِالرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مَا يَلِي:
أولاً: الإيمان المجمل

وَيَتَضَمَّنُ مَا يَلِي:

١. الإِيمانُ بأنَّ اللهَ تعالى أَرْسَلَ رُسُلًا إلى جميعِ الأممِ، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].
٢. الإِيمانُ بجميعِ الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، من غير تفریق في الإِيمان بينهم، فلا نُؤْمِن ببعضٍ ونُكْفِر ببعضٍ.
٣. الإِيمانُ بأنَّ الرُّسُلَ عليهم السلام هم صفوةُ البشر وخيارُهم وأفضلُهم.
٤. الإِيمانُ بأنَّ الرُّسُلَ عليهم السلام بشرٌ مخلوقون، ليس لهم من خصائصِ الرُّبوبيَّةِ أو الألوهيَّةِ شيءٌ.
٥. الإِيمانُ بأنَّ رسالتهم حقٌّ من الله تعالى.
٦. الإِيمانُ بأنَّ اللهَ تعالى أَرْسَلَهُمْ مبشِّرينَ ومنذرينَ، وأنهم بُعِثُوا لهدايةِ الناسِ إلى الله تعالى، ودلاليتهم إلى ما يحبه ويرضاه، وتحذيرهم مما يسخطه ويأباه.
٧. الإِيمانُ بأنَّ شرائعهم جميعًا قد نُسخَتْ بشريعةِ محمدٍ ﷺ، وأنه لا يجوز لأحدٍ أن يتعبدَ لله تعالى بشريعةِ أحدٍ من الأنبياء السابقين عليهم السلام بعد بعثةِ محمدٍ ﷺ.

ثانيًا: الإِيمانُ المفصَّلُ

وَيَتَضَمَّنُ مَا يَلِي:

١. الإِيمانُ بأنَّ أوَّلَ الرُّسُلِ نُوحٌ عليه السلام، وآخرهم محمدٌ

ﷺ، وآدم عليه السلام نبي من الأنبياء.

٢. الإيمان بمن عَلِمْنَا اسْمَهُ منهم، مثل: محمد وإبراهيم وموسى وعيسى ونوح عليهم الصلاة والسلام، وهؤلاء الخمسة هم أولو العزم من الرسل عليهم الصلاة والسلام، وسيأتي ذكر أسماء الرسل المذكورين في القرآن إن شاء الله تعالى.
٣. التصديق بما صحَّ من أخبارهم، مما ذكره الله في كتابه الكريم، أو صحَّ به الخبر عن سيد المرسلين محمد ﷺ.

مهمة الرُّسل عليهم السلام والحكمة من بعثهم

الأنبياء عليهم السلام هم الهداة إلى الله تعالى، وهم المبلِّغون لشرعه ودينه، فالناس لا يمكنهم الوصول إلى عبادة الله تعالى العبادة الصحيحة إلا عن طريق أنبيائه ورسله عليهم السلام، فمن اتبعهم أفلح وأنجح، ومن تنكَّب طريقهم ضلَّ وخاب وخسر.

وإنما أرسل الله تعالى جميع الأنبياء عليهم السلام لحكم عظيمة تتلخص فيما يلي:

١. الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وترك عبادة ما سواه من الآلهة أيًّا مَّا كانت، وهذا هو ما يسمى بـ (توحيد العبادة)، أو (توحيد الألوهية)، وهذا هو حق الله تعالى على جميع عباده، والأدلة على ذلك كثيرة منها:

أ- قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا

أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الصَّلَاطِغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

ب- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩].

ت- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلِإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [هود: ٥٠].

وهذه هي المهمة الأساسية والرئيسية لإرسال الرسل عليهم السلام، وما بعدها من الحكم تابع لها.

٢. الرسلُ عليهم السلام حجة الله تعالى على الخلق، حتى لا يكون للضالين الجاحدين حجة على الله تعالى أنه لم يرسل لهم مَنْ يدعوهم إلى عبادته، قال الله تعالى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِّئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥].

٣. بيانُ ما يريده الله تعالى من خلقه، وتوضيح الطريق لمن يريد عبادة الله تعالى، فحاجةُ الناس إليهم أعظم حاجة، لأنهم لا وصول لهم إلى الله تعالى، وإلى رضاه وجنته إلا عن طريق الرسل عليهم السلام، وبدون الأنبياء عليهم السلام فإن الناس لا يمكنهم أن يعبدوا الله تعالى العبادة الصحيحة، وما ينتشر الشرك والبدع والخرافات في أي مجتمع إلا بسبب التنكُّب عن طريق الأنبياء عليهم السلام وهدايتهم.

٤. تبشيرُ مَنْ أطاع الله تعالى، وإنذارُ مَنْ عصاه، فيبشرون مَنْ

أطاعه بالجنة، وينذرون مَنْ عصاه بالنار، قال الله تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٤٨) [الأنعام: ٤٨].

النبوة والرسالة اصطفاً من الله تعالى

النبوة والرسالة اصطفاً واختياراً من الله تعالى؛ لا يمكن أن تنال بالرياضة الروحية، ولا بالتربية، ولا بغير ذلك، وقد انقطعت بعد رسول الله ﷺ، والأدلة على ذلك كثيرة منها: قول الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (٧٥) [الحج: ٧٥].

الأنبياء والرسل عليهم السلام هم صفوة الناس وأفضلهم:

الأنبياء والرسل عليهم السلام هم أفضل الناس، وسادة البشر، فلا أحد أفضل من أنبياء الله ورسله عليهم السلام، والأدلة على هذا كثيرة منها: قول الله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ (٤٥) [إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ (٤٦) وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ (٤٧)﴾ [ص: ٤٥ - ٤٧].

الدرس الخامس:

الأنبياء والرسل المعروفون بأسمائهم عليهم السلام

تمهيد

الأنبياء والرسل عليهم السلام كثيرون، منهم من ذكره الله تعالى ومنهم من لم يذكره، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨]، وفيما يلي إن شاء الله تعالى بيان الأنبياء المذكورين بأسمائهم في القرآن الكريم.

الأنبياء المذكورون في القرآن الكريم

الأنبياء الوارد ذكرهم في القرآن الكريم بأسمائهم خمسة وعشرون نبياً عليهم الصلاة والسلام، وهم:

- | | | | | |
|------------------|---------------|--------------------|----------------|-------------------|
| ١. إِبْرَاهِيمُ. | ٢. إِسْحَاقُ. | ٣. يَعْقُوبُ. | ٤. نُوحُ. | ٥. دَاوُدُ. |
| ٦. سُلَيْمَانُ. | ٧. أَيُّوبُ. | ٨. يُوسُفُ. | ٩. مُوسَى. | ١٠. هَارُونُ. |
| ١١. زَكَرِيَّا. | ١٢. يَحْيَى. | ١٣. عِيسَى. | ١٤. إِيْلَاسُ. | ١٥. إِسْمَاعِيلُ. |
| ١٦. الْيَسَعَ. | ١٧. يُونُسُ. | ١٨. لُوطُ. | ١٩. إِدْرِيسُ. | ٢٠. هُودُ. |
| ٢١. شُعَيْبُ. | ٢٢. صَالِحُ. | ٢٣. ذُو الْكِفْلِ. | ٢٤. آدَمُ. | ٢٥. مُحَمَّدُ. |

أولو العزم هم أفضل الرسل عليهم السلام

اصطفى الله جلّ وعلاً من الرسل عليهم السلام أولي العزم، كما قال الله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، وهم أربعة، ويضاف إليهم رسول الله ﷺ فيكونون خمسة، هذا هو القول المشهور، ونسبه السمعاني لأكثر المفسرين^(١)، وهم:

١. نُوحٌ عليه السلام.

٢. إِبْرَاهِيمُ عليه السلام.

٣. مُوسَى عليه السلام.

٤. عِيسَى عليه السلام.

٥. خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ كُلِّهِمْ مُحَمَّدٌ ﷺ.

وهؤلاء الأنبياء عليهم السلام مذكورون معاً في آيتين من كتاب الله

تعالى هما:

١. قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلِإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ

نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا

﴿٧﴾ [الأحزاب: ٧].

(١) ينظر: تفسير ابن كثير ٣/٣٠٥، وتفسير السمعاني ٥/١٦٤، وتفسير القرطبي ١١/٢٥٢، وزاد المسير ٤/١١٤، وتفسير الماوردي ٥/٢٨٨، وتفسير البغوي ٤/٢٠٧، وشرح الطحاوية ٢/٤٢٤، ولوامع الأنوار البهية ٢/٢٩٩.

٢. قولُ الله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٣] ^(١).

الخليان عليهما السلام هما أفضل أولي العزم

اصطفى الله جلَّ وعلاً من أولي العزم عليهم السلام الخليلين، قال الله تعالى في خُلة إبراهيم عليه السلام: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥].

وفي حديث الشفاعة الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أن الناس «يأتون إبراهيم فيقولون: يا إبراهيم أنت نبيُّ الله، وخليُّه من أهل الأرض، اشفع لنا إلى ربِّك». متفق عليه ^(٢).

(١) كما ذكروا في حديث الشفاعة الطويل في الصحيحين (ينظر: صحيح البخاري في كتاب التفسير، تفسير سورة الإسراء، باب (ذُرِّيَّةٌ مِنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا)، برقم: (٤٤٣٥)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلةً فيها، برقم: (١٩٤)).
(٢) تقدم تحريجه في التعليق السابق.

والأدلة على خُلة النبي ﷺ أحاديث منها:

١. حديثُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، وَلَكِنَّهُ أَخِي وَصَاحِبِي، وَقَدْ اتَّخَذَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلًا». رواه مسلم^(١)، وفي لفظ له: «وَلَكِنْ صَاحِبُكُمْ خَلِيلُ اللَّهِ».
٢. حديثُ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ وَقَالَ: «إِنَّ مِنْ أَمْنِ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبَا بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا غَيْرَ رَبِّي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الْإِسْلَامِ وَمَوَدَّتُهُ». رواه البخاري^(٢).

محمد ﷺ هو أفضل الرسل عليهم السلام

- اصطفى الله تعالى مِنَ الْخَلِيلِينَ مُحَمَّدًا ﷺ فَهُوَ سَيِّدُ النَّاسِ وَصَفْوَتُهُمْ وَأَفْضَلُهُمْ وَأَكْرَمُهُمْ ﷺ، وقد دل على ذلك أدلة كثيرة منها:
١. حديثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». متفق عليه^(٣).

(١) رواه مسلم في كِتَابِ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، برقم: (٢٣٨٣).

(٢) رواه البخاري في كِتَابِ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «سُدُّوا الْأَبْوَابَ إِلَّا بَابَ أَبِي بَكْرٍ»، برقم: (٣٤٥٤).

(٣) تقدم تحريجه قريبا وهو جزء من حديث الشفاعة.

٢. حديثُ أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفِّعٍ». رواه مسلم^(١).

٣. حديثُ وَائِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ». رواه مسلم^(٢).

زاد ابنُ حَبَّان: «فَأَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرَ، وَأَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفِّعٍ»^(٣).

(١) رواه مسلم في كِتَابِ الْفَضَائِلِ، بَابِ تَفْضِيلِ نَبِيِّنَا ﷺ عَلَى جَمِيعِ الْخَلَائِقِ، بِرَقْم: (٢٢٧٨).

(٢) رواه مسلم في كِتَابِ الْفَضَائِلِ، بَابِ فَضْلِ نَسَبِ النَّبِيِّ ﷺ، بِرَقْم: (٢٢٧٦).

(٣) صحيح ابن حبان ١٣٥/١٤ (٦٢٤٢).

الدرس السادس:

حقوق الأنبياء عليهم السلام وآياتهم

أولاً: حقوق الأنبياء عليهم السلام

للأنبياء عليهم السلام على الناس حقوق كثيرة منها ما هو واجب ومنها ما هو مستحب، وبيان ذلك فيما يلي:

أولاً: الحقوق الواجبة:

الحق الأول: الإيمان بهم جميعاً من غير تفريق بينهم في الإيمان، فلا يجوز لأحد أن يؤمن ببعضهم دون بعض، قال تعالى: ﴿وَأَمِنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وَمَنْ كَفَرَ بواحدٍ منهم أَوْ جَحَدَ نبوتَهُ كَانَ كَمَنْ كَفَرَ بهم جميعاً.

الحق الثاني: تعظيمهم وتوقيرهم واحترامهم بما عظمهم الله تعالى به بلا غلو ولا جفاء، ولا إفراط ولا تفريط، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وَإِنَّمَا حُقُوقُ الْأَنْبِيَاءِ مَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ عَنْهُمْ، قَالَ تَعَالَى فِي خِطَابِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: ﴿وَأَمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمْ

اللَّهُ قَرَضًا حَسَنًا لَا تُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَا تُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴿١٢﴾ [المائدة: ١٢]، والتَّعْزِيرُ: النَّصْرُ وَالتَّوْقِيرُ وَالتَّأْيِيدُ. ١. هـ (١)

الحقُّ الثالثُ: الاقتداءُ بهم في الجملة، وذلك في توحيدهم، ودعوتهم، وصبرهم، وفيما ثبت من شرائعهم مما لم ينسخ بشريعة محمد ﷺ.

قال الله تعالى بعد ذكر جملة كثيرة من الأنبياء عليهم السلام: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَفْتَدَهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٩٠].

وقال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ [المتحنة: ٤].

الحقُّ الرابعُ: تصديقهم في كلِّ ما أخبروا به عن الله تعالى أو عن شرعِهِ.

الحقُّ الخامسُ: طاعتهم وعدم مخالفتهم، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٦٤].

الحقُّ السادسُ: اعتقادُ أنهم أفضلُ البشرِ وأكملهم علمًا وعملاً وخلقًا، وأصدقهم قِيلًا.

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١/٦٦ - ٦٧.

الحق السابع: اعتقاد أن الله تعالى خصَّهم بخصائص وفضائل ليست لغيرهم من البشر، وأنه لا أحد يمكن أن يدركهم في هذه الخصائص والفضائل؛ لأنها اصطفاؤه من عند الله تعالى.

الحق الثامن: اعتقاد أنهم بشر مثلنا وليسوا ملائكة، وليس لهم طبائع أخرى تختلف عن طبائع البشر، فهم يأكلون ويشربون، ويتعبون وينامون، ويتزوجون ويتوالدون، ويمرضون ويموتون، إلى غير ذلك من طبائع البشر.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الكهف: ١١٠].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٢٠].

الحق التاسع: اعتقاد أن الله تعالى لم يخصهم بشيء من خصائص الربوبية، فلا قدرة لهم على علم الغيب، ولا التصرف في المخلوقات، ولا إحياء الموتى، ولا يملكون النفع والضرر، قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْرَثْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسْنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

ولكن الله تعالى قد يعطيهم شيئاً من ذلك آية بيّنة، ومعجزة باهرة، كما قال الله تعالى: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ [الن: ٢٦-٢٧].

الحقُّ العاشرُ: اعتقادُ أن الله تعالى لم يخصَّهم بشيءٍ من خصائص الألوهية، فلا يُدْعَوْنَ من دون الله، ولا يُستَغاثَ بهم من دون الله، ولا يُذبح لهم، ولا يُنذر لهم، ولا يُحلفُ بهم.

الحقُّ الحادي عشرُ: محبَّتُهُمْ، فهم صفوة الخلق، وخلَّص أولياء الله، وسادتهم، فمحبَّتُهُمْ مقدَّمة على محبة جميع المؤمنين.

الحقُّ الثاني عشرُ: تجنُّب انتقاصهم بأي وجه من الوجوه، بالقول أو الفعل، أو الغمز واللمز.

الحقُّ الثالث عشرُ: الدفاع عنهم عند وقوع تنقصهم، سواء أكان هذا ممن يدَّعي الإيمان، أم كان من كافر، فالذب عنهم وعن أعراضهم من أعظم الطاعات، وأجلِّ القُرَبات.

ثانياً: الحقوق المستحبةُ:

الحقُّ الأولُ: التعرفُ على قصصهم وحياتهم وسيرهم، والاعتبار بها، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۚ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصَدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١].

الحقُّ الثاني: السلامُ عليهم عند ذِكْرِهِمْ أو كتابة أسمائهم عليهم السلام، قال الله تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۗ اللَّهُ خَيْرٌ مَّا يَشْرِكُونَ﴾ [النمل: ٥٩].

وقال تعالى: ﴿وَسَلِّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصفات: ١٨١].

واختص الله محمدًا ﷺ بالجمع له بين الصلاة والسلام، فقال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ

وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

وهذا دليل على عظيم مكانته، ورفعة درجته على جميع الأنبياء عليهم

السلام.

الحقُّ الثالثُ: التسميةُ بأسمائهم عليهم السلام، مثل: محمد، وإبراهيم،

ويوسف، وغيرها، وهي مستحبة، حتى قال سعيدُ بنُ المسيب: أحبُّ

الأسماءِ إلى الله أسماءُ الأنبياء^(١).

الحقُّ الرابعُ: نشرُ سيرهم، وتعليمُها للأسرة والأجيال المؤمنة.

ثانيًا: آياتُ الأنبياءِ عليهم السلام (معجزاتهم)

المرادُ بآياتِ الأنبياءِ عليهم السلام

آياتُ الأنبياءِ هي: الأمورُ الخارقةٌ للعادة، التي يؤيِّدُ الله تعالى بها

أنبياءه ورسله عليهم السلام، ويعجز الناسُ أن يأتوا بمثلها.

(١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٢٦٣/٥ (٢٥٩١٠)، قال الحافظ (فتح الباري ١٠/٥٧٨):

سنَّده صحيح. اهـ. ولكن الصحيح أن أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن كما قال النبي

ﷺ. رواه مسلم ١٦٨٢/٣ (٢١٣٢).

وتسمّى: المعجزات، والبيّنات.

أمثلة على آيات الرُّسل عليهم السلام:

- آيةُ محمد ﷺ الكبرى هي: القرآنُ الكريمُ.
- آيةُ إبراهيم عليه السلام هي: جعلُ النار عليه بردًا وسلامًا.
- آيةُ موسى عليه السلام هي: انقلابُ العصا التي معه إلى حيّةٍ تَسْعَى.
- آيةُ عيسى عليه السلام هي: إبراءُ الأُكْمَةِ (وهو الذي وُلِدَ أعمى) والأَبْرَصِ، وإحياءِ الموتى بإذنِ الله.

عقيدةُ ختمِ النبوةِ

خُتِمَتِ النَّبَوَاتُ وَالرَّسَالَاتُ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، فهو خاتمُ الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، وهذا مما اتفق عليه المسلمون، وعُلِمَ بالضرورة من دين الإسلام، قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝٤٠﴾ [الأحزاب: ٤٠]. فكلُّ مَنْ ادَّعى النبوة أو الرسالة بعدَ محمدٍ ﷺ فهو مدَّعٍ كاذبٌ، وهو كافر بهذه الدعوى الباطلة، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:

«لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُبْعَثَ دَجَالُونَ كَذَّابُونَ، قَرِيبًا مِنْ ثَلَاثِينَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ». متفق عليه^(١).

وَمِنْ هَؤُلَاءِ الْكَذَّابِينَ:

١. مُسَيِّلِمَةُ الْكَذَّابُ، صَاحِبُ الْيَمَامَةِ.

٢. الْأَسْوَدُ الْعَنَسِيُّ، صَاحِبُ صَنْعَاءَ.

وَمِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ:

٣. مِيرْزَا غُلَامُ أَحْمَدَ الْقَادِيَانِي الْهِنْدِي، الَّذِي ادَّعَى أَنَّهُ الْمَهْدِي

الْمُنْتَظَرُ فِي عَهْدِ اسْتِعْمَارِ الْبَرِيطَانِيِّينَ لِلْهِنْدِ، ثُمَّ ادَّعَى أَنَّهُ

عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثُمَّ ادَّعَى النُّبُوَّةَ أَحْيَرًا.

(١) رواه البخاري في كتاب المناقب، بَابُ عَلَامَاتِ النَّبُوَّةِ فِي الْإِسْلَامِ، برقم: (٣٤١٣)،
ومسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، بَابُ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ،
فَيَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ مَكَانَ الْمَيِّتِ مِنَ الْبَلَاءِ، برقم: (١٥٧).

الدرس السابع: الركن الخامس: الإيمان باليوم الآخر

المراد باليوم الآخر

اليوم الآخر هو: يوم القيامة، الذي يبعث الله فيه الناس للحساب والجزاء.
سُمِّي بذلك: لأنه لا يوم بعده؛ حيث يستقرُّ أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار.

معنى الإيمان باليوم الآخر

الإيمان باليوم الآخر هو: الاعتقاد الجازم بصدق كلِّ ما أخبر به الله عزَّ وجلَّ في كتابه الكريم، أو أخبر به رسولُ الله ﷺ مما يكون بعد الموت، وما يكون بين يدي الساعة.

ما يتضمنه الإيمان باليوم الآخر

يتضمَّن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بما يلي:

١. الحياة البرزخية بعد الموت.
٢. علامات الساعة الثابتة في الكتاب والسنة.
٣. قيام الساعة، وانتهاء الحياة على هذه الدنيا بالنفخة الأولى في الصور.
٤. البعث، وهو إحياء الموتى حين ينفخ في الصور النفخة

الثانية، فيقوم الناس لرب العالمين.

٥. الحشر.

٦. الشفاعة.

٧. الحساب، وأن كل عبد يحاسب على عمله.

٨. الحوض.

٩. الميزان، وتطير الصحف.

١٠. الصراط.

١١. الجزاء، وأن كل عبد يجازى على عمله، ويتضمن: الإيمان

بالجنة وما فيها من النعيم، والنار وما فيها من العذاب.

الدليل على وجوب الإيمان باليوم الآخر

الإيمان باليوم الآخر مما علم من دين الإسلام بالضرورة، بل هو مما علم من دين الأنبياء جميعاً عليهم السلام، وأدلته في الكتاب والسنة متواترة قطعية، وهي أكثر من أن تحصى، فمن ذلك:

١. قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ

وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ

وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

٢. حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديث جبريل أنه سأل

النبي ﷺ عن الإيمان، فقال رسول الله ﷺ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ،

وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنُ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، قال: صدقت. رواه مسلم^(١).

أولاً: الحياة البرزخية

المراد بالحياة البرزخية

الحياة البرزخية هي: المدة التي يبقاها الإنسان من بعد موته إلى قيام الساعة.

وسُميت برزخية: لأن البرزخ هو: الفاصل والحاجز بين شيئين، وهذه الحياة فاصلة بين الحياة الدنيا، والآخرة، وهي أول مراحل الآخرة.

ما يتضمنه الإيمان بالحياة البرزخية

يتضمن الإيمان بالحياة البرزخية ما يلي:

١. ضغطة القبر، وهي: تضيق القبر على الميت أول ما يدخل فيه.

٢. فتنة القبر، وهي: سؤال المَلَكَيْنِ مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ للميت عن ثلاثة: ربه، ودينه، ونبيه، فيلهم الله المؤمن فيجيب بالصواب، ويوسع له في قبره، ويرى مكانه في الجنة، ويتحير الكافر والمنافق، ويقول: هَاهُ هَاهُ، لَا أَدْرِي، فيضربُ بمرزبةٍ من

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، برقم: (٨).

حديد، ثم يضيَّق عليه في قبره.

٣. نعيمُ القبرِ أو عذابُهُ، وذلك أن الميت إمَّا أن ينعمَ في قبره حتَّى يكونَ عليه روضةٌ من رياضِ الجنة؛ إن كان من أهلِ الجنة، وإمَّا أن يعذبَ فيه حتَّى يكونَ عليه حفرةٌ من حُفَرِ النار؛ إن كان من أهلِ النار.

ثانيًا: علاماتُ السَّاعةِ الثَّابتةِ في الكتابِ والسَّنةِ

المرادُ بعلاماتِ السَّاعةِ

علاماتُ السَّاعةِ هي: الأماراتُ التي تدلُّ على قربِ قيامِ السَّاعةِ. وتُسمَّى: أشراطُ السَّاعةِ، وأماراتُ السَّاعةِ.

مَا يَتَضَمَّنُهُ الْإِيمَانُ بَعْلَامَاتِ السَّاعَةِ

يَتَضَمَّنُ الْإِيمَانُ بَعْلَامَاتِ السَّاعَةِ الْإِيمَانَ بِمَا يَلِي:

١. علاماتُ السَّاعةِ الصُّغرى.

٢. علاماتُ السَّاعةِ الكُبرى.

وبيان ذلك في الدروس التالية إن شاء الله تعالى.

الدرس الثامن: عَلَامَاتُ السَّاعَةِ الصُّغْرَى وَالْكُبْرَى

أولاً: عَلَامَاتُ السَّاعَةِ الصُّغْرَى

تعريفُ عَلَامَاتِ السَّاعَةِ الصُّغْرَى

هي: العَلَامَاتُ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى قُرْبِ السَّاعَةِ^(١)، ولكنها متقدِّمة عليها بفترةٍ طويلةٍ أو قصيرةٍ، وقد وقعتْ وانقضتْ، وبعضها وقعَ ولا زال مستمراً متكرراً، وبعضها لم يقع بعدُ.

عَلَامَاتُ السَّاعَةِ الصُّغْرَى

عَلَامَاتُ السَّاعَةِ الصُّغْرَى كَثِيرَةٌ جَدًّا، نذكر منها ما يلي:

- ١- بَعَثَةُ النَّبِيِّ ﷺ، وهو مِنْ عَلَامَاتِ السَّاعَةِ بالنظرِ لِمَا بَقِيَ مِنْ عَمْرِ الدُّنْيَا، فهو قليلٌ بالنسبةِ لِمَا مَضَى مِنْهُ، فعن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَذِهِ مِنْ هَذِهِ، أَوْ: كَهَاتَيْنِ»، وَقَرَنَ بَيْنَ السَّبَابَةِ وَالْوُسْطَى. متفق عليه^(٢).

(١) وهو قرب نسبي، فهو قرب بالنظر إلى عمر الدنيا كلها.

(٢) رواه البخاري في كتاب الطلاق، بَابُ اللَّعَانِ، برقم: (٤٩٩٥)، ومسلم في كتاب الفتن وأَشْرَاطِ السَّاعَةِ، بَابُ قُرْبِ السَّاعَةِ، برقم: (٢٩٥٠).

٢- موتُ النبي ﷺ، فعن عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:
أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمَ، فَقَالَ:
«اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ...»

الحديث، رواه البخاري^(١).

٣- فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، كما في حديثِ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ
الْأَشْجَعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ السَّابِقِ، وقد فَتِحَتْ فِي السَّنَةِ السَّادِسَةِ
عَشْرَةَ لِلْهِجْرَةِ (١٦هـ) فِي عَهْدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ
الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٤- ظهورُ أَدْعِيَاءِ النَّبَوَّةِ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:
«لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُبْعَثَ دَجَالُونَ كَذَّابُونَ، قَرِيبًا مِنْ
ثَلَاثِينَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ». متفق عليه^(٢)، وقد تقدم
ذكر بعضهم.

٥- ظهورُ نَارٍ بِالْحِجَازِ، تَضِيءُ لَهَا أَعْنَاقُ الْإِبِلِ بِبُصْرَى مِنْ أَرْضِ
الشَّامِ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا

(١) رواه البخاري في كتاب الجزية، بَابُ مَا يُخَذَّرُ مِنَ الْعَدْرِ، برقم: (٣٠٠٥).

(٢) رواه البخاري في كتاب المناقب، بَابُ عَلَامَاتِ النَّبَوَّةِ فِي الْإِسْلَامِ، برقم: (٣٤١٣)،
ومسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، بَابُ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ،
فَيَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ مَكَانَ الْمَيِّتِ مِنَ الْبَلَاءِ، برقم: (١٥٧).

تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ، تُضِيءُ أَعْنَاقَ
الْإِبِلِ بُبُصْرَى^(١)». متفق عليه^(٢).

وقد وقع هذا في منتصف القرن السابع الهجري سنة (٦٥٤هـ)،
كما ذكره النووي وأبو شامة والقرطبي وابن كثير وغيرهم من العلماء
رحمنا الله وإياهم^(٣).

٦- قتال التُّرك، وهم المغول، وقد وقع هذا بقتال المغول أواخر
الدولة العباسية.

٧- تطاولُ الحفَاةِ العُراةِ رُعاءِ الشَّاءِ في البُنيان، وقد وقع هذا في
عصرنا بوضوح.

٨- كثرةُ القتل، وكثرةُ الزلازل، وكثرةُ المال، وقد وقع هذا في
عصرنا.

(١) بُصْرَى: مدينة بالشَّام، قال النووي: هي مدينة حَوْران. اهـ (شرح النووي على مسلم
٦٩/٣)، وهي المدينة التي التقى فيها بحيرى الراهب برسول الله ﷺ قبل البعثة كما ذكره أهل
السير. (سيرة ابن هشام ١/١٨٠)، وتتبع الآن محافظة درعا في الجمهورية العربية السورية حيث
تبعد ٤٠ كم عن مركز مدينة درعا، وحوالي ١٤٠ كم عن العاصمة دمشق. (ويكيبيديا
الموسوعة الحرة).

(٢) رواه البخاري في كتاب الفتن، باب خُرُوجِ النَّارِ، برقم: (٦٧٠١)، ومسلم في كتاب
الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ، باب لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ، برقم:
(٢٩٠٢).

(٣) ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم ٢٨/١٨، والنهاية في الفتن والملاحم ١٤/١،
والبداية والنهاية ١٣/١٨٧-١٩٢، والتذكرة للقرطبي ص ٦٣٦.

- ٩ - تقاربُ الزمانِ، وقد وقع هذا.
- ١٠ - قلةُ العلمِ الشرعي، وقد وقع هذا.
- ١١ - كثرةُ الأسواقِ وتقاربها، وقد وقع هذا.
- ١٢ - ظهورُ نساءٍ كاسياتٍ عارياتٍ، وأقوامٍ معهم سِيَّاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ.

ثانيًا: علاماتُ الساعةِ الكبرى

تعريفُ علاماتِ الساعةِ الكبرى

هي: العلاماتُ التي تكونُ قربَ قيامِ الساعةِ بينَ يديها، وتأتي متتابعةً، وتقوم الساعة بعدها.

علاماتُ الساعةِ الكبرى

سنذكر من علاماتِ الساعةِ الكبرى أحدَ عشرَ علامةً، منها عشرٌ وردت في حديثِ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ رضي الله عنه، والحادية عشرة: المهديُّ.

عن أبي سَرِيحَةَ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ ^(١) الغفاري رضي الله عنه قال: اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكُرُ، فَقَالَ: «مَا تَذَاكُرُونَ؟»، قالوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ، قَالَ: «إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ، فَذَكَرَ: الدُّخَانَ، وَالدَّجَالَ،

(١) هو بفتحِ الهمزة وكسر السين، وسرِيحَة على وزن عجيبة، صحابي من أصحاب الشجرة مات سنة اثنتين وأربعين. (ينظر: تقريب التهذيب ص ١٥٤، والإصابة في تمييز الصحابة ٣٨/٢).

وَالدَّابَّةُ، وَطُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولُ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عليه السلام،
وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةُ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ
بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ
تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ». رواه مسلم^(١).

وهذه الإحدى عشرة هي:

- ١ - الدُّخَانُ.
 - ٢ - الدَّجَالُ.
 - ٣ - الدَّابَّةُ.
 - ٤ - طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا.
 - ٥ - المهديُّ.
 - ٦ - نُزُولُ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عليه السلام.
 - ٧ - خُرُوجُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ.
 - ٨، ٩، ١٠ - ثَلَاثَةُ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ،
وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ.
 - ١١ - وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ.
- وبيانها فيما يلي إن شاء الله تعالى.

(١) رواه مسلم في كِتَابِ الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ، بَابُ فِي الْآيَاتِ الَّتِي تَكُونُ قَبْلَ السَّاعَةِ، بِرَقْم: (٢٩٠١).

١- الدُّخَانُ

أ- الدُّخَانُ هو: دخانٌ عظيمٌ واضحٌ، عامٌّ على الناسِ كلِّهم، يحدثُ قبلَ يومِ القيامةِ، يكونُ على الكافرينَ والمنافقينَ أذىً وانتفاخٌ حتى يخرجَ من مَسَامِعِهِمْ، ويكونُ على المؤمنينَ مثلَ الزُّكامِ.

ب- وَرَدَ ذِكْرُ الدُّخَانِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ۖ يَغْشَى النَّاسَ ۗ﴾

هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ [الدخان: ١٠ - ١١]، والمعنى: انتظرُ بالكافرينَ المكذِبِينَ يَوْمًا يَأْتِيهِمْ فِيهِ دُخَانٌ بَيْنٌ وَاضِحٌ يَرَاهُ كُلُّ أَحَدٍ، يَتَغَشَّاهُمْ وَيُعْمَهُمْ^(١).

ت- تَقَدَّمَ حَدِيثُ أَبِي سَرِيحَةَ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ رضي الله عنه وَفِيهِ ذِكْرُ الدُّخَانِ.

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٧/٢٤٩).

الدرس التاسع:

المهدي، والدجال، ونزول عيسى بن مريم عليه السلام

٢- المهدي

أ- المهدي هو: أمير وخليفة صالح، من أهل بيت النبي ﷺ،
يظهر في آخر الزمان، اسمه محمد بن عبد الله، يملأ الأرض
عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً.

ب- تواترت الأحاديث عن النبي ﷺ بظهور المهدي في آخر
الزمان، كما نص على هذا كثير من العلماء رحمنا الله
وآبائهم.

ت- المهدي من ذرية فاطمة بنت رسول الله ﷺ ورضي الله
عنها، والأشهر عند أهل السنة أنه من ذرية الحسن بن علي
عليه السلام ^(١).

(١) ينظر: النهاية في الفتن والملاحم وأشرار الساعة لابن كثير ٥٤/١، والمنار المنيف لابن القيم ص ١٥١، والإذاعة لما كان ويكون بين يدي الساعة ص ١٤٧.

ث- يُصْلِحُهُ اللهُ تعالى في ليلةٍ، قال ابن كثير رحمه الله: أي: يتوب عليه ويوفقه ويفهمه ويرشده، بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ. ١. هـ^(١)

ج- مِنْ صِفَاتِهِ أَنَّهُ يَكُونُ:

١. أَجَلَى الْجَبْهَةِ، يعني: أَنَّ جَبْهَتَهُ وَاسِعَةٌ، قَدْ انْحَسَرَ شَعْرُ مُقَدِّمِ رَأْسِهِ، وَلَكِنَّهُ لَيْسَ بِأَصْلَع.
٢. أَقْنَى الْأَنْفِ، يعني: أَنَّ أَنْفَهُ دَقِيقٌ مُرْتَفَعٌ طَوِيلٌ، وَلَيْسَ بِأَفْطَسَ.

ح- تَكُونُ خِلَافَتُهُ فِي وَقْتٍ تَمْتَلِئُ فِيهِ الْأَرْضُ جَوْرًا وَظُلْمًا، فَإِذَا مَلَكَ مَلَأَهَا قِسْطًا وَعَدْلًا.

خ- تَكُونُ خِلَافَتُهُ سَبْعَ سِنِينَ، تَنْعَمُ فِيهَا الْأُمَّةُ نِعْمَةً لَمْ تَنْعَمْهَا قَطُّ، فَيَكْثُرُ الْغَيْثُ، وَتُثْبِتُ الْأَرْضُ، وَتَكْثُرُ الْمَاشِيَةُ، وَيُعْطَى النَّاسَ الْمَالُ بِغَيْرِ عَدَدٍ، قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ: وَلَعَلَّهُ هُوَ الْخَلِيفَةُ الَّذِي يَحْثِي الْمَالُ حَثِيًّا وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ، وَفِي زَمَانِهِ تَكُونُ الثَّمَارُ كَثِيرَةً، وَالزُّرُوعُ غَزِيرَةً، وَالْمَالُ وَافِرًا، وَالسُّلْطَانُ قَاهِرًا، وَالِدِّينُ قَائِمًا، وَالْعَدُوُّ رَاغِمًا، وَالْخَيْرُ فِي أَيَامِهِ دَائِمًا. ١. هـ^(٢)

(١) النهاية في الفتن والملاحم وأشراف الساعة لابن كثير ٥٥/١.

(٢) النهاية في الفتن والملاحم وأشراف الساعة لابن كثير ٥٧/١.

- د- يكون ظهورُ الدَّجَالِ في ولايته، ويتحصَّنُ المهديُّ ومن معه من المسلمين في فلسطين، ويترل عيسى عليه السلام في أثناء ذلك، فيقتلُ الدَّجَالُ.
- ذ- كُثِرَ المدَّعونَ لِلْمَهْدِيَّةِ منذ العصور الأولى، ولم يصدق منهم أحدٌ.

٣- الدَّجَالُ.

- أ- الدَّجَالُ هو: المسيحُ الأعورُ الكذابُ، رَجُلٌ مِنْ بني آدَمَ عليه السَّلامُ، يعطيه الله تعالى قُدْرَةً عَظِيمَةً يفتنُ بها النَّاسَ في آخِرِ الزَّمانِ.
- ب- تَوَاتَرَتِ الأحاديثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِإثباتِ وجودِ الدَّجَالِ، وظهوره في آخرِ الزمانِ، كما نصَّ على هذا جماعة من العلماءِ رحمنا الله وإياهم.
- ت- كان الأنبياءُ عليهم السلام يحذِّرون أممهم مِنَ الدَّجَالِ، حتى نوح عليه السلام قد حذَّر مِنْهُ قَوْمَهُ.
- ث- بيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ صفاتِ الدَّجَالِ، ومنها^(١):

(١) ينظر: أشراط الساعة للوالب، ص ٢١٥، والمسيح الدجال، بحث للدكتورة أسماء بنت سليمان السويلم، منشور في (مجلة البحوث الإسلامية ١٢٨/٨٥).

١. أَنَّهُ أَعَوَّرَ الْعَيْنَ الْيُمْنَى، وَفِي عَيْنِهِ الْيُسْرَى نَقْصٌ أَيْضًا،

فَعَلَيْهَا جِلْدَةٌ تَعْطِي بَعْضَهَا، وَهَذِهِ أَظْهَرُ صِفَاتِهِ.

٢. أَنَّهُ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَلِمَةٌ: (كَافِرٌ)، يَقْرُؤُهَا كُلُّ مُسْلِمٍ،

سِوَاءِ أَكَانَ قَارِئًا أَمْ أُمِّيًّا.

٣. أَنَّهُ قَصِيرٌ.

٤. أَنَّهُ أَفْحَجٌ، وَهُوَ: الَّذِي إِذَا مَشَى بَاعَدَ بَيْنَ رِجْلَيْهِ.

٥. أَنَّهُ أَجْلَى الْجَبْهَةِ، يَعْنِي: أَنَّ جَبْهَتَهُ وَاسِعَةٌ، قَدْ انْحَسَرَ شَعْرُ

مُقَدِّمِ رَأْسِهِ.

٦. أَنَّهُ جَعَدَ الرَّأْسَ.

ج- يَخْرُجُ الدَّجَالُ فِي وَقْتِ الْمَهْدِيِّ، مِنْ جِهَةِ الْمَشْرِقِ، كَمَا قَالَ

النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ». رَوَاهُ

مُسْلِمٌ^(١)، وَيَتَّبِعُهُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، وَبِخَاصَّةِ يَهُودِ أَصْبَهَانَ.

ح- يَجُوبُ الدَّجَالُ الْأَرْضَ كُلَّهَا إِلَّا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ فَإِنَّ عَلَيْهِمَا

مَلَائِكَةٌ يَحْرُسُونَهُمَا مِنْهُ، وَيَدَّعِي الْأُلُوْهِيَّةَ، وَيُظْهِرُ لِلنَّاسِ

بَعْضَ الْخَوَارِقِ، وَيَدْعُو النَّاسَ لِلْإِيمَانِ بِهِ وَاتِّبَاعِهِ، فَمَنْ آمَنَ

بِهِ أَمَرَ السَّمَاءَ فَأَمْطَرَتْ لَهُمْ، وَنَبَتَتْ زُرُوعُهُمْ، وَسَمِنَتْ

مَوَاشِيَهُمْ، وَمَنْ رَدَّ عَلَيْهِ أَمْرَهُ وَكَفَرَ بِهِ أَصْبَحُوا مُمَجِّدِينَ

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي كِتَابِ الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ، بَابُ ذِكْرِ الدَّجَالِ وَصِفَتِهِ وَمَا مَعَهُ، بِرَقْمِ:

(٢٩٣٧).

لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ^(١)، ابتلاءً مِنَ اللَّهِ تعالى واختباراً.

خ- مَنْ سَمِعَ بِالذَّجَالِ فليبتعدْ عَنْهُ حَتَّى لَا يَقَعَ فِي فِتْنَتِهِ، وَإِنْ خَرَجَ إِلَى مَكَّةَ أَوْ الْمَدِينَةَ فَهُوَ حَسَنٌ لَأَمَّا مَعْصُومَتَانِ مِنْ دُخُولِهِ.

د- أَيَّامُ الذَّجَالِ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعُونَ يَوْمًا، وَلَكِنهَا تَخْتَلِفُ عَنْ بَقِيَةِ الْأَيَّامِ، فَيَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِ النَّاسِ.

ذ- يَحَاصِرُ الذَّجَالُ الْمَهْدِيَّ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي فَلَسْطِينَ، فَيَنْزِلُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَيَقْتُلُهُ وَيَخْلِّصُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ.

ر- مِمَّا يَعَصُمُ الْمُسْلِمَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الذَّجَالِ: سُكْنَى مَكَّةَ أَوْ الْمَدِينَةَ، وَحِفْظُ فَوَاتِحِ سُورَةِ الْكَهْفِ، وَهِيَ: الْعَشْرُ الْآيَاتِ الْأُولَى مِنْهَا، وَقَرَأَتَهَا إِذَا ابْتُلِيَ الْمُسْلِمُ بِالذَّجَالِ.

(١) ينظر: صحيح مسلم حديث النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْكِلَابِيِّ رضي الله عنه، برقم: (٢٩٣٧).

٤- نُزُولُ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ﷺ.

- أ- نُزُولُ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ﷺ هو: نزولُ نبيِّ الله تعالى عيسى بنِ مريمَ عليه السلامُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الدُّنْيَا، قُبَيْلَ قِيَامِ السَّاعَةِ.
- ب- عيسى عليه السلامُ أَحَدُ الْأَنْبِيَاءِ الْكَرَامِ، وَهُوَ مِنْ أُولَى الْعِزْمِ مِنَ الرِّسَالِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَهُوَ آخِرُ الرِّسَالِ قَبْلَ رِسَالِنَا ﷺ، فَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَبِيِّنَا ﷺ رَسُولٌ.
- ت- رَفَعَ اللَّهُ تَعَالَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ حَيًّا بَدَنَهُ وَرُوحَهُ، وَأَنْقَذَهُ مِنَ الْيَهُودِ حِينَ أَرَادُوا قَتْلَهُ، وَهُوَ بَاقٍ حَيًّا إِلَى أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ تَعَالَى بِتَرْوِيلِهِ إِلَى الْأَرْضِ.
- ث- وَرَدَ ذِكْرُ نَزُولِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي آيَتَيْنِ كَرِيمَتَيْنِ:
- الأولى: قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلْسَاعَةِ فَلَا تَمُوتُ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ ﴿٦١﴾ [الزُّحُرْف: ٦١].
- الثانية: قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ ﴿١٥٩﴾ [النِّسَاء: ١٥٩].
- ج- تَوَاتَرَتِ الْأَحَادِيثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِتَرْوِيلِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ كَمَا نَصَّ عَلَى هَذَا كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ رَحِمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاهُمْ.
- ح- قَالَ السِّفَّارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَجْمَعَتِ الْأُمَّةُ عَلَى نُزُولِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَمْ يُخَالَفْ فِيهِ أَحَدٌ مِنَ أَهْلِ الشَّرِيعَةِ، وَإِنَّمَا

أَنْكَرَ ذَلِكَ الْفَلَّاسِفَةُ وَالْمَلَا حِدَةُ مِمَّنْ لَا يُعْتَدُّ
بِخِلَافِهِ. ١. هـ^(١)

خ- يَتَرَلُّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَقِبَ خُرُوجِ الدَّجَالِ وَالْمَهْدِيِّ،
فَيَقْتُلُ الدَّجَالَ، وَيَتَسَلَّمُ الْأَمْرَ مِنَ الْمَهْدِيِّ، قَالَ السَّفَّارِيُّ
رَحِمَهُ اللَّهُ: وَيَتَسَلَّمُ الْأَمْرَ مِنَ الْمَهْدِيِّ، وَيَكُونُ الْمَهْدِيُّ مِنْ
أَصْحَابِهِ وَأَتْبَاعِهِ كَسَائِرِ أَصْحَابِ الْمَهْدِيِّ. ١. هـ^(٢)

د- يَكُونُ نَزُولُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ
دِمَشْقَ، وَيُخْرَجُ إِلَى فِلَسْطِينَ، فَيَصِلُ إِلَى الْمُسْلِمِينَ وَقَدْ
تَحَصَّنُوا مِنَ الدَّجَالِ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَهُمْ سَيَصِلُونَ الْفَجْرَ
أَوْ قَدْ بَدَأَ إِمَامُهُمْ وَهُوَ الْمَهْدِيُّ بِالصَّلَاةِ، فَيَقْدُمُونَ عِيسَى
عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلْإِمَامَةِ وَيَأْبَى، فَيَصِلِي مَعَهُمْ، وَإِذَا عَلِمَ بِهِ
الدَّجَالُ هَرَبَ مِنْهُ، فَيَلْحَقُهُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى يُدْرِكَهُ
عِنْدَ بَابِ مَدِينَةِ اللَّدِّ الْفِلَسْطِينِيَّةِ^(٣)، فَيَقْتُلُهُ^(٤).

(١) لوامع الأنوار البهية ٩٤/٢، ويضاف إليهم بعض أهل الأهواء المعاصرين.

(٢) لوامع الأنوار البهية ٩٥/٢.

(٣) اللَّدُّ: مَدِينَةُ فِلَسْطِينِيَّةٌ، تَقَعُ فِي الشَّمَالِ الْغَرْبِيِّ مِنَ الْقُدْسِ، تَبْعَدُ عَنْهَا ثَمَانِيَّةٌ وَسِتِينَ كِيلُوا
مَتْرًا، وَهِيَ بِجَانِبِ مَدِينَةِ الرَّمْلَةِ، تَقَعُ الْآنَ تَحْتَ الْإِحْتِلَالِ الصَّهْيُونِيِّ. (يَنْظُرُ: مَعْجَمُ بِلْدَانِ
فِلَسْطِينَ، مُحَمَّدٌ مُحَمَّدٌ شَرَابٌ ص ٦٣٧، وَمَوْسُوعَةُ الْمَدَنِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْإِسْلَامِيَّةِ، لِلدَّكْتُورِ يَحْيَى
الشَّامِيِّ ص ١٠٤، وَمَعْجَمُ الْبِلْدَانِ لِيَاقُوتِ الْحَمُومِيِّ ١٥/٥).

(٤) رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي كِتَابِ الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ، بَابُ ذِكْرِ الدَّجَالِ وَصِفَتِهِ وَمَا مَعَهُ، بِرَقْمِ:
(٢٩٣٧) مِنْ حَدِيثِ النَّوَاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ذ- يبقى عيسى عليه السلام في الناس سبع سنوات، وفي رواية:
أربعين سنة، والله تعالى أعلم أي ذلك يكون، ويعمُّ الخيرُ
والحياةُ الهنيئةُ الرغيدةُ في زمانِه، ثم يموتُ عليه السلام، ويصلي
عليه المسلمون.

الدرس العاشر: بقية علامات الساعة الكبرى

٥- خروج يأجوج ومأجوج

أ- **يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ:** اسمان أعجميان، لقبيلتين عظيمتين من التُّركِ المغول، وهُم من ذُرِّيَّةِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَانُوا يَعِيشُونَ فِي الْأَرْضِ وَيُؤْذُونَ، فَحَصَرَهُمُ ذُو الْقَرْنَيْنِ فِي مَكَانِهِمْ دَاخِلَ السِّدِّ^(١).

ب- وَرَدَ ذِكْرُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي مَوَاضِعٍ:

الأوَّلُ: قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى فِي قِصَّةِ ذِي الْقَرْنَيْنِ: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ۖ ﴿٩٣﴾ قَالُوا يَنْذَا لَظَنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ۖ ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۖ ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ أَنْفُخُوا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ۖ ﴿٩٦﴾ فَمَا اسْطَبَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ۖ ﴿٩٧﴾ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي

(١) ينظر: النهاية في الفتن والملاحم ٢٠٠/١، والبداية والنهاية ١٢٩/٢، ولسان العرب

٢٠٧/٢، وتاج العروس ٤٠٠/٥.

جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ ۖ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ۚ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ۚ فُجِعَتْهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ [الكهف: ٩٣ - ٩٩].

الثاني: قولُ الله تعالى: ﴿ حَقَّ إِذَا فَتَحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴾ ﴿٩٦﴾ وَأَقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُواِ يَتَوَلَّوْنَ قَدَّ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٩٧﴾ [الأنبياء: ٩٦ - ٩٧].

ت- يخرج يأجوج ومأجوج بعد مقتل الدجال على يدي عيسى عليه السلام، كما وصفهم الله تعالى ﴿وَهُمْ مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ قال ابن كثير رحمه الله: أي: يُسْرِعُونَ فِي الْمَشْيِ إِلَى الْفَسَادِ، وَالْحَدَبُ: هُوَ الْمُرْتَفِعُ مِنَ الْأَرْضِ. ا.هـ^(١)

ث- يَنْتَشِرُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ فِي الْأَرْضِ، فَيَهْرَبُ النَّاسُ مِنْهُمْ، وَيَتَحَصَّنُونَ فِي مُدُنِهِمْ، فَلَا يَمْرُؤُونَ بِشَيْءٍ إِلَّا أَفْسَدُوهُ، وَلَا بِنَاءٍ إِلَّا شَرِبُوهُ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ الْوُقُوفَ فِي وَجْهِهِمْ لِقُوَّتِهِمْ، حَتَّى يَصِلُوا إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي فِيهِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَيَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَنْ مَعَهُ بِالتَّحَصُّنِ مِنْهُمْ فِي جَبَلِ الطُّورِ.

(١) تفسير ابن كثير ٣٧٢/٥.

ج- يشتدُّ الأمر على نبيِّ الله عيسى عليه السلام ومن معه من المؤمنين، فيدعون الله تعالى أن يخلصهم من يأجوج ومأجوج، فيستجيبُ الله تعالى لهم، فيسلط الله عليهم دودًا في رقابهم، فيصَّبَحُونَ مَوْتَى.

٦- طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا

- أ- طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا هو: أن تطلع الشمس صباحًا من جهة المغرب، بدلَ طلوعها المعتادِ من جهة المشرق.
- ب- وَرَدَ ذِكْرُ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِكَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامِنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْظُرُوا إِنَّا مُنْظِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأنعام: ١٥٨]، فالمراد ببعض آياتِ رَبِّكَ هي: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، قال السَّفَّارِيُّ رحمه الله: أَجْمَعَ الْمُفَسِّرُونَ أَوْ جُمُهورُهُمْ عَلَى أَنَّهَا طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا. ١. هـ^(١)

(١) لوامع الأنوار البهية ١٣٢/٢.

ت- إذا طَلَعَتِ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا أُغْلِقَ بَابُ التَّوْبَةِ، وقد دلَّ على هذا الآية الكريمة السابقة، مع الأحاديث المتواترة عن النبي ﷺ منها: حديثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ». رواه مسلم^(١).

ث- ظاهر الأدلة الكثيرة أن باب التوبة يبقى مغلقاً إلى يوم القيامة، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله بعد ذكر الأحاديث والآثار في الموضوع: فَهَذِهِ آثَارٌ يَشُدُّ بَعْضُهَا بَعْضًا مُتَّفِقَةٌ عَلَى أَنَّ الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ مِنَ الْمَغْرِبِ أُغْلِقَ بَابُ التَّوْبَةِ وَلَمْ يُفْتَحْ بَعْدَ ذَلِكَ، وَأَنَّ ذَلِكَ لَا يَخْتَصُّ بِيَوْمِ الطُّلُوعِ بَلْ يَمْتَدُّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. ١. هـ.^(٢)

٧- الدَّابَّةُ

أ- الدَّابَّةُ هِيَ: حيوانٌ يُخْرَجُ مِنَ الْأَرْضِ، عِنْدَ فَسَادِ النَّاسِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، فَيُكَلِّمُ النَّاسَ بِلِسَانٍ نَاطِقٍ مَفْهُومٍ، بِمَا أَرَادَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

(١) رواه مسلم في كتاب الذِّكْرِ وَالِدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، بَابُ اسْتِحْبَابِ الْاسْتِغْفَارِ وَالِاسْتِغْفَارِ مِنْهُ، بِرَقْم: (٢٧٠٣).

(٢) فتح الباري ١١/٣٥٥.

ب- وَرَدَ ذِكْرُ الدَّابَّةِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَاِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ (٨٢) [النمل: ٨٢].

قال العلماءُ رحمنا الله وإياهم: معنى ﴿وَاِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ﴾: وجب الوعيدُ عليهم لتماديهم في العصيان، وإعراضهم عن آياتِ الله، فإذا صاروا كذلك: ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ﴾ أي: دابةٌ تعقلُ وتَنطِقُ، ت- خروجُ الدَّابَّةِ متزامنٌ معَ طلوعِ الشمسِ من مغربها، لا يُدرى أيُّهما يسبقُ الآخر، ولكنهما يخرجانِ في زمنٍ متقاربٍ جداً.

ث- هذه الدَّابَّةُ مخلوقٌ له قوائم، والغالبُ أنها أربعُ قوائمٍ كما رُوي عن جماعةٍ من السلفِ رحمنا الله وإياهم، ومن أهمِّ صفاتها: الكلامُ المفهومُ الذي تُكَلِّمُ به الناسَ، وهذا من العجائب، وقد ذُكرَ في وصفها تهويلاتٌ كثيرةٌ تشبهُ الأساطيرَ، ولم يثبت في هذا خبرٌ صحيحٌ عن المعصوم عليه السلام، فالواجبُ السكوتُ عن ذلك؛ لأنه من علم الغيب.

ج- هذه الدَّابَّةُ تُمَيِّزُ الكافرينَ والمنافقينَ عن المسلمين، وذلك
بوسْمِهِمْ على أنوفِهِمْ وسَمًا اللهُ أعلمُ بصفَتِهِ، ولكنه يبقى
عليهم لا يُفَارِقُهُمْ^(١).

٨، ٩، ١٠ - ثَلَاثَةُ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ
بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ.

أ- الخُسُوفُ جمعُ خَسْفٍ وهو: ذهابُ الشيءِ أو المكانِ في
الأرضِ، وغيابه فيها، ومنه قوله تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ
الْأَرْضَ﴾ [القصص: ٨١].

ب- ثَبَتَ ذِكْرُ هَذِهِ الْخُسُوفَاتِ الثَّلَاثِ فِي حَدِيثٍ حَذِيفَةٍ بِنِ
أَسِيدٍ رضي الله عنه السَّابِقِ، وَفِيهِ: «وَتَلَاثَةُ خُسُوفٍ: خَسْفٌ
بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ».

ت- هَذِهِ الْخُسُوفَاتُ الثَّلَاثَةُ لَمْ تَقَعْ بَعْدُ، وَهِيَ مِنْ عِلَامَاتِ
السَّاعَةِ الْكُبْرَى، وَالظَّاهِرُ أَنَّهَا خُسُوفَاتٌ عَظِيمَةٌ كَبِيرَةٌ تَقَعُ
فِي مَشْرِقِ الْأَرْضِ، وَفِي مَغْرِبِهَا، وَفِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَتَكُونُ

(١) رواه أحمد ٦٤٦/٣٦ (٢٢٣٠٨)، والبخاري في التاريخ الكبير ١٧٢/٦، وأبو نعيم في أخبار أصبهان ١٢٤/٢، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣٢٢)، وقوله: «ثُمَّ يَعْمُرُونَ فِيكُمْ»: من العَمْرَةِ، وهي الزحمة من الناس، والجمع غمار. (ينظر لسان العرب (غمر). وقوله في الرواية الأخرى: «ثُمَّ يَعْمُرُونَ فِيكُمْ»: أي: تطول أعمارهم.

في زَمَنٍ واحدٍ أو أزمانٍ مُتقاربة؛ لأن النبي ﷺ جمع بينها في سياق واحد، وهذا يشهد لترابطها وتقاربها.

ث - سَبَبُ هذه الحُسوفاتِ الثلاثِ ازديادُ المعاصي والبُعدُ عن الله تعالى، حتى يكثرَ في هذه المواضع ويعمَّها، فيَحْسِفُ اللهُ تعالى بهم.

١١ - نَارُ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ

- أ - النارُ التي تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ هي:
- نَارُ تَخْرُجُ مِنْ بَلَدَةِ عَدَنَ الْيَمَنِ، تسوقُ النَّاسَ في آخرِ الزمانِ إلى أرضِ الشامِ، وهي أرضُ المحْشَرِ.
- ب - ثَبَتَ ذِكْرُ هذه النارِ في حديثِ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ رضي الله عنه السابق أن النبي ﷺ قال: «فِي السَّاعَةِ: «إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرُونَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ»....
- فَذَكَرَ مِنْهَا: «وَأَخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ». رواه مسلم^(١).

(١) رواه مسلم في كِتَابِ الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ، بَابُ فِي الْآيَاتِ الَّتِي تَكُونُ قَبْلَ السَّاعَةِ، برقم: (٢٩٠١).

وفي رواية له: «... وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قُعْرَةِ عَدْنٍ، تَرْحَلُ النَّاسَ...»^(١).

وفي رواية له أيضاً: «تَنْزِلُ مَعَهُمْ إِذَا نَزَلُوا، وَتَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا».

ت- الحشرُ المذكورُ في هذا الحديثِ غيرُ الحشرِ الذي يكون يومَ القيامة، وإنما هو حشرٌ يكون قُبَيْلَ قِيَامِ السَّاعَةِ، يُحْشَرُ فِيهِ بَقِيَّةُ النَّاسِ الَّذِينَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَى أَرْضِ الْحَشْرِ، وَهِيَ الشَّامُ؛ كَمَا دَلَّ عَلَى هَذَا عِدَّةُ أَحَادِيثَ صَحِيحَةٍ^(٢).

(١) «قُعْرَةُ» بضم القاف، وَمَعْنَاهُ: مِنْ أَقْصَى قَعْرِ أَرْضِ عَدْنٍ، وَ«عَدْنُ» مَدِينَةٌ مَعْرُوفَةٌ بِالْيَمَنِ، وَهِيَ الْآنَ قَلْبُ حَضْرَمَوْتِ، وَقَوْلُهُ: «تَرْحَلُ النَّاسَ» هُوَ بَفَتْحِ التَّاءِ وَإِسْكَانِ الرَّاءِ وَفَتْحِ الْحَاءِ الْمُخَفَّفَةِ، وَمَعْنَاهُ: تَأْخُذُهُمْ بِالرَّحِيلِ وَتُزْعِجُهُمْ، وَيَجْعَلُونَ يَرْحَلُونَ قُدَّامَهَا. (ينظر: شرح النووي على مسلم ٢٨/١٨ - ٣٠).

(٢) ينظر: أشراط الساعة، يوسف الوابل ص ٣٣١.

الدرس الحادي عشر: قيام الساعة وما بعده

٣- قيام الساعة، وانتهاء الحياة على هذه الدنيا بالنفخة الأولى في الصور.

تنتهي الحياة على هذه الدنيا بقيام الساعة، وهي آتية بلا شك، في يوم عظيم لا يعلم وقته أحد إلا الله تعالى، ولم يطلع عليه نبي مرسل، ولا ملك مقرب.

وتتسلسل الأحداث في نهاية الدنيا كما يلي:

أ- تأتي ريح طيبة في آخر الدنيا، فيموت كل موحد، فلا يبقى في الأرض إلا أهل الشرك والكفر، ممن لا يعرفون الله تعالى، وعلى هؤلاء تقوم الساعة، وهذا من رحمة الله بعباده المؤمنين أن قبضهم قبل أهوال القيامة.

ب- تقوم الساعة في آخر يوم من أيام الدنيا وهو يوم الجمعة، فتزلزل الأرض كلها، وتموج وتضطرب اضطراباً شديداً لم يحصل من قبل، وتندك الجبال الراسيات، وتكور الشمس وينخسف القمر ويذهب ضوءهما، وتساقط النجوم والكواكب، وتشقق السماء، ويحدث فزع شديد يصبح الناس فيه مثل السكران حتى تسقط الحامل حملها، وتذهل

المرضعة عن وليدها.

ت- يأمر الله تعالى إسرافيل عليه السلام أثناء هذه الأحداث أو قبلها مباشرة أن ينفخ في الصُّور (النَّفْخَةُ الأولى)، وهي نَفْخَةُ الصَّعَقِ، فإذا نَفَخَ فيه ماتت جميعُ المخلوقاتِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [الزُّمَر: ٦٨].

٤- البعثُ، وهو إحياء الموتى حين ينفخ في الصُّور النفخةُ الثانيةُ، فيقوم الناس لرب العالمين

يُنفخُ في الصُّور (النَّفْخَةُ الثانيةُ)، وهي نَفْخَةُ البعثِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ فِي يَوْمٍ نَظُرُونَ﴾ [الزُّمَر: ٦٨].

٥- الحشرُ

أ- الحشرُ هُوَ: جَمْعُ الخَلَائِقِ بَعْدَ بَعْثِهَا، فِي أَرْضِ المَحْشَرِ، لِلْحِسَابِ.

ب- يحشرُ الله تعالى الناسَ يَوْمَ القِيَامَةِ جميعاً في أرضِ المحشرِ.

ت- أرضُ المحشرِ كبيرةٌ منبَسِطَةٌ، تَسَعُ الناسَ جميعاً، تَسْمَى: (السَّاهِرَةُ).

ث- يُحْشَرُ النَّاسُ جَمِيعًا حُفَاةً، عُرَاةً، غُرُلًا، يَعْنِي: غَيْرَ مَخْتُونِينَ، الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ مَعًا، وَكُلٌّ مَشْغُولٌ بِنَفْسِهِ، لَا يَكَادُ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ.

ج- تَدْنُو الشَّمْسُ مِنَ الْخَلَائِقِ مِقْدَارَ مِيلٍ، فَيَشْتَدُّ الْحَرُّ عَلَى النَّاسِ، وَيَتَصَيَّبُونَ عَرَقًا بِحَسَبِ أَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبِيَّةٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتِيَّةٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوِيَّةٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِلْجَامًا^(١).

ح- يَحْصُلُ لِلنَّاسِ خَوْفٌ رَهِيبٌ فِي هَذَا الْمَوْقِفِ، فَيَسْتَغِيثُونَ بِآدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأُولَى الْعِزْمِ مِنَ الرُّسُلِ لَكِي يَشْفَعُوا لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى لِيَرْجَحَهُمْ مِنْ هَذَا الْمَوْقِفِ، وَيَعْجَلَ بِحِسَابِهِمْ، فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ يُحِيلُهُمْ إِلَى غَيْرِهِ، حَتَّى يَأْتِيَ النَّاسُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَيَقُولُ: «أَنَا لَهَا، أَنَا لَهَا»، ثُمَّ يَشْفَعُ لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، وَتُقْبَلُ شَفَاعَتُهُ.

٦- الشَّفَاعَةُ

الشَّفَاعَةُ فِي الْآخِرَةِ هِيَ: سُؤَالُ اللَّهِ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْفَعَةً لِلْعِبَادِ أَوْ بَعْضِهِمْ، كَتَعْجِيلِ الْحِسَابِ، أَوْ دُخُولِ الْجَنَّةِ، أَوْ رَفْعَةِ الدَّرَجَاتِ فِيهَا، أَوْ

(١) ينظر: صحيح مسلم في كتاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، بَابٌ فِي صِفَةِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَعَانَنَا اللَّهُ عَلَى أَهْوَالِهَا، بَرَق: (٢٨٦٤).

الخروج من النار، أو تخفيف عذابها.

أقسام الشَّفَاعَةِ الْمُثَبَّتَةِ^(١) يومَ القيامةِ

الشَّفَاعَةُ الْمُثَبَّتَةُ يومَ القيامةِ قِسْمَانِ:

القِسْمُ الأولُ: شفاعَةُ خاصَّةٍ بالنبيِّ ﷺ، وهي أنواعٌ منها:

١. الشَّفَاعَةُ العُظمى، وهي التي تقدم ذكرها.
٢. شفاعَةُ النبيِّ ﷺ في أهل الجنة أن يدخلوها.
٣. شفاعَةُ النبيِّ ﷺ في عمِّه أبي طالب أن يخففَ عنه العذاب.

القِسْمُ الثاني: شفاعَةُ عامَّةٍ مِنَ النبيِّ ﷺ وَمِنْ غَيْرِهِ مِمَّنْ يَأْذَنُ اللَّهُ لَهُمْ

بالشفاعة، كالأنبياء عليهم السلام، والملائكة الكرام، والشهداء، والمؤمنين، وهي أنواع منها:

١. الشَّفَاعَةُ فِيمَنْ اسْتَحَقَّ النَّارَ مِنْ عَصَاةِ أَهْلِ التَّوْحِيدِ أَنْ لَا يدخلوها.
٢. الشَّفَاعَةُ فِيمَنْ دَخَلَ النَّارَ مِنْ عَصَاةِ أَهْلِ التَّوْحِيدِ أَنْ يُخْرِجَ مِنْهَا.

(١) وأما النوع الثاني من الشفاعاة، وهي: الشَّفَاعَةُ الْمُثَبَّتَةُ، وتسمَّى: (الشَّفَاعَةُ الشَّرَكِيَّةُ)، وهي: التي تُطْلَبُ مِنْ غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى، فهذه الشَّفَاعَةُ باطلة، وقد أبطلها الله تعالى ونفأها، فلا وجودَ لها يومَ القيامة.

٧- الحسابُ، وأن كلَّ عبدٍ يُحاسبُ على عمله

أ- الحسابُ هو: أن يعرضَ اللهُ تعالى على عِبَادِهِ أعمالَهُم الحسنةَ والسيئةَ في أرضِ المَحْشَرِ، ويؤْتِيهِم كُتُبَ أَعْمَالِهِمْ، فيها حسَنَاتُهُمْ وسيئاتُهُمْ، ويُسألُهُم عنها، ويدكِّرُهُم بها^(١).
ب- الحِسَابُ نوعان:

الأولُ: الحِسَابُ اليَسِيرُ، ويسمَّى أيضًا: العَرْضُ، وهو: عرضُ أعمال العبد عليه دون مناقشة ولا تدقيق، ثم يعفو اللهُ عنه ويدخله الجنةَ، وهذا الحِسَابُ للتَّاجِينَ.

الثاني: الحِسَابُ العَسِيرُ أو الشَّدِيدُ، ويسمَّى أيضًا: مناقشةُ الحِسَابِ، وهو: مناقشةُ اللهِ تعالى لعبده في أعماله، وتدقيقه عليه فيها، فيسألُ عن كلِّ صَغِيرَةٍ وكَبِيرَةٍ، ولا يُقبلُ منه عُذْرٌ، وهذا الحِسَابُ لِلْهَالِكِينَ.

٨- الحوضُ

أ- الحوضُ هو: مُجْتَمَعُ ماءٍ، في عَرَصاتِ الْقِيَامَةِ، خاصٌّ بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، تَرُدُّ عَلَيْهِ أُمَّتُهُ.

(١) يستثنى من الحساب من يدخلون الجنة بغير حساب؛ فهم لا حساب عليهم.

ب- تواترت الأحاديث عن النبي ﷺ في إثبات حوضه يوم القيامة، ومن ذلك حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن: النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، [وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ]، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكِزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلَا يَظْمَأُ أَبَدًا». متفق عليه^(١).

ت- للحوض صفات منها:

١. حَوْضٌ عَظِيمٌ فِي غَايَةِ الْإِتْسَاعِ، مَرَبَّعُ الشَّكْلِ عَرْضُهُ وَطُولُهُ سَوَاءٌ، طُولُهُ شَهْرٌ، وَعَرْضُهُ شَهْرٌ، وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ.
٢. أَنِيتُهُ مِثْلُ نُجُومِ السَّمَاءِ فِي كَثَرَتِهَا وَاسْتِنَارَتِهَا.
٣. مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ.
٤. فِيهِ مِيزَابَانِ يَصْبَانِ فِيهِ، أَحَدُهُمَا مِنْ ذَهَبٍ، وَالثَّانِي مِنْ فِضَّةٍ، يُمَدَّانِهِ مِنْ نَهْرِ الْكَوْثَرِ، وَهُوَ نَهْرٌ مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ لَنَبِيِّنَا ﷺ.
٥. يَرُدُّهُ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَّا مَا دَلَّ الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّهُمْ يُطْرَدُونَ عَنْهُ، كَأَصْحَابِ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ الْمُضِلَّةِ كَالْخَوَارِجِ، وَالرَّوَافِضِ، وَالْمُعْتَزِلَةِ.

(١) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب في الحوضين برقم: (٦٢٠٨)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبيينا ﷺ وصفاته، برقم: (٢٢٩٢)، والزيادة بين معقوفين من روايته، ولفظه: «أَبْيَضُ مِنَ الْوَرَقِ».

٦. مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا.

٩- الميزان، وتطابير الصُّحُف

أ- الميزانُ هو: ما يضعُّه الله يومَ القيامةِ لوزنِ أعمالِ العبادِ.
وهو ميزانٌ حَقِيقِيٌّ لَهُ كِفَتَانِ.

ب- توزنُ به أعمالُ العبادِ: الحسناتُ والسيئاتُ، فَمَنْ رَجَحَتْ
حسنائهُ فهو من أهل الجنة، وَمَنْ رَجَحَتْ سيئاتهُ كان من
أهل النار.

ت- بعد وزن الأعمال تتطابير صُحُفُ الأعمال، فأخذُ كتابه
باليمين، وهم أهل الجنة، وآخذُ كتابه بيساره من وراء
ظهره، وهم أهل النار.

١٠- الصِّراطُ

أ- الصِّراطُ هو: جِسْرٌ ممدودٌ على مَتْنِ جَهَنَّمَ، يَعْبُرُ النَّاسُ عَلَيْهِ
إِلَى الْجَنَّةِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَتَجَاوَزُهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْقُطُ فِي جَهَنَّمَ.
ويسمَّى: الجِسْرُ، وجِسْرُ جَهَنَّمَ.

ب- من صفاتِ الصِّراطِ:

١. أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرَةِ، وَأَحَدٌ مِنَ السَّيْفِ أَوْ الْمَوْسَى.
 ٢. وَهُوَ مَذْحَضَةٌ مَزَلَّةٌ^(١).
 ٣. لَا يَصْعَدُ الصِّرَاطَ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ، أَمَّا الْكَفَّارُ فَإِنَّهُمْ يُسَاقُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَيُلْقَوْنَ فِيهَا.
- ت-يختلفُ الناسُ في مُرورهم على الصِّرَاطِ على حَسَبِ إِيْمَانِهِمْ وَعَمَلِهِمُ الصَّالِحِ، وَبِحَسَبِ ذَلِكَ يُضِيءُ لِكُلِّ مِنْهُمْ مِنَ النُّورِ مَا يَتِمَكَّنُ بِهِ مِنْ سُرْعَةِ الْمَسِيرِ: فَمِنْهُمْ مَنْ: يَمُرُّ كَاطِرٍ، الْعَيْنِ، وَمِنْهُمْ كَالْبَرْقِ، وَمِنْهُمْ كَالرَّيْحِ، وَمِنْهُمْ كَالطَّيْرِ، وَمِنْهُمْ كَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ، وَمِنْهُمْ كَأَشَدِّ الرِّجَالِ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفًا، حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحَبًا.
- ث-على الصِّرَاطِ خَطَاطِيفٌ وَكَالَالِبُ مُعَلَّقَةٌ، مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنْ أَمَرَتْ بِهِ، فَالنَّاسُ مِنْهَا عَلَى ثَلَاثَةِ أَصْنَافٍ: فَمِنْهُمْ: نَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَمِنْهُمْ: مَخْدُوشٌ نَاجٍ، وَمِنْهُمْ: مَكْدُوشٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ^(٢).

(١) قال الحافظ: أي: زلق، تزلق فيه الأقدام. اهـ (فتح الباري ١١/٤٥٤).

(٢) المَخْدُوش: المَخْمُوش، ولكنه ينجو من السقوط في النار، والمَكْدُوش هو: المصروع المدفوع الساقط في النار.

الدرسُ الثاني عشر: الجزاء يوم القيامة: الجنة والنار

١١ - الجزاء، وأن كلَّ عبدٍ يجازى على عمله،
ويَتَضَمَّنُ: الإيمانُ بالجنة وما فيها من النعيم، والنار وما
فيها من العذاب.

أولاً: الجنة

المراد بالجنة

الجنة لغة: البُستان، والحديقة.

والمرادُ بها هنا: الدَّارُ التي أَعَدَّهَا اللهُ تعالى في الآخرة، جزاءً لِعِبَادِهِ
الْمُتَّقِينَ.

صفات الجنة:

أ - أَعَدَّ اللهُ تعالى لِعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ فِي الْجَنَّةِ أنواعَ اللَّذَاتِ
وَالطَّيِّبَاتِ، لَا تُرَدُّ لَهُمْ فِيهَا رَغَبَةٌ ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾
﴿٣٥﴾ [ق: ٣٥].

وعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلَّى الله عليه وآله: «قَالَ اللهُ تَعَالَى:
أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ،
وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَقْرَأُوا إِنَّ

شَيْئٌ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةٍ﴾ [السجدة: ١٧].
متفق عليه^(١).

ب- ليس في الجنة بُؤْسٌ ولا شَقَاءٌ.

ت- أهل الجنة لا تَبْلَى ثِيَابُهُمْ، ولا يَفْنَى شَبَابُهُمْ.

ث- أراح الله أهل الجنة من همِّ الموتِ فذبحه بين أيديهم فما عَادُوا يُفَكِّرُونَ فِيهِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُمْ: «يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ».

ج- أراح الله أهل الجنة من همِّ الأوساخ والقاذورات، وهم إخراجها والتَّنَظُّفُ مِنْهَا، فهم لا يَبُولُونَ، ولا يَتَغَوَّطُونَ، ولا يَمْتَخِطُونَ، ولا يَتَّقِلُونَ، وعرقهم المِسْكُ.

ح- سِلْعَةُ اللَّهِ الْجَنَّةُ، وهي سِلْعَةٌ ثَمِينَةٌ لَا تُمْنَحُ لِكُلِّ أَحَدٍ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ خَافَ أَدْلَجَ، وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الْجَنَّةُ». رواه الترمذي^(٢).

(١) رواه البخاري في كتاب التفسير، تفسير سورة السجدة، باب قوله: (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةٍ أَعْيُنٍ)، برقم: (٤٥٠١)، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، برقم: (٢٨٢٤).

(٢) رواه الترمذي في أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، باب رقم (١٨)، برقم: (٢٤٥٠) وقال: هذا حديث حسن غريب، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم: (٩٥٤)، (٢٣٣٥)، ومعنى «أَدْلَجَ»: سَارَ مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ، (النهاية في غريب الحديث والأثر ١٢٩/٢).

خ- الجنة سهلة قريبة المال، ولكنها تحتاج من طلابها أن يؤثروها على الدنيا، وثمرتها بين أيدينا، لا يعجز عنه أحد، وقد بينه النبي ﷺ كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى!»، قالوا: يا رسول الله، ومن يأبى؟ قال: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى». رواه البخاري^(١).

د- الجنة درجات كثيرة بعضها فوق بعض، وأهلها متفاضلون فيها بحسب منازلهم فيها، وأعلى درجات الجنة الفردوس.

ثانيًا: النار

المراد بالنار

المراد بها هنا: الدار التي أعدّها الله تعالى في الآخرة، عقاباً لمن كفر به وعصاه.

صفات النار:

أ- النار عظيمة الخلقة، مترامية الأطراف، وهي شاسعة واسعة، عميقة جدًا، قعرها بعيد.

(١) رواه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، برقم: (٦٨٥١).

ب- يساقُّ أهلُ جهنَّمَ إليها عِطَاشًا، كما قالَ اللهُ تعالى: ﴿وَسَوْقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًا﴾ [مريم: ٨٦]، يعني: عطاشًا، فتكونُ تُحَفَّتُهُمْ أَوَّلَ مَا يَدْخُلُونَهَا: الأكلُ مِنَ الرِّقُومِ، والشُّربُ مِنَ الحَمِيمِ.

ت- طَعَامُ أَهْلِ النَّارِ أنواعٌ كُلُّهَا مِنَ نارٍ، وهنَّ عذابٌ عليهم، فلا هم يجدون لذته، ولا ينتفعون به، ولا يسدُّ جوعهم، ويتجرَّعونَه فيَعْصُونَ به، ويُلهِبُ وجوههم وأمعاءهم، ومن أنواعه:

١. الرِّقُومُ: وهي شَجَرَةٌ خَبِيثَةٌ فِي النَّارِ، ثَمَرُهَا قَبِيحُ الْمَنْظَرِ كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ، وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَرَائِحَتُهَا كَرِيهَةٌ.
٢. الصَّرِيعُ، وَهُوَ: نَبْتُ ذُو شَوْكٍ مِنْ شَرِّ الطَّعَامِ وَأَخْبِثِهِ، وَهُوَ سُمٌّ قَاتِلٌ.

٣. الْعَسَاقُ، وَالْغَسْلِينُ، وَهُوَ: سَائِلٌ مُتَنُّ شَدِيدُ التَّنَنِ، أَسْوَدُ شَدِيدُ الظُّلْمَةِ، اجْتَمَعَ مِمَّا يَسِيلُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ مِنَ الْقَيْحِ وَالصَّدِيدِ وَالْعَرَقِ وَالْذُّمُوعِ، وَفُرُوجِ الزَّوَانِي.

ث- شَرَابُ أَهْلِ النَّارِ أنواعٌ كُلُّهَا مِنَ نارٍ، يتجرَّعونَه تجرُّعًا ولا يُسَيِّغُونَ طَعْمَهُ وَلَا رَائِحَتَهُ، وَلَكِنْ لَا بَدَّ لَهُمْ مِنْهُ عَذَابًا وَسُخْطًا مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَمِنْ أَنْوَاعِهِ:

١. الحميم، وهو الماء الحار الذي بلغ غاية الحرارة ومنتهاها،
فليس بعده أحر منه.

٢. الماء الصديد، وهو: ما يسيل من لحوم أهل النار
وجلودهم، وأجوافهم، وهو مُنتِنٌ شديد التّن، وفي غاية
الحرارة.

٣. الماء الذي كالمهل، وهو شراب يشبه الماء في سيالته إلا
إنه عكرٌ مظلم، شديد التثوّنة، شديد الحرارة، كالزيت
الحارّ بالغ الحرارة.

ج- دركات النار: النار دركات لا يعلم عددها إلا الله تعالى،
بعضها أسفل من بعض، آخرها الدرك الأسفل من النار،
وهي خاصة بالمنافقين.

الخوف من النار والحذر منها

يجب على المسلم أن يخاف عذاب النار، ويحذر منه، قال الله تعالى:
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ
غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦].
وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «اتَّقُوا النَّارَ»، ثم
أعرض وأشاح، ثم قال: «اتَّقُوا النَّارَ»، ثم أعرض وأشاح ثلاثاً حتى ظننا

أنه ينظرُ إليها، ثُمَّ قَالَ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ ثَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فِيكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ». متفق عليه^(١).

وتسنُّ الاستِعادةُ مِنْ عَذَابِ النَّارِ مطلقاً، في كلِّ وقتٍ وحالٍ، كما تسنُّ الاستِعادةُ مِنْ عَذَابِ النَّارِ في نهاية التَّشَهُّدِ في الصلاة.

خلود أهل الدارين

كَتَبَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى أَهْلِ الدَّارَيْنِ الْخُلُودَ فِيهَا، فَأَهْلُ الْجَنَّةِ خَالِدُونَ فِيهَا، وَأَهْلُ النَّارِ خَالِدُونَ فِيهَا، وَقَدْ ذَبَحَ اللَّهُ تَعَالَى الْمَوْتَ، فَلَا مَوْتَ فِي الْآخِرَةِ لِأَحَدٍ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ سَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ (١٠٦) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (١٠٧) ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُوزٍ﴾ (١٠٨) [هود: ١٠٦ - ١٠٨].

(١) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب من نوقش الحساب عذب، برقم: (٦١٧٤)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق ثمرة أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار، برقم: (١٠١٦).

الدرس الثالث عشر:

الركن السادس: الإيمان بالقدر خيره وشره

تعريف القدر

القدر هو: عِلْمُ اللَّهِ تعالى لِلْأَشْيَاءِ قَبْلَ حُدُوثِهَا، وَكِتَابَتُهُ لَذَلِكَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، وَمَشِيئَتُهُ، وَخَلْقُهُ لَهَا.
وَيُسَمَّى الْقَضَاءُ أَيْضًا، وَكَثِيرًا مَا يُقَرَّنُ بَيْنَهُمَا فَيَقَالُ: الْقَضَاءُ وَالْقَدَرُ.

وجوب الإيمان بالقضاء والقدر

أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى وَجُوبِ الْإِيمَانِ بِالْقَدَرِ، وَأَنَّهُ رَكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ لَا يَصِحُّ إِيْمَانُ أَحَدٍ دُونَ أَنْ يُؤْمِنَ بِهِ، وَيَسْلَمَ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ، وَقَدْ تَظَاهَرَتْ نصوص الكتاب والسنة على هذا.

ومن الأدلة على ذلك:

١. قول الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].
٢. حديثُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه فِي حَدِيثِ جَبْرِيلَ أَنَّهُ سَأَلَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم عَنِ الْإِيمَانِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، قَالَ: صَدَقْتَ. رواه مسلم^(١).

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب بَيَانِ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ وَالْإِحْسَانِ، برقم: (٨).

حَقِيقَةُ الْقَدَرِ الَّذِي يَجِبُ عَلَيْنَا الْإِيمَانُ بِهِ

حَقِيقَةُ الْقَدَرِ الَّذِي يَجِبُ عَلَيْنَا الْإِيمَانُ بِهِ هِيَ: أَنْ نَعْتَقِدَ أَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ عَالِمٌ مَا الْعِبَادُ عَامِلُونَ، قَبْلَ أَنْ يُوْجِدَهُمْ، وَأَنَّهُ كَتَبَ ذَلِكَ عِنْدَهُ، وَأَنَّ أَعْمَالَ الْعِبَادِ خَيْرُهَا وَشَرُّهَا مَخْلُوقَةٌ لِلَّهِ وَاقِعَةٌ بِمَشِئَتِهِ، وَأَنَّ ضَلَالَهُمْ وَاهْتِدَاءَهُمْ كُلُّ ذَلِكَ صَادِرٌ عَنْ مَشِئَتِهِ، فَمَا شَاءَ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَأَنَّهُ لَا يَقَعُ شَيْءٌ فِي الْكَوْنِ بِغَيْرِ عِلْمِهِ وَمَشِئَتِهِ جَلَّ فِي عِلَاهُ^(١).

حُكْمُ إِنْكَارِ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ

إِنْكَارُ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ كُفْرٌ، لَمَّا يَلِي:

١. مَا تَضَمَّنَهُ مِنْ تَكْذِيبِ الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ.
٢. مَا تَضَمَّنَهُ مِنْ إِنْكَارِ عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى بِالْأَشْيَاءِ قَبْلَ حَدُوثِهَا.
٣. أَنَّهُ إِنْكَارٌ لِرَكْنٍ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ السَّتَّةِ.

مَرَاتِبُ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ عِنْدَ أَهْلِ السَّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ

مَرَاتِبُ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ هِيَ: الْحَقَائِقُ التَّفْصِيلِيَّةُ لِلْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ، الَّتِي يَجِبُ الْإِيمَانُ بِهَا تَفْصِيلاً.

وَهِيَ أَرْبَعُ مَرَاتِبَ:

الْمَرْتَبَةُ الْأُولَى: الْعِلْمُ، وَمَعْنَاهَا: الْإِيمَانُ بِأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، وَأَنَّهُ قَدْ عَلِمَ أَعْمَالَ الْخَلْقِ قَبْلَ خَلْقِهِمْ.

وَالدَّلِيلُ عَلَيْهَا: قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ ﴿١٢﴾

(١) ينظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية ٣٥٧/١.

[الطلاق: ١٢].

المرتبة الثانية: الكتابة، ومعناها: الإيمان بأن الله سبحانه كتب مقادير كل شيء في اللوح المحفوظ.

والدليل عليها: قول الله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [النمل: ٧٥].

المرتبة الثالثة: المشيئة، ومعناها: الإيمان بأن جميع ما يجري في هذا الكون فهو بمشيئة الله تعالى.

والدليل عليها: قول الله تعالى: ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ [٢٨] وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ [التكوير: ٢٨ - ٢٩].

المرتبة الرابعة: الخلق، ومعناها: الإيمان بأن الله تعالى خالق كل شيء، ومن ذلك: أفعال العباد كلها، خيرها وشرها، فلا يقع شيء في هذا الكون إلا وهو خالقه جل وعلا.

والدليل عليها: قول الله تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢].

متى كتب الله المقادير؟

كتب الله المقادير في اللوح المحفوظ، قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ»، قَالَ: «وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ». رواه مسلم^(١).

مشيئة الخالق، ومشيئة المخلوق:

- أ- للعبد في أفعاله الاختيارية مشيئته، فهو يُطِيع بِمَشِيئَتِهِ، وَيَعْصِي بِمَشِيئَتِهِ، وَيَقُومُ بِمَشِيئَتِهِ، وَيَجْلِسُ بِمَشِيئَتِهِ، وَيَتَحَرَّكُ بِمَشِيئَتِهِ، وَيَسْكُنُ بِمَشِيئَتِهِ، لَا مُكْرَهَ لَهُ عَلَى شَيْءٍ مِنْ هَذَا فِعْلاً أَوْ تَرْكاً.
- ب- مشيئة العبد كلها داخلة تحت مشيئة الله تعالى وتابعة لها، وذلك أن العبد ومشيئته مخلوقان لله تعالى، فلا يشاء العبد إلا ما يريد الله تعالى، فكلُّ ما يفعله الإنسان من خيرٍ أو شرٍّ فهو بمشيئة الله وإرادته وخلقِهِ، فلا يحدث شيءٌ في الكون إلا بمشيئة الله وخلقِهِ، ولا يمكن أن يخرج شيءٌ في الوجود عن مشيئة الله وخلقِهِ، ولا يمكن أن يكون في ملكِ الله تعالى إلا ما أَرَادَهُ وشَاءَهُ، ولا يمكن للعبد أن يفعل شيئاً والله تعالى لا يريد له أن يكون، وكما أن الإنسان لا يخلق أفعاله بل الله خالقها، فكذلك مشيئته تابعة لمشيئة الله تعالى ومخلوقة له، فالله تعالى خالقُ المخلوقات، وخالقُ جميع أفعالهم خيرها وشرها.

قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩].

(١) رواه مسلم في كتاب القدر، بَابُ حِجَاجِ آدَمَ وَمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، برقم: (٢٦٥٣).

الفرق بين الإرادة (المشيئة) والمحبة

يترتب على ما تقدم: أن الله تعالى يريد الإيمان من المؤمن ويشاؤه، ويريد الكفر من الكافر ويشاؤه، ولكنه يحب الإيمان ويرضاه، ولا يحب الكفر ولا يرضاه، فهو يأمر بالإيمان شرعاً ويحبه كوناً، وينهى عن الكفر شرعاً ولا يحبه كوناً، ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَنِّي عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الزمر: ٧].

الدرس الرابع عشر: قواعد مهمة في الإيمان بالقضاء والقدر

تمهيد

هذه بعض القواعد المهمة في موضوع الإيمان بالقضاء والقدر، وهي قواعد مفيدة من فهمها زال عنه كثير من إشكال هذا الباب.

قواعد مهمة في الإيمان بالقضاء والقدر

القاعدة الأولى: حقيقة القدر التي تزيل الإشكال أن الله تعالى

كتب مقادير الخلائق بسابق علمه بما الخلق عاملون.

وبيان هذه القاعدة: أن الله تعالى كتب مقادير الخلائق قبل خلق الخلق بخمسين ألف سنة، وكانت كتابته لذلك بسابق علمه بما الخلق عاملون، فكتب علمه بذلك، ولهذا قال للقلم: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة.

وذلك أن الله تعالى عالم بما كان، وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، فعلمه محيط بكل الأشياء صغيرها وكبيرها، ظاهرها وخفيها، سرها وجهرها، ولهذا كان السلف رحمنا الله وإياهم يناظرون القدريّة بعلم الله تعالى، فإن أقرّوا به خُصِموا، وإن أنكروه كفروا، قال الله

تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٤].

القاعدة الثانية: الإنسان مخير في أفعاله ليس مجبراً على شيء

منها، فهو يطيع باختياره، ويعصي باختياره.

وبيان هذه القاعدة: أن للعبد في أفعاله الاختيارية مشيئته، فهو يطيع بِمَشِيئَتِهِ، ويعصي بِمَشِيئَتِهِ، ويقوم بِمَشِيئَتِهِ، ويجلس بِمَشِيئَتِهِ، ويتحرك بِمَشِيئَتِهِ، ويسكن بِمَشِيئَتِهِ، لا مُكره له على شيء من هذا فعلاً أو تركاً، وذلك لأن الله تعالى لم يجبر أحداً على فعل الطاعة ولا المعصية، ولكنه جل وعلا قد أرشد العباد لكلا الطريقين، وحثهم على سلوك طريق الخير، وتجنب طريق الغواية، وكل أحد يشعر في نفسه ضرورة أنه يعمل العمل أو يتركه بلا جبر على شيء بل باختياره المطلق، قال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣].

القاعدة الثالثة: الثواب والجزاء على أفعال الإنسان

الاختيارية، دون ما يحصل له بغير اختياره.

وبيان هذه القاعدة: أن الحساب والعقاب والإثابة والجزاء كائنان على ما يفعله الإنسان بقدرته وإرادته، ولهذا كانت الأمور بمقاصدها، فلا يحاسب الإنسان على ما يحصل له بغير إرادته واختياره، مثل: المصائب عموماً، كالمرض، والموت، وسقوط شيء عليه، وارتطام شيء به.

بل إن الله تعالى رفع عن الإنسان ما يفعله باختياره إذا كان سهواً أو نسياناً رحمةً منه بعباده، وعلماً منه بنقصهم وضعفهم. ولهذا أيضاً رفع الله تعالى التكليف عن الإنسان في حال نقص إرادته أو تخلفها، مثل: المجنون، والنائم، والمغمى عليه، والسفيه، والصبي، فهل من العقل أن يظن الإنسان نفسه مجنوناً دائماً، قد رفعت عنه التكاليف؛ كما هو لازم ما يظنه الجبرية الضلال.

القاعدة الرابعة: أن الله حكيم عدل لا يظلم مثقال ذرة.

وبيان هذه القاعدة: أن تعذيب الله للخلق بما عملوا لا يمكن أن يكون فيه ظلم لأحد، وإضلاله لمن ضل منهم لا يمكن أن يكون فيه ظلم لأحد، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠].

وقال الله تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُوَقِّلْنَا مَا لَ هَذَا أَلْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

فإن عجزت عن فهم القدر السابق، وهداية الله للمهتدين، وإضلاله الضالين، فتجاوز هذا ولا تتفكر فيه، واعلم أن الله تعالى لم يضل إلا من استحق الضلالة، ولم يعذب إلا من استحق العذاب، مستصحباً كمال عدله جل في علاه، وغناه عن تعذيب أحد من خلقه، وأنه ليس بينه وبين

أحد من خلقه عداوة إلا من زاغ عن سبيله، واستكبر على طاعته، وكذب رسله عليهم السلام، ورد هداية الله له.

القاعدة الخامسة: يجوز للإنسان الاحتجاج بالقدر في المصائب

دون المعاييب.

وبيان هذه القاعدة: أن ما يصيب الإنسان نوعان:

النوع الأول: مصائب في نفسه وماله وولده، مثل: الموت، والمرض، وحوادث السيارات، والطائرات، والإصابة بالعاهات والإعاقات، وهذه يجوز للإنسان أن يحتج عليها بالقدر فيقول: قدر الله وما شاء فعل، هذا قدر الله، ليس لنا من قدر الله مفر، هذا ما كتبه الله علينا، ونحو ذلك، بل الواجب عليه التسليم لما قدره الله وقضاه، وعدم الاعتراض على قضاء الله وقدره.

النوع الثاني: معاييب في دينه وخلقه، مثل: الكفر، والشرك، والبدعة والمعاصي بأنواعها، وهذه لا يجوز للإنسان أن يحتج عليها بالقدر فيقول: لو شاء الله ما أشركت، ولو شاء الله ما كفرت، ولو شاء الله ما ابتدعت، ولو شاء الله ما عصيت، وكل هذا باطل من القول، وهو محرم ومنكر وزور، لأن كل هذه المعاييب من كسب العبد، إن شاء فعلها، وإن شاء تركها، وقد بين الله له طريق الحق ليسلكه، وطريق الباطل ليتركه، وأرسل رسله بذلك مبشرين ومنذرين، فما لأحد أن يعتذر عن باطله بالقدر، لأنه لا مجبر له، وإنما القدر علم الله السابق بفعله، لا مجبر له على شيء منه،

وكل إنسان يجد في نفسه القدرة التامة على الفعل والترك.
والاحتجاج بالقدر على المعايير هي طريقة المشركين التي أنكرها الله تعالى، فمن فعل مثلهم من المسلمين فقد تشبه بهم، وكان فيه شعبة من شعب الشرك حتى يدعها، قال الله تعالى: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمًا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾﴾ [الأنعام: ١٤٨].

القاعدة السادسة: أن الشرائع جاءت بالأوامر والنواهي، وأن من

أطاع دخل الجنة ومن عصى دخل النار.

وبيان هذه القاعدة: أن جميع الشرائع السماوية قد اتفقت على الدعوة إلى الله تعالى بتوحيده، ونبذ الإشراك به والكفر، وأن من أطاع الرسل عليهم السلام دخل الجنة، ومن عصاهم دخل النار، كما إنها قد اتفقت جميعاً على الإيمان بالقضاء والقدر، ولا مخالفة بين هذا وهذا، إذ كلاهما من عند الله تعالى، فلو احتجَّ المبتدعُ وضعفُ الفهم وقليلُ العقل بالقدر على الكفر أو فعل المعاصي لكان مبطلاً للشرائع كلها، والشرع والقدر كلاهما من عند الله فلا تناقض بينهما، وإنما التناقض في الأفهام الضعيفة، أو العقول المريضة، أو النفوس المترعة بحب الشهوات الباطلة.

الدرس الخامس عشر: نواقض الإسلام

تعريف نواقض الإسلام

نواقض الإسلام هي: ما يخرج به المسلم من الإسلام إلى الكفر.

الأعمال التي تنقض الإسلام

الأعمال التي تنقض الإسلام كثيرة، وقد توسع العلماء رحمنا الله وإياهم في بيانها في كتب الفقه (في باب الردّة)، ولكن يمكن حصر الأعمال التي تنقض الإسلام في خمسة أنواع هي:

النوع الأول: ما ينقض الإسلام من اعتقادات وأعمال قلبية. ولها أمثلة منها:

١. جحد ربيّة الله، أو ألوهيته.
٢. إنكار البعث.
٣. إباحة الخمر أو الزنا.
٤. تصديق من يدّعي النبوة بعد محمد ﷺ.
٥. التوكّل على غير الله.
٦. محبة أحد كمحبة الله تعالى أو فوق محبته.

٧. خَوْفُ السِّرِّ مِنْ غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى^(١).
٨. اعتقادُ أنَّ هَدْيَ غَيْرِ النَّبِيِّ ﷺ أَكْمَلُ مِنْ هَدْيِهِ، أَوْ أَنَّ حَكْمَ غَيْرِهِ أَحْسَنُ مِنْ حَكْمِهِ، كَالَّذِي يُفَضِّلُ حَكْمَ الطَّوَاغِيتِ عَلَى حَكْمِهِ.
٩. عدمُ تَكْفِيرِ الْكَافِرِينَ وَالْمُشْرِكِينَ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالزُّنَّانِ وَغَيْرِهِمْ، أَوْ اعتقادُ صِحَّةِ مَذْهَبِهِمْ.
١٠. بغضُ شَيْءٍ مِمَّا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ.
١١. اعتقادُ أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَسَعُهُ الْخُرُوجُ عَنْ شَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ كَمَا وَسِعَ الْخَضِرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْخُرُوجُ عَنْ شَرِيعَةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

النَّوعُ الثَّانِي: مَا يَنْقُضُ الْإِسْلَامَ مِنَ الشَّكِّ. وَلَهَا أَمْثَلَةٌ مِنْهَا:

١. الشَّكُّ فِي رُبُوبِيَّةِ اللَّهِ، أَوْ أُلُوهِيَّتِهِ.
٢. الشَّكُّ فِي الْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ.
٣. الشَّكُّ فِي تَحْرِيمِ الْخَمْرِ أَوْ الزِّنَا.

(١) خَوْفُ السِّرِّ هُوَ: أَنْ يَخَافَ الْعَبْدُ مِنْ غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَصِيبَهُ مَكْرُوهٌ بِمَشِئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ وَإِنْ لَمْ يَبَاشِرْهُ، فَهَذَا شَرَكٌ أَكْبَرُ لِأَنَّهُ اعْتِقَادٌ لِلنَّفْعِ وَالضَّرَرِ فِي غَيْرِ اللَّهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (فَإِيَّايَ فَارْهَبُونَ)، وَقَالَ تَعَالَى: (فَلَا تَخْشَوْنَ النَّاسَ وَاخْشَوْنِي) (يَنْظُرُ: تَيْسِيرَ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ شَرْحَ كِتَابِ التَّوْحِيدِ ص ٢٤).

٤. الشُّكُّ فِي صِحَّةِ أَخْبَارِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.
٥. الشُّكُّ فِي صِدْقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.
٦. الشُّكُّ فِي كُفْرِ الْكَافِرِينَ وَالْمُشْرِكِينَ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى
وَالْوَثْنِيِّينَ وَغَيْرِهِمْ.

النَّوعُ الثَّالِثُ: مَا يَنْقُضُ الْإِسْلَامَ مِنَ الْأَقْوَالِ.

وَلَهَا أَمْثَلَةٌ مِنْهَا:

١. دَعَاءُ غَيْرِ اللَّهِ، أَوْ الاسْتِعَاثَةُ بِهِ، وَهُوَ مِنَ الشَّرْكِ الَّذِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ (المائدة: ٧٢).
٢. الاسْتِهْزَاءُ بِشَيْءٍ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ، كَالاسْتِهْزَاءِ بِالَّذِينَ نَفْسِهِ، أَوْ بِاللَّهِ تَعَالَى، أَوْ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، بِالرَّسُولِ ﷺ، أَوْ بِأَحَدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، أَوْ بِالصَّلَاةِ، أَوْ بِالْحَجِّ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴿[التوبة: ٦٥ - ٦٦].
٣. النَّذْرُ لِغَيْرِ اللَّهِ.
٤. تَكْذِيبُ الرَّسُولِ ﷺ.
٥. تَكْذِيبُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.
٦. سَبُّ اللَّهِ تَعَالَى أَوْ الرَّسُولِ ﷺ أَوْ الدِّينِ.

النَّوعُ الرَّابِعُ: مَا يَنْقُضُ الْإِسْلَامَ مِنَ الْأَفْعَالِ. وَلَهَا أَمْثَلَةٌ مِنْهَا:

١. الذَّبْحُ لِغَيْرِ اللَّهِ، كَمَنْ يَذْبَحُ لِلْجَنِّ أَوْ لِلْقَبْرِ، وَهُوَ مِنَ الشِّرْكِ
الَّذِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا
دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].
٢. السُّجُودُ لِلْأَصْنَامِ.
٣. السَّحَرُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا يُعْلِمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا
مَحْنُ فِتْنَةٍ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢].
٤. مُظَاهَرَةُ الْمُشْرِكِينَ وَمَعَاوَنَتُهُمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:
﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾
[المائدة: ٥١].
٥. امْتِهَانُ الْمُصْحَفِ أَوْ جِزْءٍ مِنْهُ، كَرَمِيهِ فِي الْقَاذُورَاتِ، أَوْ
الْتِمَسُّحِ بِهِ مِنَ الْخَلَاءِ.

النَّوعُ الْخَامِسُ: مَا يَنْقُضُ الْإِسْلَامَ مِنَ التَّرْكِ. وَلَهَا مَثَالَانِ:

١. تَرْكُ الصَّلَاةِ مُطْلَقًا، فَلَا يَصْلِي أَبَدًا.

٢. الإِعْرَاضُ عَنْ دِينِ اللَّهِ لَا يَتَعَلَّمُهُ وَلَا يَعْمَلُ بِهِ، وَتَرَكُ مُطْلَقَ
الْعَمَلِ فَلَا يَعْمَلُ شَيْئًا مِنْ أَعْمَالِ الْإِيمَانِ الْبَتَّةَ، لَا صَلَاةً وَلَا
صِيَامًا وَلَا زَكَاةً وَلَا حَجًّا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَكَرَ
بِعَاثَتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ﴾ (السجدة: ٢٢).

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٤	المقدمة
٦	الدرس الأول: الرُّكنُ الثَّاني: الإيمانُ بالملائكةِ
١٢	الدرس الثاني: صِفَةُ الإيمانِ بالملائكةِ
١٦	الدرس الثالث: الرُّكنُ الثَّالثُ: الإيمانُ بالكتبِ
٢١	الدرس الرابع: الرُّكنُ الرَّابِعُ: الإيمانُ بالرُّسُلِ عليهم السلام
٢٦	الدرس الخامس: الأنبياءُ والرسل المعروفون بأسمائهم عليهم السلام
٣٣	الدرس السادس: حقوقُ الأنبياءِ عليهم السلام وآياتهم
٣٨	الدرس السابع: الركن الخامس: الإيمان باليوم الآخر
٤٢	الدرس الثامن: عَلامَاتُ السَّاعَةِ الصَّغْرَى والكُبْرَى
٤٨	الدرس التاسع: من علامات الساعة الكبرى، المهديُّ، والدَّجَالُ، ونُزُولُ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ﷺ
٥٦	الدرس العاشر: بقيةُ علاماتِ الساعةِ الكبرى
٦٤	الدرس الحادي عشر: قيام الساعة وما بعده

الموضوع	الصفحة
الدرسُ الثاني عشر: الجزاءُ يومَ القيامة: الجنة والنار	٧٢
الدرسُ الثالث عشر: الركنُ السادسُ: الإيمانُ بالقَدَرِ خيره وشره	٧٨
الدرسُ الرابع عشر: قواعدُ مهمةٌ في الإيمانِ بالقضاءِ والقَدَرِ	٨٣
الدرسُ الخامس عشر: نواقضُ الإسلامِ	٨٨
الفهارس	٩٣

العقيدة الإسلامية



العقيدة أصل الدين وأساسه، وعليها يقوم بناؤه، وقد جاء هذا الكتاب مبيناً العقيدة الإسلامية الصحيحة على منهج أهل السنة والجماعة؛ بذكر مجمل اعتقاد أهل السنة والجماعة في عامة مسائل العقيدة المتعلقة بأركان الإيمان الستة، مبتدئاً بذكر مراتب الدين الثلاث، ثم تفصيل ما يتعلق بأركان الإيمان الستة. وقد قُسم الكتاب إلى أربع مستويات، وكل مستوى يشمل خمسة عشر درساً؛ ليكون أيسر للدارسين، وأنفع لهم بإذن الله تعالى

